

تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ

مَجْمُوعَةُ الْمُصَنَّفَاتِ

تَحْقِيقُ الْأَنْبِيَاءِ

مَجْمُوعَةُ الْمُصَنَّفَاتِ



الْقُرْآنُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلام الهدايله

كاتب:

المجمع العالمى لاهل البيت عليهم السلام

نشرت فى الطباعة:

مجمع جهانى اهل بيت (عليهم السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٤	اعلام الهدايه: (محمد المصطفى صلى الله عليه و آله) المجلد ١
١٤	اشاره
١٤	اشاره
١٨	فهرس إجمالى
٢١	[مقدمه المجمع]
٢٩	الباب الأول: المنهج القرآنى فى عرض و دراسه التاريخ و السيره
٢٩	اشاره
٣١	المدخل: المنهج القرآنى فى عرض و دراسه التاريخ و السيره
٣٩	الفصل الأول: النبى الخاتم(صلى الله عليه و اله) فى سطور
٤٥	الفصل الثانى: سنّه البشاره على مدى العصور
٤٥	اشاره
٤٩	بشارات الانبياء برساله محمد بن عبد الله(صلى الله عليه و اله)
٤٩	أهل الكتاب ينتظرون خاتم النبيين(صلى الله عليه و اله)
٥٣	الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه خاتم النبيين(صلى الله عليه و اله)
٥٣	اشاره
٥٣	١- الامى العالم:
٥٤	٢- أول المسلمين العابدين:
٥٤	٣- الثقه المطلقه بالله تعالى:
٥٧	٤- الشجاعه الفائتقه:
٥٨	٥- زهد منقطع النظر:
٥٩	٦- جود و حلم عظيمان:
٦١	٧- حياؤه و تواضعه:
٦٣	الباب الثانى: دور الولاده و النشأه

٦٣	اشاره
٦٥	الفصل الأول:الولادة و النشأه
٦٥	اشاره
٦٥	١-ملامح انهيار المجتمع الوثني:
٦٦	٢-إيمان آباء النبي(صلى الله عليه و اله):
٦٧	٣-مولد الرسول(صلى الله عليه و اله):
٦٩	٤-رضاعه الميمون:
٧١	٥-الاستسقاء بالنبي(صلى الله عليه و اله):
٧٢	٦-مع امه آمنه:
٧٣	٧-مع جدّه عبد المطّلب:
٧٥	الفصل الثاني:دور الفتوه و الشباب
٧٥	اشاره
٧٥	١-كفاله أبى طالب للنبي(صلى الله عليه و اله):
٧٦	٢-السفره الاولى الى الشام:
٧٦	٣-رعى الغنم:
٧٧	٤-حروب الفجار:
٧٨	٥-حلف الفضول:
٧٩	٦-التجاره بأموال خديجه:
٨١	الفصل الثالث:من الزواج الى البعثه
٨١	اشاره
٨١	١-الزواج المبارك:
٨١	اشاره
٨٣	خديجه قبل أن يتزوجها النبي(صلى الله عليه و اله):
٨٤	٢-إعادته وضع الحجر الأسود:
٨٥	٣-ولاده عليّ(عليه السلام)و تربيته النبي(صلى الله عليه و اله)له:
٨٧	٤-ملامح من شخصيه خاتم الأنبياء(صلى الله عليه و اله)قبل البعثه:

٨٩	الباب الثالث: البعثه النبويه المباركه و ارهاصاتها
٨٩	اشاره
٩١	الفصل الأول: البعثه النبويه المباركه و إرهاصاتها
١٠١	الفصل الثاني: مراحل حركه الرساله فى العصر المكي
١٠١	اشاره
١٠١	١-بناء الخليه الإيمانيه الاولى:
١٠٢	٢-أدوار العصر المكي:
١٠٢	٣-دور إعداد القاعده الاولى:
١٠٤	٤-دور مواجهه الاولى و إنذار الأقربين:
١٠٥	٥-دور مواجهه الشامله
١٠٧	الفصل الثالث: موقف بنى هاشم من النبى (صلى الله عليه و اله)
١٠٧	اشاره
١٠٧	دفاع أبى طالب عن الرسول و رساله:
١٠٩	موقف قريش من الرساله و الرسول (صلى الله عليه و اله):
١١٠	الكفر بأبى الانصياع لصوت العقل:
١١١	الآتهام بالتحجر:
١١٢	التعذيب وسيله لقمع المؤمنين:
١١٤	الهجره الى الحبشه و إيجاد قاعده آمنه:
١١٦	الحصار الظالم و موقف بنى هاشم:
١١٧	عام الحزن:
١١٨	الاسراء و المعراج:
١٢١	الفصل الرابع: سنوات ما قبل الهجره
١٢١	اشاره
١٢١	الطائف ترفض الرساله الإسلاميه:
١٢٣	الافتتاح على الرساله و معوقاتها فى مكه:
١٢٤	بيعه العقبه الاولى:

- ١٢٦-----بيعه العقبة الثانيه:
- ١٢٨-----الاستعداد للهجرة الى يثرب:
- ١٣٠-----المؤاخاه قبل الهجرة:
- ١٣١-----الباب الرابع: تأسيس الدوله الإسلاميه الاولى
- ١٣١-----اشاره
- ١٣٣-----الفصل الأول:تأسيس الدوله النبويه المباركه
- ١٣٣-----اشاره
- ١٣٣-----١-الهجرة الى يثرب:
- ١٣٤-----٢-بناء المسجد:
- ١٣٧-----٣-المؤاخاه بين المهاجرين و الأنصار:
- ١٣٧-----اشاره
- ١٣٨-----ابعاد و نتائج التآخى بين المسلمين
- ١٣٨-----البعد الاجتماعى:
- ١٣٩-----البعد السياسى:
- ١٣٩-----٤-معاهده المدينه:
- ١٤١-----٥-النفاق و بدايات الاستقرار فى المدينه:
- ١٤٢-----٦-تحويل القبله:
- ١٤٢-----٧-بدايات الصراع العسكرى:
- ١٤٥-----الفصل الثانى:الدفاع عن كيان الدوله الفتيه
- ١٤٥-----اشاره
- ١٤٥-----١-غزوه بدر الكبرى:
- ١٤٥-----اشاره
- ١٤٨-----نتائج المعركه:
- ١٥٠-----٢-اهتمام النبي(صلى الله عليه و اله)بزواج الزهراء(عليها السلام):
- ١٥٢-----٣-الصدام المباشر مع اليهود و اجلاء بنى قينقاع:
- ١٥٣-----٤-ردود فعل قريش بعد انتصارات المسلمين:

- ١٥٤ ----- ٥-غزوه احد :
- ١٥٩ ----- ٦-محاولات الغدر بالمسلمين:
- ١٦٠ ----- ٧-غزوه بنى النضير :
- ١٦١ ----- ٨-مناوشات عسكريه بعد احد:
- ١٦١ ----- بدر الموعده(بدر الصفراء)
- ١٦٢ ----- ٩-غزوه بنى المصطلق و دور النفاق:
- ١٦٤ ----- ١٠-إبطال أعراف جاهليه:
- ١٦٧ ----- الفصل الثالث:تظاهر قوى الشرك و الرد الإلهى الحاسم
- ١٦٧ ----- اشاره
- ١٦٧ ----- تحالف قوى الشرك و غزوه الخندق:
- ١٦٩ ----- الضغط على المسلمين:
- ١٦٩ ----- هزيمة العدو:
- ١٧٠ ----- غزو بنى قريظه و تصفيه يهود المدينه:
- ١٧٣ ----- الباب الخامس: مرحله الفتح
- ١٧٣ ----- اشاره
- ١٧٥ ----- الفصل الأول:مرحله الفتح
- ١٧٥ ----- اشاره
- ١٧٥ ----- ١-صلح الحديبيه:
- ١٧٥ ----- اشاره
- ١٧٨ ----- شروط الصلح:
- ١٨٠ ----- نتائج صلح الحديبيه:
- ١٨٠ ----- ٢-انطلاقه الرساله الاسلاميه الى خارج المدينه:
- ١٨١ ----- ٣-غزوه خيبر :
- ١٨٣ ----- ٤-محاولة اغتيال النبي(صلى الله عليه و اله):
- ١٨٣ ----- ٥-استسلام أهالى فدك:
- ١٨٤ ----- ٦-عمره القضاء:

١٨٧	الفصل الثاني:الاسلام خارج الجزيره
١٨٧	اشاره
١٨٧	١-معركه مؤتة :
١٨٨	٢-فتح مكه :
١٨٨	اشاره
١٩٠	تحرك الجيش الإسلامى نحو مكه:
١٩١	استسلام أبى سفيان:
١٩٢	دخول مكه:
١٩٥	٣-غزوه حنين و حصار الطائف :
١٩٥	اشاره
١٩٨	توزيع الغنائم:
١٩٨	اعتراض الأنصار:
١٩٩	٤-غزوه تبوك :
١٩٩	اشاره
٢٠٠	الإعلان عن مكانه على(عليه السلام)لدى النبي(صلى الله عليه و اله):
٢٠١	جيش العسره:
٢٠٢	محاولة اغتيال النبي(صلى الله عليه و اله):
٢٠٣	من نتائج غزوه تبوك:
٢٠٣	٥-مسجد ضرار:
٢٠٤	٦-عام الوفود:
٢٠٤	اشاره
٢٠٤	إسلام قبيله ثقيف:
٢٠٥	٧-وفاه ابراهيم ابن النبي(صلى الله عليه و اله):
٢٠٧	الفصل الثالث:تصفية الوجود الوثنى خارج الجزيره
٢٠٧	اشاره
٢٠٧	١-إعلان البراءه من المشركين:

- ٢٠٨-----٢-مباهله نصارى نجران:-----
- ٢١٠-----٣-حجه الوداع:-----
- ٢١٠-----اشاره-----
- ٢١٢-----خطبه النبي(صلى الله عليه و اله)فى حجه الوداع:-----
- ٢١٣-----٤-تعيين الوصى :-----
- ٢١٥-----٥-ظهور المتنبئين:-----
- ٢١٧-----٦-التعبئه العاقه لغزو الروم :-----
- ٢١٩-----الفصل الرابع:أيام الرسول(صلى الله عليه و اله)الأخيره-----
- ٢١٩-----اشاره-----
- ٢١٩-----١-الجيلوله دون كتابه الوصيه:-----
- ٢٢٠-----٢-الزهراء(عليها السلام)تزور أباه(صلى الله عليه و اله):-----
- ٢٢١-----٣-اللحظات الأخيره من عمر النبي(صلى الله عليه و اله):-----
- ٢٢٢-----٤-وفاه النبي(صلى الله عليه و اله)و مراسم دفنه:-----
- ٢٢٥-----الفصل الخامس:من معالم الرساله الخالده-----
- ٢٢٥-----اشاره-----
- ٢٢٥-----بما ذا بعث النبي محمد(صلى الله عليه و اله) ؟-----
- ٢٢٦-----سهوله الشريعه الاسلاميه و سماحتها-----
- ٢٢٦-----سمو التعاليم الاسلاميه-----
- ٢٢٨-----القرآن الكريم-----
- ٢٢٩-----الواجبات و المحرمات فى الشريعه الاسلاميه:-----
- ٢٣١-----الفصل السادس:تراث خاتم المرسلين(صلى الله عليه و اله)-----
- ٢٣١-----اشاره-----
- ٢٣٧-----نماذج من تراث سيد المرسلين(صلى الله عليه و اله)-----
- ٢٣٧-----١-العقل و العلم:-----
- ٢٣٩-----٢-مصادر التشريع:-----
- ٢٣٩-----اشاره-----

- ٢٣٩ القرآن و دوره المتميز:
- ٢٤٠ أهل البيت(عليهم السلام)أركان الدين
- ٢٤٢ ٣-اصول العقيدة الإسلاميه
- ٢٤٢ الخالق لا يوصف:
- ٢٤٢ شروط التوحيد:
- ٢٤٢ رحمه الله:
- ٢٤٣ لا جبر و لا اختيار:
- ٢٤٣ الخاتمية:
- ٢٤٣ إنَّ الله اصطفاني:
- ٢٤٤ مثلى مثل الغيث:
- ٢٤٤ الإمام بعد رسول الله(صلى الله عليه و اله):
- ٢٤٥ فضل علي(عليه السلام):
- ٢٤٥ الأئمة بعد رسول الله(صلى الله عليه و اله):
- ٢٤٥ أئمة الحق:
- ٢٤٦ النبي(صلى الله عليه و اله) يبشّر بالمهدى(عليه السلام):
- ٢٤٧ ٤-اصول التشريع الاسلامى فى تراث الرسول الأعظم(صلى الله عليه و اله)
- ٢٤٧ اشاره
- ٢٤٧ الف-خصائص الاسلام:
- ٢٤٧ ب-العلم و مسؤوليه العلماء:
- ٢٤٩ ج-قواعد عامه للسلوك الاسلامى:
- ٢٤٩ د-خطوط عامه فى القضاء و المحاكمات:
- ٢٥٠ ه-العبادات فى خطوطها العريضة:
- ٢٥٠ و-من اصول النظام العائلى:
- ٢٥١ ز-نقاط مضيئه من النظام الاقتصادى الاسلامى:
- ٢٥٢ ح-من اصول التعايش الاجتماعى:
- ٢٥٣ ٥-من جوامع الكلم فى تراث الرسول الأعظم(صلى الله عليه و اله):

٢٥٧ ٦- نماذج من ادعيته الشريفه (صلى الله عليه و اله)

٢٥٧ اشاره

٢٥٨ د- دعاء علمه (صلى الله عليه و اله) لبعض أصحابه يتقى به شرّ العدو:

٢٥٨ ه- دعاؤه (صلى الله عليه و اله) لقضاء الدين علمه على بن أبي طالب (عليه السلام):

٢٥٨ و- دعاؤه (صلى الله عليه و اله) إذا وضعت المائدة بين يديه:

٢٥٩ الفهرس التفصيلى

٢٦٨ تعريف مركز

عنوان و نام پديدآور: اعلام الهدايه/المؤلف لجنة التاليف في المعاونه الثقافيه للمجمع العالمى لاهل البيت (ع).

مشخصات نشر: بيروت: المجمع العالمى لاهل البيت (ع)، المعاونه الثقافيه، ۱۴۳۰ق. = ۱۳۸۹.

مشخصات ظاهري: ۱۴ج.

يادداشت: عربى.

يادداشت: چاپ ششم.

يادداشت: کتابنامه.

مندرجات: ج. ۱. محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الانبياء. - ج. ۲. أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام. - ج. ۳. سيده النساء فاطمه الزهراء عليه السلام. - ج. ۴. الامام الحسن المجتبى عليه السلام. - ج. ۵. الامام الحسين عليه السلام سيدالشهداء. - ج. ۶. الامام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام. - ج. ۷. الامام محمدبن على الباقر عليه السلام. - ج. ۸. الامام جعفربن محمدالصادق عليه السلام. - ج. ۹. الامام موسى بن جعفرالكاظم عليه السلام. - ج. ۱۰. الامام على بن موسى الرضا عليه السلام. - ج. ۱۱. الامام محمدبن على الجواد عليه السلام. - ج. ۱۲. الامام على بن محمدالهادى عليه السلام. - ج. ۱۳. الامام الحسن العسكري عليه السلام. - ج. ۱۴. خاتم الاوصياء الامام المهدي عليه السلام.

موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: مجمع جهانى اهل بيت (ع). معاونت فرهنگى

رده بندى كنگره: BP۳۶/الف ۵۸ ۱۳۸۹

رده بندى ديويى: ۲۹۷/۹۵

شماره كتابشناسى ملي: ۳۸۶۲۲۵۴

ص: ۱

فهرس إجمالى

الباب الأول:

المدخل: المنهج القرآنى فى عرض و دراسه التاريخ و السيره ١٧

الفصل الأول: النبى الخاتم (صلى الله عليه و اله) فى سطور ٢٥

الفصل الثانى: سنّه البشاره على مدى العصور ٣١

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه خاتم النبیین (صلى الله عليه و اله) ٣٩

الباب الثانى:

الفصل الأول: الولاده و النشأه ٥١

الفصل الثانى: دور الفتوه و الشباب ٦١

الفصل الثالث: من الزواج الى البعثه ٦٧

الباب الثالث:

الفصل الأول: البعثه النبويه المباركه و إرهاباتها ٧٧

الفصل الثانى: مراحل حركه الرساله فى العصر المكى ٨٧

الفصل الثالث: موقف بنى هاشم من النبى (صلى الله عليه و اله) ٩٣

الفصل الرابع: سنوات ما قبل الهجره ١٠٧

الباب الرابع:

الفصل الأول: تأسيس الدوله النبويه المباركه ١١٩

الفصل الثانى: الدفاع عن كيان الدوله الفتيه ١٣١

الفصل الثالث: تظاهر قوى الشرك و الرد الإلهى الحاسم ١٥٣

الباب الخامس:

الفصل الأول: مرحله الفتح ١٦١

الفصل الثانى: الاسلام خارج الجزيره ١٧٣

الفصل الثالث: تصفيه الوجود الوثنى خارج الجزيره ١٩٣

الفصل الرابع: أيام الرسول (صلّى الله عليه و اله) الأخيره ٢٠٥

الفصل الخامس: من معالم الرساله الخالده ٢١١

الفصل السادس: تراث خاتم المرسلين (صلّى الله عليه و اله) ٢١٧

ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداة لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد(صلى الله عليه و اله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان و زوده بعنصرى العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحق و يميزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميز حجه له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنه هو الذى علم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرفه الغايه التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياه الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحه معالم الهدايه الربانيه و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بين لنا عللها و أسبابها من جهه، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهه اخرى.

قال تعالى:

ص: ٧

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى [الانعام(٦):٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقره(٢):٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الاحزاب(٣٣):٤].

وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران(٣):١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس(١٠):٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ(٣٤):٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص(٢٨):٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهدايه. و هدايته هي الهدايه الحقيقيه، و هو الذي يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدر كها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله في فطره الانسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمه التعرّف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات(٥١):٥٦]**. و حيث لا تتحقّق العباده الحقيقيه من دون المعرفه، كانت المعرفه و العباده طريقا منحصرًا و هدفا و غايه موصله إلى قمّه الكمال.

و بعد أن زوّد الله الانسان بطاقتي الغضب و الشهوه ليحقّق له و قود الحركه نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطره الغضب و الشهوه؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان-بالإضافه إلى عقله و سائر أدوات المعرفه- ما يضمن له سلامه البصيره و الرؤيه؛ كي تتمّ عليه الحجّه، و تكمل نعمه الهدايه،

و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير و السعاده، أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّه الهدايه الربّانيه أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، و من خلال الهداه الذين اختارهم الله لتولّي مسؤوليه هدايه العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفه و إعطاء الارشادات اللازمه لكلّ مرافق الحياه.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهدايه الربّانيه منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون، و لم يترك الله عباده مهملين دون حجه هاديه و علم مرشد و نور مضىء، كما أفصحت نصوص الوحي-مؤيّده لدلائل العقل- بأنّ الأرض لا تخلو من حجه لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجه، فالحجه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، و لو لم يبق في الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما الحجه، و صرح القرآن-بشكل لا يقبل الريب-قائلا: **إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** [الرعد(١٣):٧].

و يتولّي أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداه المهديون مهمه الهدايه بجميع مراتبها، و التي تتلخّص في:

١-تلقيّ الوحي بشكل كامل و استيعاب الرساله الإلهيه بصوره دقيقه. و هذه المرحله تتطلّب الاستعداد التام لتلقيّ الرساله، و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأننا من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا: **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** [الانعام(٦):١٢٤] **وَ اللَّهُ يَجْتَبِي مَنْ يَرْسُلُهُ مَنْ يَشَاءُ** [آل عمران(٣):١٧٩].

٢-إبلاغ الرساله الإلهيه الى البشريه و لمن ارسلوا إليه، و يتوقف الإبلاغ على الكفاءه التامه التي تتمثّل في «الاستيعاب و الإحاطه اللازمه» بتفاصيل

الرساله و أهدافها و متطلباتها، و«العصمه» عن الخطأ و الانحراف معا، قال تعالى:

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ [البقره (٢): ٢١٣].

٣- تكوين امه مؤمنه بالرساله الإلهيه، و إعدادها لدعم القياده الهاديه من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها فى الحياه، و قد صرحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمه مستخدمه عنوانى التزكيه و التعليم، قال تعالى: يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ [الجمعه (٦٢): ٢] و التزكيه هى التربيه باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. و تتطلب التربيه القدوه الصالحه التى تتمتع بكل عناصر الكمال، كما قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صيانه الرساله من الزيغ و التحريف و الضياع فى الفتره المقرره لها، و هذه المهمه أيضا تتطلب الكفاءه العلميه و النفسيه، و التى تسمى بالعصمه.

٥- العمل لتحقيق أهداف الرساله المعنويه و تثبيت القيم الأخلاقيه فى نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشريه و ذلك بتنفيذ الاطروحه الربانيه، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسى يتولى إداره شؤون الامه على أساس الرساله الربانيه للبشريه، و يتطلب التنفيذ قياده حكيمة، و شجاعه فائقه، و صمودا كبيرا، و معرفه تامه بالنفوس و بطبقات المجتمع و التيارات الفكرية و السياسيه و الاجتماعيه و قوانين الإدارة و التربيه و سنن الحياه، و نلخصها فى الكفاءه العلميه لإداره دوله عالميه دينيه، هذا فضلا عن العصمه التى تعبر عن الكفاءه النفسيه التى تصون القياده الدينيه من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيرا سلبيا على مسيره القياده و انقياد الامه لها بحيث يتنافى مع أهداف الرساله و أغراضها.

وقد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهدايه الدامى، و اقتحموا سبيل التربيه الشاق، و تحمّلوا فى سبيل أداء المهام الرساليه كلّ صعب، و قدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيه كلّ ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى فى مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظه، و لم يتلكأوا طرفه عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برساله خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و حمّله الأمانه الكبرى و مسؤوليه الهدايه بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشه، و حقّق فى أقصر فتره زمنيّه أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييريه و الرسالات الثوريّه، و كانت حصيله جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

١- تقديم رساله كامله للبشريه تحتوى على عناصر الديمومه و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امه مسلمه تؤمن بالإسلام مبدأ، و بالرسول قائدا، و بالشريعه قانونا للحياه.

٤- تأسيس دوله إسلاميه و كيان سياسىّ يحمل لواء الإسلام و يطبّق شريعه السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقياده الربانيه الحكيمه المتمثله فى قيادته (صلى الله عليه و اله).

و لتحقيق أهداف الرساله بشكل كامل كان من الضرورى:

أ- أن تستمرّ القياده الكفوءه فى تطبيق الرساله و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر.

ب- أن تستمرّ عملية التربيّه الصحيحه باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوه حسنه فى الخلق و السلوك كالرسول (صلى الله عليه و اله)، يستوعب الرساله و يجسدها فى كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتمّ على الرسول (صلى الله عليه و اله) إعداد الصفوه من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركه النبويّه العظيمه و الهدايه الربّانيه الخالده بأمر من الله سبحانه و صيانه للرساله الإلهيه التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربيّه للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعه المباركه التى تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الربّانى فى ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه و اله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

و كان أئمه أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عزّفهم النبي الأكرم (صلى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى لقياده الامّه من بعده.

إنّ سيره الأئمه الاثني عشر من أهل البيت عليهم السّلام تمثّل المسيره الواقعيه للاسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه و اله)، و دراسه حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورته مستوعبه لحركه الاسلام الأصيل الذى أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الامه بعد أن أخذت طاقتها الحراريه تتضاءل بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و اله)، فأخذ الأئمه المعصومون (عليهم السّلام) يعملون على توعيه الامه و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرساليّ للشريعه و لحركه الرسول (صلى الله عليه و اله) و ثورته المباركه، غير خارجين عن مسار السنن الكونيه التى تتحكّم فى سلوك القياده و الامه جمعا.

و تبلورت حياه الأئمه الراشدين فى استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامه عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهدايه و مصابيح لإناره
الدرب للسالكين المؤمنين بقياداتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله و على مرضاته، و المستقرين فى أمر الله، و التامين فى محبته، و الذائبن فى
الشوق اليه، و السابقين إلى تسلق قمم الكمال الإنساني المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعه الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثله الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم
اختاروا الشهاده مع العزّ على الحياه مع الذلّ، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطره و يدّعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء
قبسات من حياتهم، و لقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التي دوّنها المؤرّخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسه و
التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركه أهل البيت (عليهم السّلام) الرساليه تبدء برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و تنتهى بخاتم
الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختص هذا الكتاب بدراسه حياه الرسول المصطفى محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) الذي جسّد الإسلام بكل أبعاده، فى جميع مرافق
حياته: الفرديه و الاجتماعيه، و فى ظروف اجتماعيه و سياسيه عصبيه فأرسى قواعد القيم الإسلاميه المثلى فى واقع الفكر و العقيدته و فى افق الخلق
و السلوك و أصبح نبراسا

-على مدى العصور-يشعّ بالإيمان و الطهر و البهاء للعالمين.

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوه الأعزاء الذين بذلوا جهدا وافرا و شاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجة إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحه السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا و نعم النصير.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السّلام قم المقدسه

ص: ١٤

الباب الأول: المنهج القرآني في عرض ودراسه التاريخ و السيره

اشاره

فيه فصول:

المدخل:

المنهج القرآني في عرض ودراسه التاريخ و السيره

الفصل الأول:

النبي الخاتم (صلّى الله عليه و اله) في سطور

الفصل الثاني:

سنّه البشاره على مدى العصور

الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيه خاتم النبيين (صلّى الله عليه و اله)

ص: ١٥

المدخل: المنهج القرآني في عرض ودراسة التاريخ والسيرة

المنهج القرآني في عرض ودراسة التاريخ والسيرة

للقرآن الكريم عناية فائقة بسيره الانبياء الهداه و له نهج خاص في عرض سيرتهم صلوات الله عليهم أجمعين.

و المنهج القرآني يقوم على مجموعه من الاسس و الاصول العلميه في كيفية عرضه لسيره الهداه المصطفين.

إنّ القرآن الكريم ينطلق من عنصر الهدايه و هو عنصر ترشيد حركه الانسان نحو الكمال اللاتق به فيختار أهدافا واقعيه لمجموعه من الحوادث التاريخيه التي تشكّل منعطفًا مهمًا في حياه الأفراد و الامم و تكون مفتاحا للدخول الى ابواب واسعه من العلوم و المعارف التي تخدم حركه الانسان التكاملية.

و القرآن الكريم يوظف شتى الأدوات للوصول الى تلك الأهداف المثلى.

فهو يخاطب العقل و العقلاء و يفتح أمام الفكر الإنساني آفاقا جديده حيث يقول:

١- فَأَقْصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١).

ص: ١٧

١- ((١)) الاعراف (٧): ١٧٦.

٢- لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ (١).

ف(التفكير)و(الاعتبار)فى حوادث التأريخ و السيره(تاريخ الامم و سيره القاده الهداه)يشكلان هدفين أساسيين فى المنهج القرآنى فى مجال للتاريخ.

و لا تقتصر الأهداف على هذين بل تتعداهما الى أهداف رساليه اخرى تتجلى فى قوله تعالى:

مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَ لَكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢).

و فى قوله تعالى: وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَلْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَ جَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣).

حيث تَضَمَّتْ كُلُّ آيَةٍ أَرْبَعَةَ أَهْدَافٍ رَسَالِيَةٍ لِاسْتِعْرَاضِ أَنْبَاءِ الْمُرْسَلِينَ وَ التَّحَدُّثِ عَنْ قَصَصِهِمْ.

و يعتمد القرآن الكريم فى منهجه التاريخى الذى يتفرّد به على الاصول التاليه:

١-الحق.

٢-العلم.

٣-المعاصره للأحداث.

٤-الاحاطه بها.

فلا يدع مجالاً- للريب و الافتراء فيما يحدث عنه و يقصّه و يستعرضه من ظواهر تاريخيه و حوادث اجتماعيه سابقه أو معاصره للتنزيل. ما دام يعتمد الحق

ص: ١٨

١- (١) يوسف(١٢):١١١.

٢- (٢) يوسف(١٢):١١١.

٣- (٣) هود(١١):١٢٠.

و العلم دون الخرافه و الخيال.

و قد أكد هذين الأصلين بقوله تعالى: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ... (١)

و بقوله أيضا فى مطلع سورة الاعراف: فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَ مَا كُنَّا غَائِبِينَ (٢) و فيه تصريح بعنصر المعاصره للأحداث التى يقوم بعرضها.

و للقرآن الكريم بعد ذلك كله منهج علمى فى التحليل و الاستنتاج الى جانب اعتماده على الاستقراء تاره و على الاستدلال تاره اخرى.

و حين يستعرض القرآن حياه الرسل بشكل عام يذكر خطوطا عريضه تجعلهم فى صف واحد و خندق واحد و خط واحد هو خط الاسلام العام، كما قال تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (٣).

ثم إنه يغور فى أعماق سيره كل واحد من اولى العزم من الرسل ليحيط المتلقى بأهم مفاصل سيرتهم و زواياها و ليربط بينها و بين ما سبقها و ما يلحقها من حوادث تتعلق بالخط الرسالى المستمر باستمرار الحياه.

إن من طبيعه البحث التاريخى أن تناله يد التحريف و قد يغطيه الإبهام و الغموض و قد تستره سحب دأكنه ريثما تتكشف الحقيقه بالتدرج و ينمو الانكشاف حتى يبلغ حدًا لا يستسيغ المجتمع الانسانى التغافل عنه و تجاوز الحقائق فيه.

و تشير الآيه المباركه (١١١) من سورة يوسف الى إمكان الافتراء و التلاعب بحقائق التاريخ أو المبالغه و البحث عن غير علم و سدل الستار على الحق الذى لا بد أن يظهر فى ظرف ما.

ص: ١٩

١- (١) آل عمران (٣): ٦٢.

٢- (٢) الاعراف (٧): ٧.

٣- (٣) آل عمران (٣): ١٩.

و من هنا؛ كان على المدرسه القرآنيه أن تسلح الباحث عن الحقيقه بسلاح موضوعى قادر على اكتشاف الحقيقه بشكل كامل.

لقد طرح القرآن الكريم نظريه الثواب التى لا يمكن للفكر الانسانى أن يتجاوزها فى حال من الاحوال و سماها بالمحكمات و ام الكتاب. و هى الحقائق الثابته و البينه للفكر الانسانى، و هى لا تقبل الريب أو التردد أو التشكيك بحال من الاحوال.

و الثواب دائما تشكّل الخطوط العريضة و المعالم الاساسيه للفكر الانسانى الذى يستوعب ما لا يستوعبه عالم ماده، و لكنه لا يستسيغ أن يقف مكتوف اليدين أمام المبهمات و ما يختلف فيه أبناء آدم (عليه السلام).

و يسوق القرآن الكريم للقارئ الواعى موقفين و اسلوبين من التعامل مع المبهمات أو ما يختلف فيه بنو آدم، و يحاكم هذين الاسلوبين ليخرج الى نتيجته بينه تصبح معيارا و تقدم قاعده عامه للتعامل مع كل خبر يرد على الفكر الانسانى.

و يعود كل نوع من أنواع التعامل الى جذور نفسيه واضحه تنسحب على نوع التعامل و تنعكس فى اسلوب المواجهه مع كل حديث ينقل الى الانسان و يراد من الفكر الانسانى أن يتخذ منه الموقف المناسب و الجدير به.

قال تعالى بعد أن أشار الى أن القرآن هو الفرقان الذى نزله الله على رسوله الامين:

هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ١.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (١).

إن سلامة النفس من الزيغ تحول بين الانسان وبين ابتغاء الفتنة. و من هنا يتوقف الانسان الذي يتحرى الحقيقه عن اتباع المتشابه من الآيات، بل يرجع الأمر الى ربه.

فالعقل يقف حائلا- بينه وبين أى تفسير غير علمى أو غير مستند الى دليل صحيح وحقائق ثابتة، بل العقل هو الذى يرشده الى الركون الى المحكمات و الالتزام بأم الكتاب حيث يشكّل ذلك الاطار العام و الخطوط الثابته التى لا يمكن تجاوزها بحال من الاحوال، و حينئذ من الطبيعى أن نلاحظ الآيات الاخرى فى ظل هذه الثوابت و هذه المعالم التى لا يمكن تجاوزها.

و هنا تتفتح آفاق النفس لآفاق الفكر لتتأمل فيما لا يكون صريحا أو واضحا فى بدايه الامر، و بهذا سوف يضمن العاقل الذى آمن بربه عدم الزيغ و عدم التسرع فى تفسير و تحليل ما يشاهده من الآيات المتشابهه، بل يقف منها موقف اللبيب الحكيم، و إن لم يفلح فى اكتشاف الحقيقه فإنه لا ينكرها و لا يستنكرها، و إنما يرجع الامر الى مصدره و يوكل الامر الى ربه الذى نزل الآيات هذه و يستفهم منه ما يتغيه، طالبا منه استمرار الهدايه و نزول الرحمه.

إنه الموقف السليم الذى يمثل النضج و التعامل المنطقى مع النصوص إذ لا يتسرع العاقل فى التوجيه و التحليل.

و من هنا: قد نفهم الوجه فى قوله تعالى فى مطلع سوره هود: الر* كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (٢) فإن التفصيل إنما يكون بعد الإحكام و بعد أن تتعين الآيات التى هى ام الكتاب، و التى تعدّ هى الاسس و الخطوط الثابته

ص:

١- (١) آل عمران(٣): ٧-٨.

٢- (٢) هود(١١): ١.

كما أفصحت بذلك الآية السابعة من سورة آل عمران مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ (١).

و الآية (٣٩) من سورة الرعد تلقى بظلالها على هذه النقطة أيضا إذ تقول:

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ فَإِنْ مَا لَا يَتَعَرَّضُ لِلْمَحْوِ وَ التَّغْيِيرِ هُوَ أُمُّ الْكِتَابِ. و ما دونه قد يتعرض للمحو و التغيير تبعاً لاختلاف الظروف و الحالات و الطوارئ.

و تكفى هذه الآيات لرسم المنهج العام الذى يسير عليه القرآن الكريم فى تعامله مع وقائع التاريخ، فإن الاختلاف فى التفاصيل لا يسمح لنا بإنكار الأصل و التغافل عنه و إدانته ما ثبت لدينا و تحققنا من وجوده.

و فى ضوء هذا يمكن تقويم كل ما ورد فى كتب السيرة النبويه أو التاريخ الاسلامى أو تأريخ ما قبل الاسلام مما يرتبط بالانبياء و اممهم؛ فإن الثوابت التأريخيه هى محطات الإشعاع و هى المحكمات التى لا يمكن تجاوزها بحال من الاحوال و اليها نحتكم فى تفسير أو قبول أو ردّ ما أثبتته كتب التأريخ من نصوص تحتوى على الصحيح و الخطأ.

إذن؛ حقل التاريخ- و هو حقل اختلاط الحقائق بالأباطيل- يتطلب منا استعمال أدوات تسعفنا لكشف تمام الحقيقه الثابته.

و ثوابت التاريخ- التى أيدتها محكمات العقل و النقل- هى المنطلق لأى تفسير أو تأويل أو محاكمه أو إدانته.

و قد طبّق القرآن الكريم هذا المنهج على سيره الأنبياء و اممهم بالذات حينما رسم لنا صورته واضحه يشترك فيها كل الأنبياء و اعتبر النبوه و الاصطفاء

ص: ٢٢

ناشئين من مواصفات أساسيه فى شخصيه كل نبى، أهله لأن يختاره الله نبيا لهدايه الخلق على يديه، وهذه المواصفات هى: اكتمال العقل و
الوعى و الصلاح و الصبر و العبوديه التامه لله القائمه على الوعى و البصيره، قال تعالى مخاطبا نبيه: قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي... (١)، كما قاله له:
قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي... (٢).

هذا هو المنطق القرآنى الذى يمثّل الإحكام و الثبات... فكيف يبعث الله نبيا لا يعى و لا يدرك أنه مبعوث أو مرسل من ربه و لا يطمئن الى ما
يراه من آيات ربه إلا- أن يطمئنه الآخرون؟! فلا يعقل أن يبعث و يهتأ للنبوه و هو لا يعلم أنه نبى و مبعوث من الله الى الخلق، أو يتردد أو يشك
فى مهمته، فضلا عن تصوّره أنه يستلهم الحقيقه ممن يراد منه هدايته. قال تعالى مشيرا الى هذه الحقيقه:

...أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣).

إن الصورة الواضحه التى يرسمها القرآن الكريم عن شخصيه أنبياء الله و التى تؤيدها محكمات العقل هى التى تصبح موثلا و مرجعا محكما و
ثابتا لمحاكمه كل صورته تسرّبت من التوراه و الانجيل أو جاءت فيما سمى بالصحاح أو عامه كتب التاريخ التى وردت فيها بعض القصص عن
أنبياء الله، سواء كان ذلك النبى هو إبراهيم (عليه السلام) أو موسى (عليه السلام) أو عيسى (عليه السلام) أو محمد (صلّى الله عليه و اله)، و سواء كان
الناقل لهذه الصورة بعض امهات المؤمنين أو بعض الصحابه أو من يمتّ الى الرسول (صلّى الله عليه و اله) بصله من قريب أو بعيد.

ص: ٢٣

١- ((١)) الانعام (٦): ٥٧.

٢- ((٢)) يوسف (١٢): ١٠٨.

٣- ((٣)) يونس (١٠): ٣٥.

الفصل الأول: النبي الخاتم (صلى الله عليه و اله) في سطور

النبي الخاتم (صلى الله عليه و اله) في سطور

ولد خاتم النبيين و سيد المرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (صلى الله عليه و اله) في السابع عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل بعد أن فقد أباه، ثم استرضع في بني سعد، و ردّ الى امّه و هو في الرابعه أو الخامسه من عمره. و قد توفيت امّه حين بلغ السادسة من عمره فكفله جدّه و اختص به و بقي معه سنتين ثم ودّع الحياه بعد أن أوكل أمر رعايته الى عمّه الحنون أبي طالب حيث بقي مع عمّه الى حين زواجه.

و سافر مع عمّه الى الشام و هو في الثانيه عشره من عمره و التقى ببجيرا الراهب في الطريق فعرفه بحيرى و حدّر أبا طالب من التفريط به و كشف له عن تربص اليهود به الدوائر.

و حضر النبي (صلى الله عليه و اله) حلف الفضول بعد العشرين من عمره و كان يفتخر بذلك فيما بعد، و سافر الى الشام مضاربا بأموال خديجه و تزوجها و هو في الخامسه و العشرين و في ريعان شبابه، بعد أن كان قد عرف بالصادق الأمين، و قد ارتضته القبائل المتنازعه لنصب الحجر الأسود لحل نزاعها فأبدى حنكه و ابداعا رائعا أرضى به جميع المتنازعين.

و بعث و هو في الأربعين و أخذ يدعو الى الله و هو على بصيره من أمره

و يجمع الاتباع و الأنصار من المؤمنين السابقين.

و بعد مضي ثلاث أو خمس سنوات من بدايه الدعوه الى الله، أمره الله بإنذار عشيرته الأقربين ثم أمره بأن يصدع بالرساله و يدعو إلى الإسلام علانيه ليدخل من أحب الإسلام في سلك المسلمين و المؤمنين.

و من ذلك الحين أخذت قريش تزرع الموانع أمام حركة الرسول (صلى الله عليه و اله) و تحاول أن تمنع من انتشار الرساله صاذه بذلك عن سبيل الله. و عمل النبي (صلى الله عليه و اله) الى فتح نافذه جديده للدعوه خارج مكه فارسل عدّه مجاميع من المسلمين الى الحبشه بعد أن حظوا باستقبال ملكها (النجاشي) و ترحيبه بقدمهم فاستقروا فيها بقياده جعفر بن أبي طالب و لم يتركها جعفر الا في السنه السابعه بعد الهجره.

و لم تفلح قريش في تأليب النجاشي على المسلمين، فبدأت بخطه جديده تمثلت في فرض الحصار الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي و الذي استمرّ لمدته ثلاث سنوات -فلما آيست من إخضاع النبي (صلى الله عليه و اله) و أبي طالب و سائر بني هاشم لأغراضها فكّت الحصار و لكن النبي (صلى الله عليه و اله) و عشيرته بعد أن خرجوا من الحصار منتصرين امتحنوا بوفاه أبي طالب و خديجه -سلام الله عليهما- في السنه العاشره من البعته و كان وقع الحادثين ثقيلا على النبي (صلى الله عليه و اله) لأنه فقد بذلك أقوى ناصرين في عام واحد.

و هنا رجّح بعض المؤرخين تحقق حادثه الاسراء و المعراج و النبي في أوج هذا الحزن و الضغط النفسى على النبي (صلى الله عليه و اله) و هو يرى صدود قريش و وقوفها بكل ثقلها أمام رسالته ففتح الله له آفاق المستقبل بما أراه من آياته الكبرى فكانت بركات (المعراج) عظيمه للنبي و للمؤمنين جميعا.

و هاجر الرسول (صلى الله عليه و اله) الى الطائف ليبحث عن قاعده جديده و لكنه لم يكسب فتحا جديدا من هذه البلده المجاوره لمكه و المتأثره بأجوائها، فرجع الى

مكة بعد أن اختار جوار مطعم بن عدى فدخلها، وبدأ نشاطا جديدا لنشر الرسالة و في مواسم الحج حيث أخذ يعرض نفسه على القبائل القاصده للبيت الحرام لأداء مناسك الحج و للاتجار في سوق عكاظ ففتح الله له أبواب النصر بعد التقائه بأهل يثرب، واستمرت دعوته الى الله و انتشر الاسلام في يثرب حتى قرّر الهجره اليها بنفسه بعد أن أخبره الله تعالى بكيد قريش حين أجمعت بطونها على قتله و التخلّص منه نهائياً، فأمر علياً(عليه السّلام) بالمبيت في فراشه و هاجر هو الى يثرب بكل حيطه و حذر، و دخلها و أهل يثرب على أتم الاستعداد لاستقباله، فوصل(قبا)في غرّه ربيع الأول و أصبحت هجرته المباركه مبدأ للتأريخ الاسلامي بأمر منه(صلى الله عليه و اله).

و أسّس النبيّ الخاتم(صلى الله عليه و اله)أول دوله اسلاميه فأرسي قواعدها طيله السنه الاولى بعد الهجره بدءا بكسر الأصنام و بناء المسجد النبوي الذي أعده مركزا لنشاطه و دعوته و حكومته و بالمؤاخاه بين المهاجرين و الأنصار ليقيم بذلك قاعده شعبيه صلبه يقوم عليها بناء الدوله الجديده، هذا مضافا إلى كتابه الصحيفه التي نظم فيها علاقته القبائل بعضها مع بعض و المعاهده التي أمضاها مع بطون اليهود حيث كانت تشمل على الخطوط العامه لأول نظام إداري و حكومي إسلامي.

و لقد واجهت الدوله الإسلاميه الفتيه و كذا الدعوه الإسلاميه مواجهه شرسه من جانب قريش التي عزمت على اكتساح الدعوه و الدوله الإسلاميتين فشنت الحرب بعد الحرب على المسلمين و كان لا بدّ للنبي(صلى الله عليه و اله)و المسلمين من الدفاع.

و بدأت سنوات الدفاع عن هذه الدوله الفتيه و قد افتتحها بأول سريته بقياده عمّه حمزه في الشهر السابع بعد الهجره و جهّز ثلاث سرايا الى نهايه العام الأول من الهجره. و نزلت في هذا العام آيات كثيره من سوره البقره لترسم للنبي(صلى الله عليه و اله) و دولته و أمته أحكاما خالده و تفضح خطط المنافقين و تكشف مؤامرات اليهود

ضدّ خاتم المرسلين و دولته العالميه الجديده.

لقد استهدفت قريش النبي (صلى الله عليه و اله) و دولته من خارج المدينه، و استهدف اليهود هذه الدوله من داخل المدينه فرصد النبي تحركاتهم جميعا، و تابعت ثمان غزوات و سريتان طيله العام الثاني بما فيها غزوه بدر الكبرى فى رمضان المبارك حيث افترضت فريضه الصيام و تم تحويل القبله الذى أعطى لاستقلال الامه المسلمه و الدوله الاسلاميه بعدا جديدا.

و حفل العام الثاني بمزيد من الانتصارات العسكريه من جانب و نزول التشريعات السياسيه و الاجتماعيه من جانب آخر و منيت قريش و اليهود بأول هزيمه فاضحه كما تم إجلاء بنى قينقاع و هم أول طوائف اليهود التى اتخذت المدينه و طنا بعد أن نكثوا عهدهم مع الرسول (صلى الله عليه و اله) عقيب انتصار المسلمين فى بدر الكبرى.

و استمرت محاولات قريش العسكريه ضد الإسلام و المسلمين من خارج المدينه و نكثت قبائل اليهود عهداها مع النبي (صلى الله عليه و اله) عدّه مرّات خلال ثلاث سنوات متتابعه، فكانت خمس غزوات -و هي: احد و بنى النضير و الأحزاب و بنى قريظه و بنى المصطلق- ذات ثقل باهض على عاتق النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمين جميعا خلال هذه السنين الثلاث.

و ردّ الله كيد الأحزاب و اليهود معا فى العام الخامس بعد أن أبلى المسلمون بلاءا حسنا و مهّد الله بذلك للفتح المبين بعد أن أيست قريش من القضاء على شوكة المسلمين و انطلق النبي (صلى الله عليه و اله) بعد صلح الحديبيه يتحالف مع القبائل المحيطة به و يستقطبها ليجعل منها قوه واحده أمام قوى الشرك و الإلحاد جميعا حتى فتح الله له مكّه فى العام الثامن و مكّنه من تصفيه قواعد الشرك فى شبه الجزيره بعد أن أخضع عتاه قريش لدولته و سياسته المباركه.

ثمّ كانت السنه التاسعه عامره بوفود القبائل التي أخذت تدخل في دين الله أفواجا.

و كان العام العاشر عام حجه الوداع و آخر سنه قضاها النبي (صلى الله عليه و اله) مع امته و هو يمهد لدولته العالميه و لامته الشاهده على سائر الامم.

و توفي النبي القائد (صلى الله عليه و اله) في الثامن و العشرين من صفر المظفر سنه احدى عشره هجريه بعد أن أحكم دعائم دولته الاسلاميه حيث عيّن لها القيادة المعصومه التي تخلفه و ترسم خطاه متمثله في شخص على بن أبي طالب (عليه السلام) ذلك الانسان الكامل الذي رباه الرسول الكريم بيديه الكريمتين منذ أن ولد و رعاه أحسن رعايه طيله حياته، و جسد الإمام على بن أبي طالب (عليه السلام) كل قيم الاسلام في فكره و سلوكه و خلقه و ضرب مثلا أعلى في الانقياد لرسول الله (صلى الله عليه و اله) و لأوامره و نواهيه فكان جديرا بوسام الولاية الكبرى و الوصايه النبويه و الخلافه الإلهيه حيث رشحه عمق وجوده في كيان الرساله الاسلاميه و الثوره الإلهيه و الدوله النبويه ليكون النائب الأوّل لرسول الله (صلى الله عليه و اله) حين غيابه عن مسرح الحياه بأمر من الله سبحانه و تعالى.

و قد لبى الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) نداء ربه بعد أن أتم تبليغ الرساله بنصب على (عليه السلام) هاديا و إماما للمسلمين على الرغم من حراجه الظروف و صعوبتها.

و هكذا ضرب الرسول (صلى الله عليه و اله) المثل الأعلى لطاعه الله و الانقياد لأوامره حيث بلغ أمر الله أحسن تبليغ و أتم الحججه بأبلغ بيان.

تلك نظره سريعه إلى شخصيه و حياه خاتم الأنبياء محمّد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و هلمّ معنا بعد هذه النظره إلى دراسه تفصيليه في هذا المجال.

سنه البشاره على مدى العصور

لقد صرح القرآن الكريم بأن العهد التاريخي للبشريه قد بدأ بظاهره وجود النبوات و بعث الأنبياء و إرسال الرسل.الذين مضوا يقودون مجتمعاتهم نحو حياه أفضل و وجود إنسانى أكمل؛مما يمكن أن نستنتج منه أن إشراق النبوه و ظهور الأنبياء فى المجتمعات البشريه يعتبر بدايه العصر التاريخي للبشريه.

قال تعالى: **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ وَ مَا اختلفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اختلفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١).**

لقد قضت حكمه الله و رحمته بإرسال الأنبياء حاملين الى الإنسانيه منهاج هدايتها الذى يخرجها من عهد الغريزه الى عهد العقل، و من منطلق الصراع الذى مرجعه الغريزه و القوه الى منطق النظام و مرجعه القانون..و خرج المجتمع البشرى بالنبوات عن كونه تكويننا حيوانيا-بيولوجيا الى كونه ظاهره عقليه روحيه و حققت النبوات للإنسان مشروع وحده أرقى من وحدته الدمويه البيولوجيه...

و هى الوحده القائمه على أساس المعتقد،و بذلك تطورت العلاقات الإنسانيه

ص:٣١

مرتفعه من علاقات الماده الى علاقات المعانى. و الاختلافات التى نشأت فى النوع الإنسانى بعد إشراق عهد النبوات غدت اختلافات فى المعنى، و اختلافات فى الدين و المعتقد؛ فإن أسباب الصراع لم تلغ بالدين الذى جاءت به النبوات بل استمرت و تنوّعت، و لكن المرجع لم يعد الغريزه بل غدا القانون مرجعا فى هذا المضممار. و القانون الذى يتضمنه الدين يكون قاعده ثابتة لوحده الإنسانى و تعاونها و تكاملها (١).

و أوضح الإمام على بن أبى طالب (عليه السّلام) فى الخطبه الأولى من نهج البلاغه- بعد أن استعرض تاريخ خلق العالم و تاريخ خلق آدم (عليه السّلام) و إسكانه فى الأرض- أن إشراق النبوه و تسلسلها على مدى العصور هو المحور فى تاريخ الإنسان و حركته نحو الكمال كما صرّح به القرآن الكريم موضحا منهجه فى التعامل مع التاريخ.

قال (عليه السّلام) «... و اصطفى سبحانه من ولد (آدم) أنبياء، أخذ على الوحي ميثاقهم (٢)، و على تبليغ الرساله أمانتهم لما بدّل أكثر خلقه عهد الله اليهم (٣)، فجعلوا حقّه، و اتخذوا الأنداد معه (٤)، و اجتاللتهم الشياطين عن معرفته (٥)، و اقتطعتهم عن عبادته..

فبعث فيهم رسله، و اتر إليهم أنبياء؛ ليستأدوهم ميثاق فطرته (٦)، و يذكروهم منسى نعمته، و يحتجوا عليهم بالتبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول (٧)، و يروهم آيات

ص: ٣٢

١- (١) حركه التاريخ عند الإمام على (عليه السّلام): ٧١-٧٣.

٢- (٢) أخذ عليهم الميثاق أن يبلغوا ما أوحى إليهم، أو أخذ عليهم أن لا يشرّعوا للناس إلا ما يوحى إليهم.

٣- (٣) عهد الله الى الناس: هو ما يعبر عنه بميثاق الفطره.

٤- (٤) الأنداد: المعبودين من دونه سبحانه و تعالى.

٥- (٥) اجتاللتهم: صرفتهم عن قصدهم الذى وجهوا إليه بالهدايه المغروره فى فطرتهم.

٦- (٦) كأن الله تعالى بما أودع فى الإنسان من الغرائز و القوى، و بما أقام له من الشواهد و أدله الهدى، قد أخذ عليه ميثاقا بأن يصرف ما أوتى من ذلك فيما خلق له، و قد كان يعمل على ذلك الميثاق و لا ينقضه لو لا ما اعترضه من وساوس الشهوات، فبعث النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق.

٧- (٧) دفائن العقول: أنوار العرفان التى تكشف للإنسان أسرار الكائنات، و ترتفع به الى الإيقان بصانع-

المقدرة: من سقّف فوقهم مرفوع، و مهاد تحتهم موضوع، و معايش تحييمهم، و آجال تفنيهم، و أوصاب تهرمهم (١)، و أحداث تتابع عليهم.

و لم يخل الله سبحانه خلقه من نبى مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّه لازمه، أو محجّه قائمه (٢).

رسل لا تقصّر بهم قلّه عددهم، و لا كثره المكذّبين لهم: من سابق سمى له من بعده، أو غابر عزّفه من قبله (٣).

على ذلك نسلت القرون (٤)، و مضت الدهور، و سلفت الآباء، و خلفت الأبناء.

الى أن بعث الله سبحانه محمدا رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، لإنجاز عدته (٥)، و إتمام نبوته.

مأخوذا على النبيين ميثاقه، مشهوره سماته (٦)، كريما ميلاده، و أهل الأرض يومئذ ملل متفرقه و أهواء منتشره، و طوائف متشتتة، بين مشبه لله بخلقّه، أو ملحد فى اسمه، أو مشير الى غيره (٧).

فهداهم به من الضلاله، و أنقذهم بمكانه من الجهاله.

ص: ٣٣

١- ((١)) السقّف المرفوع: السماء. و المهاد الموضوع: الأرض. و الأوصاب: المتاعب.

٢- ((٢)) المحجّه: الطريق القويمه الواضحه.

٣- ((٣)) من سابق بيان للرسول، و كثير من الأنبياء السابقين سميت لهم الأنبياء الذين يأتون بعدهم فبشروا بهم، كما ترى ذلك فى التوراه. و الغابر: الذى يأتى بعد أن يشير به السابق جاء معروفا بتعريف من قبله.

٤- ((٤)) مضت متتابعه.

٥- ((٥)) الضمير فى عدته لله تعالى: لأن الله وعد بإرسال محمد (صلّى الله عليه و اله) على لسان أنبيائه السابقين. و كذلك الضمير فى نبوته: لأنّ الله تعالى أنبا به، و أنه سيبعث وحيا لأنبيائه. فهذا الخبر الغيبى قبل حصوله يسمى نبوه. و لما كان الله هو المخبر به أضيفت النبوه إليه.

٦- ((٦)) سماته: علاماته التى ذكرت فى كتب الأنبياء السابقين الذين بشّروا به.

٧- ((٧)) الملحد فى إسم الله: الذى يميل به عن حقيقه مسماه فيعتقد فى الله صفات يجب تنزيهه عنها. و المشير الى غيره، الذى يشرك معه فى التصرف إليها آخر فيعبده و يستعين به.

ثم اختار سبحانه لمحمد (صلى الله عليه و اله) لقاءه، و رضى له ما عنده، و أكرمه عن دار الدنيا، و رغب به عن مقام البلوى، فقبضه اليه كريما (صلى الله عليه و اله)، و خلف فيكم ما خلف الأنبياء في اممها إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح، و لا علم قائم» (١).

إنّ بشائر الأنبياء السابقين بنبوّه الأنبياء اللاحقين تنفع الأجيال المعاصره لهم و كذا الأجيال اللاحقه؛ إذ تفتح عيونهم و تجعلهم على أهبة الاستقبال للنبيّ المبشّر بنبوّته، كما أنّها تزيل عنهم الريب و تعطّيهم مزيدا من الثقه و الاطمئنان.

على أن اليأس من الاصلاح إذا ملأ القلب يجعل الانسان يفكر بطرق أبواب الشرّ و الخيانه، فالبشائر بمجيء الأنبياء المصلحين تزيل اليأس من النفوس التي تنتظر الاصلاح و توجّهها الى حبّ الحياه و قرع أبواب الخير.

و تزيد البشائر إيمان المؤمنين بنبوّه نبيّهم، و تجعل الكافرين في شكّ من كفرهم، فيضعف صمودهم أمام دعوه النبيّ الى الحقّ ممّا يمهد لقبولهم الدعوه.

و إذا أدت البشاره إلى حصول الثقه فقد لا- تطلب المعجزه من النبيّ، كما تكون النبوه المحفوفه بالبشاره أنفذ الى القلوب و أقرب الى الاذعان بها. على أنّها تبعد الناس عن وطأه المفاجأه أمام واقع غير منتظر، و تخرج دعوه النبيّ عن الغرابه في نفوس الناس (٢).

على أن الأنبياء جميعا يشكّلون خطأ واحدا، فالسابق يبشّر باللاحق، و اللاحق يؤمن بالسابق. و قد تكفّلت الآية (٨١) من سوره آل عمران بالتصريح بسنّه البشائر هذه. فضلا عن الشواهد و التطبيقات التي سوف نلاحظها في البحث الآتي.

ص: ٣٤

١- (١) أي أنّ الأنبياء لم يهملوا أممهم مما يرشدهم بعد موت أنبيائهم، و قد كان من محمد (صلى الله عليه و اله) مثل ما كان منهم، فإنّه خلف في أمته كتاب الله تعالى حاويا لجميع ما يحتاجون اليه في دينهم، كما خلف أهل بيته المعصومين و جعلهم قرناء للكتاب المجيد كما صرح بذلك في حديث الثقلين الذي تواتر عنه (صلى الله عليه و اله) و رواه جمع غفير من المحدثين.

٢- (٢) محمد في القرآن: ٣٦-٣٧.

بشارات الانبياء برسالة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله)

١- لقد نصّ القرآن الكريم على بشاره ابراهيم الخليل (عليه السّلام) برسالة خاتم النبيين (صلى الله عليه و اله) باسلوب الدعاء قائلاً- بعد الكلام عن بيت الله الحرام فى مكة المكرمه و رفع القواعد من البيت و الدعاء بقبول عمله و عمل اسماعيل (عليه السّلام) و طلب تحقيق امه مسلمه من ذريتهما:- رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١).

٢- و صرّح القرآن الكريم بأنّ البشاره بنوّه محمد (صلى الله عليه و اله) الامى كانت موجوده فى العهدين القديم (التوراه) و الجديد (الانجيل). و العهدان كانا فى عصر نزول القرآن الكريم و ظهور محمد (صلى الله عليه و اله) و لو لم تكن البشاره موجوده فيهما لجاهر بتكذيبها أصحاب العهدين.

قال تعالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْكُفْرَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ... (٢).

٣- و صرّحت الآيه السادسه من سوره الصف بأن عيسى (عليه السّلام) صدّق التوراه بصراحه و بشر برسالة نبى من بعده اسمه أحمد. و قد خاطب عيسى (عليه السّلام) بنى اسرائيل جميعا لا الحواريين فحسب.

أهل الكتاب ينتظرون خاتم النبيين (صلى الله عليه و اله)

لم يكتب الأنبياء السابقون بذكر الأوصاف العامه للنبي المبشر به، بل

ص: ٣٥

١- (١) البقره (٢): ١٢٩.

٢- (٢) الاعراف (٧): ١٥٧.

ذكروا أيضا العلام التي يستطيع المبشرون من خلالها معرفته بشكل دقيق، مثل:

محل ولادته، و محل هجرته و خصائص زمن بعثته، و علام جسميه خاصه و خصائص يتفرد بها في سلوكه و شريعته.. و لهذا قال القرآن عن بنى إسرائيل بأنهم كانوا يعرفون رسول الإسلام المبشر به في العهدين كما يعرفون أبناءهم (١).

بل رتبوا على ذلك آثارا عمليه فاكشفوا محل هجرته و دولته فاستقروا فيها (٢) و أخذوا يستفتحون برسالته على الذين كفروا و يستنصرون برسول الله (صلى الله عليه و اله) على الأوس و الخزرج (٣) و تسربت هذه الأخبار الى غيرهم عن طريق رهبانهم و علمائهم فانتشرت في المدينه و تسربت الى مكه (٤).

و ذهب وفد من قريش بعد إعلان الرساله إلى اليهود في المدينه للتثبت من صحه دعوى النبى (صلى الله عليه و اله) النبوه و حصلوا على معلومات اختبروا بها النبى (صلى الله عليه و اله) (٥) و اتضح لهم من خلالها صدق دعواه.

و قد آمن جمع من أهل الكتاب و غيرهم بالنبى محمد (صلى الله عليه و اله) على أساس هذه العلام التي عرفوها من دون أن يطلبوا منه معجزه خاصه (٦) و هذه البشائر تحتفظ بها لحد الآن بعض نسخ التوراه و الانجيل (٧).

و هكذا تسلسلت البشائر بنوه خاتم النبيين محمد (صلى الله عليه و اله) من قبل ولادته،

ص: ٣٦

١- ((١)) الانعام (٦): ٢٠.

٢- ((٢)) سيره رسول الله: ٣٨/١-٣٩.

٣- ((٣)) البقره (٢): ٨٩.

٤- ((٤)) أشعه البيت النبوى: ٧٠/١، عن الاغانى: ٧٥/١٦، تاريخ اليعقوبى: ١٢/٢، حياه نبى الاسلام: ٢٣، عن سيره ابن هشام: ١٨١/١، و اعلام الورى: ٢٦.

٥- ((٥)) راجع ما جاء في شأن نزول سوره الكهف.

٦- ((٦)) المائده (٥): ٨٣.

٧- ((٧)) سيره رسول الله و أهل بيته: ٣٩/١، انجيل يوحنا و اشعه البيت النبوى: ٧٠/١، عن التوراه و راجع: بشارات عهدين، و البشارات و المقارنات.

و خلال فتره حياته قبل بعثته، و قد عرف و اشتهر منها إخبار بحيرا الراهب و غيره إبان البعثة المباركه (١).

و قد شهد على أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذه الحقيقه التاريخيه حين قال فى إحدى خطبه: «...الى أن بعث الله سبحانه محمدا رسول الله (صلّى الله عليه و اله) لإنجاز عده و اتمام نبوته، مأخوذا على النيين ميثاقه مشهوره سماته..» (٢).

و قد جاء فى طبقات ابن سعد عن سهل مولى عتيبه انه كان نصرانيا من أهل حريس، و انه كان يتيما فى حجر امه و عمه و أنه كان يقرأ الإنجيل، قال:

«...فأخذت مصحفا لعمى فقرأته حتى مرّت بي ورقه فانكرت كتابتها حين مرّت بي و مسستها بيدي، قال: فنظرت؛ فاذا فصول الورقه ملصق بغراء، قال: ففتقتها فوجدت فيها نعت محمّد (صلّى الله عليه و اله): انه لا قصير و لا طويل، أبيض ذو ضفيرتين، بين كتفيه خاتم يكتر الاحتباء و لا يقبل الصدقه و يركب الحمار و البعير و يحتلب الشاه و يلبس قميصا مرقوعا، و من فعل ذلك فقد برئ من الكبر و هو يفعل ذلك، و هو من ذريه اسماعيل، اسمه أحمد. قال سهل: فلما انتهيت الى هذا من ذكر محمد (صلّى الله عليه و اله) جاء عمى فلما رأى الورقه ضربني و قال: مالك و فتح هذه الورقه و قراءتها؟! فقلت: فيها نعت النبي احمد، فقال: إنه لم يأت بعد (٣).

ص: ٣٧

١- (١) راجع كتب السيره النبويه و التفسير حيث تضمّنت جمله من هذه البشائر.

٢- (٢) لاحظ الخطبه الاولى من نهج البلاغه.

٣- (٣) الطبقات الكبرى: ٣٦٣/١.

مظاهر من شخصيه خاتم النبيين (صلى الله عليه و اله)

١- الامى العالم:

لقد تميّز خاتم النبيين بأنه لم يتعلّم القراءه و الكتابه عند معلّم بشرى (١) و لم ينشأ فى بيئه علم و انما نشأ فى مجتمع جاهلى، و لم يكذب أحد هذه الحقيقه التى نادى بها القرآن (٢).

ترعرع و نما فى قوم هم من أشد الأقسام جهلا و أبعدهم عن العلوم و المعارف، و لقد سُمى هو ذلك العصر بالعصر الجاهلى و لا يمكن أن تصدر هذه التسميه إلا من عالم خبير بالعلم و الجهل و العقل و الحمق.

أضف الى ذلك أنه قد جاء بكتاب يدعو الى العلم و الثقافه و الفكر و التعقّل و احتوى على صنوف المعارف و العلوم، و بدأ بتعليم الناس الكتاب و الحكمه (٣) وفق منهج بديع حتى أنشأ حضاره فريده اخترقت الغرب و الشرق بعلومها و معارفها و لا زالت تتلأأ بهاء و نورا.

فهو امى و لكنه يكافح الجهل و الجاهليه و عبادة الأصنام، و بعث بدين قيم

ص: ٣٩

١- ((١)) النحل (١٦): ١٠٣.

٢- ((٢)) العنكبوت (٢٩): ٤٨.

٣- ((٣)) الجمعه (٦٢): ٢.

إلى البشرية و بشريه عالميه تتحدى البشريه على مدى التاريخ.فهو معجزه بنفسه فى علمه و معارفه و جوامع كلمه و رجاحه عقله و ثقافته و مناهج تربيته.

و من هنا قال تعالى: فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِمَاتِهِ وَ اتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١)و قال له: وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (٢).

أجل لقد أوحى الله اليه ما أوحى و علمه الكتاب و الحكمة و جعله نورا و سراجا منيرا و برهانا و شاهدا و رسولا مبينا و ناصحا أمينا و مذكرا و مبشرا و نذيرا (٣).

و لقد شرح الله له صدره و أعدّه لقبول الوحي و القيام بمهمه الارشاد فى مجتمع تسيطر عليه العصبية و الأنانية الجاهليه فكان أسمى قائد عرفته البشرية فى مجال الدعوه و التربه و التعليم.

إنها نقله كبيره أن يصبح المجتمع الجاهلى فى بضع سنين حارسا أميناً و مدافعا قويا لكتاب الهدايه و مشعل العلم و يقف أمام محاولات التشويه و التحريف،إنها معجزه هذا الكتاب الخالد و ذلك الرسول الامى الرائد و الذى كان أبعد الناس فى ذلك المجتمع الجاهلى عن الخرافات و الأساطير.إنه نور البصيره الربانيه التى أحاطت به بكل جوانب وجوده.

٢- أول المسلمين العابدين:

إن الخضوع المطلق لله خالق الكون و مبدع الوجود،و التسليم التام لعظيم

ص: ٤٠

١- (١) الاعراف(٧):١٥٨.

٢- (٢) النساء(٤):١١٣.

(٣)

٣-

المائدة(٥):١٥، الاحزاب(٣٣):٤٦، النساء(٤):١٧٤، الفتح(٤٨):٨، الزخرف(٤٣):٢٩، الاعراف(٧):٦٨، الغاشية(٨٨):٢١، الاسراء(١٧):١٠٥، المائدة(٥):١٩.

قدرته و نفاذ حكمته، و العبودية الاختيارية الكاملة تجاه الإله الأحد الفرد الصمد هي القمه الاولى التي لا بد لكل إنسان أن يجتازها كي يتهيأ للاجتماع و الاصطفاء الإلهي. و قد شهد القرآن الكريم بذلك لهذا النبي العظيم حين قال عنه: قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ... وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١).

إنه و سام الكمال الذي حازه هذا العبد المسلم وفاق في عبوديته من سواه على الإطلاق و تجلّت هذه العبودية المثلى في قوله و سلوكه حتى قال (صلى الله عليه و اله): «قرّه عيني في الصلاة» (٢) فهو ينتظر وقت الصلاة و يشتد شوقه للوقوف بين يدي الله و يقول لمؤذنه بلال: أرحنا يا بلال (٣) و قد كان يحدث أهله و يحدثونه فإذا دخل وقت الصلاة فكأنه لم يعرفهم و لم يعرفوه (٤). و كان إذا صلى يسمع لصدره أزيز المرجل (٥). و يبكي حتى يبيل مصلاً خشيه من الله عزّ و جلّ (٦)، و كان يصلّي حتى تنتفخ قدماه، فيقال له: أتفعل هذا و قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟! فيقول: أفلا أكون عبدا شكورا (٧)؟

و كان يصوم شعبان و رمضان و ثلاثه أيام من كل شهر (٨)، و كان اذا دخل شهر رمضان يتغير لونه و تكثر صلاته و يبتهل في الدعاء (٩). و اذا دخل العشر

ص: ٤١

- ١- (١) الأنعام (٦): ١٦١-١٦٣.
- ٢- (٢) امالي الطوسي: ١٤١/٢.
- ٣- (٣) بحار الانوار: ١٦/٨٣.
- ٤- (٤) اخلاق النبي و آدابه: ٢٥١.
- ٥- (٥) المصدر السابق: ٢٠١.
- ٦- (٦) سنن النبي: ٣٢.
- ٧- (٧) اخلاق النبي: ١٩٩، و صحيح البخاري: ١/٣٨١/الحديث ١٠٧٨.
- ٨- (٨) وسائل الشيعة: ٣٠٩/٤.
- ٩- (٩) سنن النبي: ٣٠٠.

الأواخر منه شدّ المئزر و اجتنب النساء و أحيى الليل و تفرّغ للعباده (١). و كان يقول عن الدعاء: «الدعاء مَخَّ العباده» (٢) و «سلاح المؤمن و عمود الدين و نور السماوات و الأرض» (٣). و قد كان دائم الاتصال بالله، دائم الانشداد إليه بالضراعه و الدعاء فى كل عمل كبير أو صغير، حتى كان يستغفر الله كل يوم سبعين مرّه و يتوب إليه سبعين مره من غير ذنب (٤)، و لم يستيقظ من نوم قطّ إلا خرّ لله ساجدا (٥) و كان يحمد الله فى كل يوم ثلاثمائه و ستين مرّه و يقول: «الحمد لله ربّ العالمين كثيرا على كل حال» (٦) و لقد كان دؤوبا على قراءه القرآن و شغوفًا به.

و نزل عليه جبرئيل مخففا لما أجهد نفسه بالعباده بقوله تعالى: طه* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٧)

٣- الثقة المطلقة بالله تعالى:

قال الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه و اله): أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ (٨)؟

و قال له أيضا: وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ (٩).

و قد كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) كما قال الله تعالى على ثقة مطلقه به سبحانه.

ص: ٤٢

١- (١) الكافي: ١٥٥/٤.

٢- (٢) المحججه البيضاء: ٢٨٢/٢.

٣- (٣) المصدر السابق: ٢٨٤/٢.

٤- (٤) بحار الانوار: ٢١٧/١٦.

٥- (٥) المصدر السابق: ٢٥٣/١٦.

٦- (٦) الكافي: ٥٠٣/٢.

٧- (٧) طه (٢٠): ٢-١.

٨- (٨) الزمر (٣٩): ٣٦.

٩- (٩) الشعراء (٢٦): ٢١٧-٢١٩.

جاء عن جابر أنه قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه و اله) بذات الرقاع فإذا أتينا على شجره ظليله تركناها لرسول الله، فجاء رجل من المشركين و سيف رسول الله (صلى الله عليه و اله) معلق بالشجره فاخرطه و قال: تخافنى؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك منى؟ قال: الله. فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله السيف فقال: من يمنعك منى؟ فقال: كن خير آخذ. فقال: تشهد أن لا اله الا الله و أنى رسول الله؟ قال: لا و لكنى أعاهدك أن لا اقاتلك و لا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلّى سبيله فأتى أصحابه فقال:

جتكم من عند خير الناس (١).

٤- الشجاعه الفائقه:

قال الله تعالى: الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ (٢) و جاء عن على بن أبى طالب (عليه السلام) -الذى طأطأ له فرسان العرب- أنه: كنا إذا احمرّ البأس و لقي القوم اتقينا برسول الله (صلى الله عليه و اله) فما يكون أحد أدنى من القوم منه (٣).

و وصف المقداد ثبات رسول الله (صلى الله عليه و اله) يوم احد بعد أن تفرّق الناس و تركوا رسول الله (صلى الله عليه و اله) وحده فقال: و الذى بعته بالحق إن رأيت رسول الله (صلى الله عليه و اله) زال شبرا واحدا. إنه لفى وجه العدو تثوب اليه طائفه من أصحابه مرّه و تتفرّق عنه مرّه، فريما رأيته قائما يرمى عن قوسه أو يرمى بالحجر حتى تحاجروا (٤).

ص: ٤٣

١- (١) رياض الصالحين (للنووى): ٥/٥ الحديث ٧٨، و صحيح مسلم: ٤/٤٦٥.

٢- (٢) الاحزاب (٣٣): ٣٩.

٣- (٣) فضائل الخمسه من الصحاح الستة: ١/١٣٨.

٤- (٤) مغازى الواقدى: ١/٢٣٩-٢٤٠.

قال تعالى: **وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقَىٰ (١)**.

و عن أبي أمامه عن النبي (صلى الله عليه و اله): أنه قال: عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، قلت: لا يا رب و لكن أشبع يوماً و أجوع يوماً.. فإذا جعت تضرعت إليك و ذكرتك، و إذا شبعت شكرتك و حمدتك (٢).

و نام على حصير فقام و قد أثر في جنبه، فقيل له: يا رسول الله لو اتخذنا لك و طاء فقال: ما لي و ما للدنيا؟! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجره ثم راح و تركها (٣).

و قال ابن عباس: كان رسول الله يبيت الليالي المتتابعة طاوياً و أهله لا يجدون عشاء و كان أكثر خبزهم خبز الشعير (٤).

و قالت عائشه: ما أكل آل محمد أكلتين في يوم واحد إلا إحداهما تمر (٥).

و قالت: توفي رسول الله (صلى الله عليه و اله) و درعه مرهونه عند يهودى بثلاثين صاعاً من شعير (٦).

و عن أنس بن مالك أن فاطمه جاءت بكسره خبز الى النبي (صلى الله عليه و اله) فقال: ما هذه الكسره يا فاطمه؟ قالت: قرص خبز، فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسره. فقال:

ص: ٤٤

١- (١) طه (٢٠): ١٣١.

٢- (٢) سنن الترمذى: ٥١٨/٤/الحديث ٢٣٧٧.

٣- (٣) المصدر السابق.

٤- (٤) سنن الترمذى: ٥٠١/٤/الحديث ٢٣٦٠.

٥- (٥) صحيح البخارى: ٢٣٧١/٥/الحديث ٦٠٩٠.

٦- (٦) صحيح البخارى: ١٠٦٨/٣/الحديث ٢٧٥٩.

أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثه أيام (١).

و عن قتاده قال: كنا عند أنس و عنده خباز له فقال: ما أكل النبي (صلى الله عليه و اله) خبزاً مرققاً و لا شاه مسموطه حتى لقي الله (٢).

٦- جود و حلم عظيمان:

قال ابن عباس: كان النبي (صلى الله عليه و اله) أجود الناس بالخير، و كان أجود ما يكون في شهر رمضان.. إن جبريل كان يلقاه في كل سنه من رمضان.. فإذا لقيه جبريل كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) أجود بالخير من الريح المرسله (٣).

و قال جابر: ما سئل النبي (صلى الله عليه و اله) شيئاً قط فقال لا (٤).

و روى أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أتى صاحب بز فاشترى منه قميصاً بأربعة دراهم فخرج و هو عليه، فإذا رجل من الأنصار. فقال: يا رسول الله أكرسني قميصاً كسائك الله من ثياب الجنة فتزع القميص فكساه إياه، ثم رجع الى صاحب الحانوت فاشترى منه قميصاً بأربعة دراهم و بقي معه درهمان فاذا هو بجاريه في الطريق تبكى فقال: ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله دفع الى أهلى درهمان اشترى بهما دقيقاً فهلكا، فدفع النبي (صلى الله عليه و اله) إليها الدرهمين فقالت: أخاف أن يضربوني فمشى معها الى أهلها فسلم فعرفوا صوته، ثم عاد فسلم، ثم عاد فثلث، فردوا، فقال:

أسمعتهم أول السلام؟ فقالوا: نعم و لكن أحببنا أن تزيدنا من السلام. فما أشخصك بأبينا و أمنا؟ قال: أشفقت هذه الجاريه أن تضربوها، قال صاحبها: هي حره لوجه الله لممشاك معها. فبشّرهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) بالخير و بالجنة؛ و قال: لقد بارك الله في

ص: ٤٥

١- (١) الطبقات (لابن سعد): ١/٤٠٠.

٢- (٢) مسند أحمد: ٣/٥٨٢/الحديث ١١٨٨٧.

٣- (٣) صحيح مسلم: ٤/٤٨١/الحديث ٣٣٠٨، و مسند أحمد: ١/٥٩٨/الحديث ٣٤١٥.

٤- (٤) سنن الدارمي: ١/٣٤.

العشره كسا الله نبيه قميصا و رجلا من الأنصار قميصا و أعتق منها رقبه، و أحمد الله هو الذى رزقنا هذا بقدرته (١).

و كان إذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير و أعطى كل سائل (٢).

و عن عائشه: أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) ما انتقم لنفسه شيئا يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمت الله. و لا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يضرب بها فى سبيل الله و لا سئل شيئا قط فممنعه إلا أن يسأل مأثما فإنه كان أبعد الناس منه (٣).

و عن عبيد بن عمير: أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) ما اتى فى غير حد إلا عفا عنه (٤).

و قال أنس: خدمت رسول الله عشر سنين. فما قال لى أف قط، و ما قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ و لا لشيء تركته: لم تركته؟ (٥).

و جاءه أعرابي فجذب رداءه بشده حتى أثرت حاشيه الرداء على عاتق النبي (صلى الله عليه و اله) ثم قال له: يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك. فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

لقد عرف (صلى الله عليه و اله) بالعفو و السماحه طيله حياته... فقد عفا عن وحشى قاتل عمه حمزه... كما عفا عن المرأه اليهوديه التى قدمت له شاه مسمومه و عفا عن أبى سفيان و جعل الدخول الى داره أمانا من القتل. و عفا عن قريش التى عتت عن أمر ربها و حاربتة بكل ما لديها.. و هو فى ذروه القدره و العزه قائلا لهم: «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون.. اذهبوا فأنتم الطلقاء» (٦).

ص: ٤٦

١- (١) المعجم الكبير (الطبرانى): ١٢/٣٣٧/الحديث ١٣٦٠٧.

٢- (٢) حياه النبي و سيرته: ٣/٣١١.

٣- (٣) حياه النبي و سيرته: ٣/٣٠٦.

٤- (٤) المصدر: ٣/٣٠٧.

٥- (٥) صحيح البخارى: ٥/٢٢٦٠/الحديث ٥٧٣٨.

٦- (٦) محمد فى القرآن: ٦٠-٦٥.

لقد أفصح القرآن عن عظمه حلم الرسول (صلى الله عليه و اله) بقوله تعالى: **وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ (١)**، و وصف مدى رأفته و رحمته بقوله تعالى: **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (٢)**.

٧- حياؤه و تواضعه:

عن أبي سعيد الخدري: كان النبي (صلى الله عليه و اله) أشد حياء من العذراء فى خدرها و إذا كره شيئا عرف فى وجهه (٣).

و عن على (عليه السلام): كان النبي (صلى الله عليه و اله) إذا سئل شيئا فأراد أن يفعل قال: نعم و إذا أراد أن لا يفعل سكت، و كان لا يقول لشيء لا (٤).

و عن يحيى بن أبي كثير أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: آكل كما يأكل العبد و أجلس كما يجلس العبد. فإنا أنا عبد (٥). كما اشتهر عنه أنه كان يسلم على الصبيان (٦).

و كلم النبي (صلى الله عليه و اله) رجلا فأرعد. فقال: هوّن عليك فإنى لست بملك إنما أنا ابن امرأه تأكل القديد (٧).

و عن أبى أمامه: خرج علينا رسول الله متوكئا على عصا، فقمنا إليه فقال:

«لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا» (٨).

ص: ٤٧

١- ((١)) آل عمران (٣): ١٥٩.

٢- ((٢)) التوبه (٩): ١٢٨.

٣- ((٣)) صحيح البخارى: ١٣٠٦/٣/١٣٠٦/٣. الحديث ٣٣٦٩.

٤- ((٤)) مجمع الزوائد: ١٣/٩.

٥- ((٥)) الطبقات (لابن سعد): ٣٧/١/٣٧/١. و مجمع الزوائد: ١٩/٩.

٦- ((٦)) حياه النبي و سيرته: ٣/٣١٣/٣. عن ابن سعد.

٧- ((٧)) سنن ابن ماجه: ١/٢/١١٠١/١١٠١. الحديث ٣٣١٢.

٨- ((٨)) سنن أبى داود: ٤/٣٥٨/٤/٣٥٨. الحديث ٥٢٣٠.

و كان يداعب أصحابه و لا يقول إلا حَقًّا (١). و لقد شارك أصحابه فى بناء المسجد (٢) و حفر الخندق (٣) و كان يكثر من مشاوره أصحابه بالرغم من أنه كان أرجح الناس عقلاً (٤).

و كان يقول: «اللهم أحيى مسكينا و توفى مسكينا و احشرنى فى زمره المساكين و إنَّ أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا و عذاب الآخرة» (٥).

هذه صورته موجزه جدا عن بعض ملامح شخصيته (صلى الله عليه و اله) و بعض جوانب سلوكه الفردى و الاجتماعى. و هناك صور رائعه و كثيره عن سلوكه و سيرته الإداريه و السياسيه و العسكريه و الاقتصاديه و الاسريه التى تستحق الدراسه المعمقه للتأسى بها و الاستلهام منها، نتركها الى الفصول اللاحقه.

ص: ٤٨

١- (١) سنن الترمذى: ٣٠٤/٤/٤ الحديث ١٩٩٠.

٢- (٢) مسند أحمد: ٨٠/٣.

٣- (٣) الطبقات (لابن سعد): ٢٤٠/١.

٤- (٤) الدر المنثور: ٣٥٩/٢، و المواهب اللدنيه: ٣٣١/٢.

٥- (٥) سنن الترمذى: ٤٩٩/٤/٤ الحديث ٢٣٥٢.

الباب الثاني: دور الولاده والنشأه

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

دور الولاده والنشأه

الفصل الثاني:

دور الفتوه والشباب

الفصل الثالث:

من الزواج الى البعثه

ص: ٤٩

دور الولاده و النشأه

١- ملامح انهيار المجتمع الوثني:

استحكمت الفساد و الظلم فى مجتمع الجزيره فى الفتره التى سبقت البعثه النبويه فلم تعد كتله المجتمع واحده و لم تكن الخصائص الاجتماعيه و الثقافيه التى أوجدتها طبيعه الحياه فى الصحراء كافيه لإيقاف حاله الانهيار التى بدت ملامحها على المجتمع فى الجزيره العربيه. و ما الأحلاف التى نشأت إلا تعبير عن ظاهره اجتماعيه لمقاومه ذلك التحلل و لكنها فى تعددها دليل على انعدام القوه المركزيه فى المجتمع.

و لا نلاحظ حركه إصلاحيه تغييريه يذكرها لنا التأريخ تكون قد سعت للنهوض بالمجتمع و الارتقاء به نحو الحياه الفضلى سوى حركه بعض الأفراد التى تعبر عن حاله الرفض لهذا التفسخ و الظلم الاجتماعى متمثله فى حاله التحنث التى أبداها عدد قليل من أبناء الجزيره العربيه و لم ترتق الى مستوى النظرية أو الحركه

التغييريه الفاعله فى المجتمع... (١) و تفكك المجتمع القرشى قد نلاحظه أيضا فى ظاهره اختلافهم حول بناء الكعبه فى الوقت الذى كانت قريش من أعز القبائل العربيه و أشدها تماسكا. و يمكن لنا أن نستدل على تمداد المجتمع فى الفساد من خلال الإنذارات المتكرره من اليهود القاطنين فى الجزيره العربيه و استفتاحهم على أهالى الجزيره بظهور المصلح المنقذ للبشرية برسالته السماويه و كانوا يقولون لهم: ليخرجن نبى فليكسرن أصنامكم (٢).

٢- إيمان آباء النبى (صلى الله عليه و اله):

ولد النبى (صلى الله عليه و اله) و ترعرع فى عائلته تدين بالتوحيد و تتمتع بسمو الأخلاق و علو المنزله. فإيمان جدّه عبد المطلب نلمسه من كلامه و دعائه عند هجوم أبرهه الحبشى لهدم الكعبه إذ لم يلتجئ الى الأصنام بل توكل على الله لحمايه الكعبه (٣).

بل يمكن أن نقول إن عبد المطلب كان عارفا بشأن النبى (صلى الله عليه و اله) و مستقبله المرتبط بالسما من خلال الأخبار التى أكدت ذلك. و تجلت اهتماماته به فى الاستسقاء بالنبى (صلى الله عليه و اله) و هو رضيع، و ما ذلك إلا لما كان يعلمه من مكانته عند الله المنعم الرازق (٤)، و الشاهد الآخر هو تحذيره لأم أيمن من الغفله عند ما كان صغيرا (٥).

و كذلك حال عمه أبى طالب الذى استمر فى رعايه النبى (صلى الله عليه و اله) و دعمه لأجل تبليغ الرساله و الصدع بها حتى آخر لحظات عمره المبارك متحملا فى ذلك

ص: ٥٢

١- (١) راجع السيره النبويه: ٢٢٥/١.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٢٣١/١٥، و راجع السيره النبويه: ٢١١/١، البقره: ٨٩/٢.

٣- (٣) السيره النبويه: ٤٣-٤٢، الكامل فى التأريخ: ٢٦٠/١، بحار الأنوار: ١٣٠/٥.

٤- (٤) السيره الحلبيه: ١٨٢/١، الملل و النحل للشهرستانى: ٢٤٨/٢.

٥- (٥) سيره زينى دحلان بهامش السيره الحلبيه: ٦٤/١، و راجع تاريخ يعقوبى: ١٠/٢.

أذى قريش و قطيعتهم و حصارهم له فى الشعب. و نلمس هذا فى ما روى عن أبى طالب (عليه السلام) فى عده مواقف ترتبط بحرصه على سلامه حياه النبى (صلى الله عليه و اله) (١).

و أما والدا النبى (صلى الله عليه و اله) فالروايات داله على نيذهما للشرك و الأوثان و يكفى دليلا قول الرسول (صلى الله عليه و اله): «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» و فيه إيعاز الى طهاره آباءه و امهاته من كل دنس و شرك (٢).

٣- مولد الرسول (صلى الله عليه و اله):

ما إن استنفذت الديانه النصرانيه أغراضها فى المجتمع البشرى و لم تعد لها فاعليه تذكر حتى حلت فى الدنيا كل مظاهر التيه و الزيف، و أمسى الناس كافه ضلال فتن و حيره، استخفّتهم الجاهليه الجهلاء، و لم تكن أوضاع الروم بأقل سوءا من أوضاع منافسيهم فى فارس، و ما كانت جزيره العرب أفضل وضعاً من الاثنيين. و الكل على شفا حفرة من النار.

و قد وصف القرآن بصوره بليغه جانبا مأساويا من حياه البشر آنذاك، كما وصف سيد أهل بيت النبوه على بن أبى طالب (عليه السلام) ذلك الوضع المأساوى وصفا دقيقا عن حس و معاشه فى عدّه خطب، منها قوله فى وصف حال المجتمع الذى بعث فيه النبى (صلى الله عليه و اله):

«أرسله على حين فتره من الرسل و طول هجعه من الأمم و إعتزام من الفتن، و انتشار من الأمور و تلظّ من الحروب، و الدنيا كاسفه النور، ظاهره الغرور، على حين اصفرار من ورقها، و إياس من ثمرها، و اغورار من مائها، قد درست منار الهدى، و ظهرت أعلام الردى، فهى متجهمه لأهلها، عابسه فى وجه طالبها، ثمرها الفتنه، و طعامها الجيفه، و شعارها

ص: ٥٣

١- ((١)) السيره النبويه: ٩٧٩/١، تاريخ ابن عساكر: ٦٩/١، مجمع البيان: ٣٧/٧، مستدرک الحاکم: ٦٢٣/٢، الطبقات الكبرى: ١٦٨/١، السيره الحلييه: ١٨٩/١، اصول الكافى: ٤٤٨/١، الغدير: ٣٤٥/٧.

٢- ((٢)) سيره زينى دحلان بهامش السيره الحلييه: ٥٨/١، و راجع أوائل المقالات للشيخ المفيد: ١٢ و ١٣.

فى مثل هذا الطرف العصبى الذى كانت تمر به البشرىه سطح النور الإلهى فأضاء العباد و البلاد مبشرا بالحياه الكرىمه و السعاده الأبدىه. و ذلك عند ما بوركت أرض الحجاز بمولد النبى الأكرم محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) فى عام الفيل سنه (٥٧٠ ميلادىه) و فى شهر ربيع الأول على ما هو عليه أكثر المحدثين و المؤرخين.

و أما عن يوم ميلاده (صلّى الله عليه و اله)، فقد حدّده أهل بيته (عليهم السّلام) -و هم أدرى بما فى البيت- فقالوا: هو يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأول بعد طلوع الفجر، كما هو المشهور بين الإماميه، و عند غيرهم أنّه (صلّى الله عليه و اله) ولد فى يوم الاثنين الثانى عشر من الشهر نفسه (٢).

و تتحدث جملة من المصادر التارىخيه و الحدِيثيه عن وقوع حوادث عجيبيه يوم ولادته مثل: انطفاء نار فارس، و زلزال أصاب الناس حتّى تهدّمت الكنائس و البيع و زال كلّ شىء يعبد من دون الله عزّ و جل عن موضعه، و تساقط الأصنام المنصوبه فى الكعبه على وجوهها حتّى عمّيت على السحره و الكهّان أمورهم، و طلوع نجوم لم تر من قبل هذا و قد ولد (صلّى الله عليه و اله) و هو يقول: «الله أكبر، و الحمد لله كثيرا و سبحان الله بكره و أصيلا» (٣).

و اشتهر النبى (صلّى الله عليه و اله) ب: اسمين: «محمّد» و «أحمد» و قد ذكرهما القرآن الكرىم، و روى المؤرخون أنّ جدّه عبد المطلب قد سمّاه «محمدًا»، و أجاب من سأله عن سبب التسميه قائلا: أردت أن يحمد فى السماء و الأرض (٤). كما أن أمه

ص: ٥٤

١- (١) نهج البلاغه: الخطبه (٨٩).

٢- (٢) راجع، إمتاع الأسماع: ٣ حيث تجد جميع الأقوال المذكوره حول يوم ميلاد النبى (صلّى الله عليه و اله).

٣- (٣) تاريخ يعقوبى: ٨/٢، السيره الحلبيه: ٩٢/١.

٤- (٤) السيره الحلبيه: ١٢٨/١.

وقد بشر به الإنجيل على لسان عيسى (عليه السلام) - كما أخبر القرآن الكريم بذلك و صدقه علماء أهل الكتاب - وقد حكاه قوله تعالى: وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ (١). ولا مانع من أن يعرف الشخص باسمين ولقبين و كنيته في عرف الجزيرة العربية وغيرها.

٤- رضاعه اليمون:

أصبح محمد (صلى الله عليه و اله) الشغل الشاغل لجده عبد المطلب الذى فقد ابنه عبد الله - و هو أعزّ أبنائه - فى وقت مبكر جدا. من هنا أوكل جده رضاعه إلى «ثويبه» و هى جارية لأبى لهب كى يتسنى لهم إرساله إلى بادية بنى سعد ليرضع هناك و ينشأ فى بيئه نقيه بعيدا عن الأوبئه التى كانت تهدد الاطفال فى مكه و يتزعرع بين أبناء البادية كما هى عاده أشرف مكه فى إعطاء أطفالهم الرضع الى المرضع و كانت مرضع قبيله بنى سعد من المشهورات بهذا الأمر، و كانت تسكن حوالى مكه و نواحي الحرم و كانت نساؤهم يأتين إلى مكه فى موسم خاص من كل عام يلتمسن الرضعا خصوصا عام ولاده النبى (صلى الله عليه و اله) حيث كانت سنه جذب و قحط فكنّ بحاجه إلى مساعده أشرف مكه.

و زعم بعض المؤرخين أنه لم تقبل أیه واحده من تلك المرضع أن تأخذ «محمدًا» بسبب يتمه، و أوشكت قافلته المرضع أن ترجع و مع كل واحده رضيع إلا حلیمه بنت أبى ذؤيب السعديه فقد أعرضت عن النبى (صلى الله عليه و اله) أول الأمر كغيرها من المرضعات و حين لم تجد رضيعا قالت لزوجها: و الله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاآخذنه. و رجح لها زوجها ذلك فرجعت إليه و احتضنته و الأمل يملأ نفسها

فى أن تجد بسببه الخير و البركه (١).

و یردّ هذا الزعم مكانه البيت الهاشمى الرفيعه و شخصيه جدّه الذى عرف بالجود و الإحسان و مساعده المحتاجين و المحرومين.

على أن بعض المؤرخين قد ذكر أن أباه قد توفى بعد ولادته بعده أشهر (٢).

كما روى أنه (صلّى الله عليه و اله) لم يقبل إلاّ ثدى «حليمه» (٣).

قالت حليمه: استقبلنى عبد المطلب فقال: من أنت؟ فقلت: أنا امرأه من بنى سعد. قال ما اسمك؟ قلت: حليمه. فتبسم عبد المطلب و قال: بخ بخ سعد و حلم خصلتان فيهما خير الدهر و عزّ الأبد (٤).

و لم يخب ظنّ حليمه فى نيل البركه و زياده الخير بأخذ يتيم عبد المطلب فقد روى أن ثدى حليمه كان خاليا من اللبن فلما ارتضع النبى (صلّى الله عليه و اله) منه امتلأ و درّ لبنا.

و تقول حليمه: عند ما أخذنا رسول الله (صلّى الله عليه و اله) عرفنا الخير و الزيادة فى معاشنا و رياشنا حتى أثرتنا بعد الجذب و الجهد (٥).

و أمضى وليد «عبد المطلب» فى أحضان حليمه و زوجها فى مراتب بنى سعد ما يقارب خمس سنوات رجعت به خلالها إلى أهله عند فطامه بعد أن أتم السنّين على كره منها؛ لما وجدت فيه من السعاده و الخير، كما أن أمّه أرادت أن يشتد عود ابنها بعيدا عن مكه، خوفا عليه من الأمراض فرجعت به مسروره.

و روى أنها جاءت به ثانيه الى مكه خوفا عليه من أيدى السوء عند ما

ص: ٥٦

١- ((١)) السيره الحلبيه: ١٤٦/١.

٢- ((٢)) الصحيح من سيره النبى الأعظم (صلّى الله عليه و اله): ٨١/١، السيره الحلبيه: ٨١/١.

٣- ((٣)) بحار الانوار: ٣٤٢/١٥.

٤- ((٤)) السيره الحلبيه: ١٤٧/١.

٥- ((٥)) بحار الانوار: ٣٤٥/١٥، المناقب لابن شهر آشوب: ٢٤/١، و راجع السيره الحلبيه: ١٤٩/١.

شاهدت جماعه من نصارى الحبشه القادمين الى الحجاز قد أصرّوا على أخذه معهم إلى الحبشه لأنهم وجدوا فيه علائم النبى الموعود، لينالوا بذلك شرف احتضانه و بلوغ المجد باتباعه (١).

٥- الاستسقاء بالنبى (صلى الله عليه و اله):

أشار المؤرخون إلى ظاهره الاستسقاء برسول الله (صلى الله عليه و اله) التى حدثت أكثر من مره فى حياته، حين كان رضيعا و حين كان غلاما فى حياه جدّه و عمه أبى طالب. فالمره الاولى: لما أصاب أهل مكّه من الجذب العظيم، و أمسك السحاب عنهم سنتين، أمر عبد المطلب ابنه أبا طالب أن يحضر حفيده محمدا (صلى الله عليه و اله) فأحضره - هو رضيع فى قماط فوضعه على يديه و استقبل الكعبه و قدّمه إلى السماء، و قال: يا ربّ بحق هذا الغلام، و جعل يكرّر قوله و يدعو: اسقنا غيثا مغيثا دائما هطلا، فلم يلبث ساعه حتى أطبقت الغيوم وجه السماء و هطل المطر منهمرا حتى خافوا من شدته على المسجد أن ينهدم (٢).

و تكرر الاستسقاء ثانيا بعد مده و كان النبى (صلى الله عليه و اله) فى هذه المره غلاما حين خرج به عبد المطلب الى جبل أبى قبيس و معه و جوه قريش يرجون الاستجابه ببركه النبى (صلى الله عليه و اله)، و قد أشار أبو طالب إلى هذه الواقعة بقصيده أولها:

أبونا شفيح الناس حين سقوا به من الغيث رجاس العشير بكور

و نحن - سنين المحل - قام شفيحنا بمكّه يدعو و المياه تغور (٣)

و نقل المؤرخون أن قريشا طلبت من أبى طالب أن يستسقى لهم فخرج

ص: ٥٧

١- (١) السيره النبويه: ١٦٧/١، بحار الانوار: ٤٠١/١٥، السيره الحلبيه: ١٥٥/١.

٢- (٢) الملل و النحل: ٢٤٨/٢، و راجع السيره الحلبيه: ١٨٢/١-١٨٣.

٣- (٣) السيره الحلبيه: ٣٣١/١.

أبو طالب الى المسجد الحرام و بيده النبي (صلى الله عليه و اله) -و هو غلام- كأنه شمس دجى تجلت عنها غمامه- فدعا الله بالنبي (صلى الله عليه و اله) فأقبلت السحاب فى السماء و هطل المطر فسالت به الأودية و سرّ الجميع و قد ذكر أبو طالب هذه الكرامه أيضا عند ما تمادت قريش فى عدائها للنبي (صلى الله عليه و اله) و رسالته المباركه فقال:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمه للأرامل

تلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمه و فواضل (١)

و كلّ هذا يعرب لنا عن توحيد كفىلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) الخالص و إيمانهما بالله تعالى، و لو لم يكن لهما إلا هذان الموقفان لكفاهما فخرا و اعتزازا. و هذا يدل أيضا على أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قد نشأ فى بيت كانت الديانه السائده فيه هى الحنيفيه و توحيد الله تعالى.

٦- مع امه آمنه:

لم يتمتع النبي (صلى الله عليه و اله) بطول رعايه أمه الحنون التى عاشت بعد أبيه و هى تنتظر أن يشبّ يتيم عبد الله ليكون لها سلوه عن فقد زوجها الحبيب و لكن الموت لم يمهلها طويلا. فقد روى أن حليمه السعديه جاءت بالنبي (صلى الله عليه و اله) الى أهله و قد بلغ خمس سنين. و أرادت أمه آمنه أن تحمله معها و تزور قبر زوجها العزيز و يزور محمد (صلى الله عليه و اله) أخواله من بنى النجار فى يثرب فيتعرف فى هذه السفره عليهم و لكن هذه الرحله لم تترك على النبي (صلى الله عليه و اله) إلا حزنا آخر حيث فقد أمه فى طريق العوده فى منطقته تدعى بالأبواء بعد أن زار الدار التى توفى و دفن فيها أبوه، و كأنّ تلاحق الأحزان على قلب النبي (صلى الله عليه و اله) فى طفولته كانت خطوات إعداد إلهى لتكامل نفسه الشريفه.

ص: ٥٨

١- ((١)) السيره الحلبيه: ١/١٩٠، البدايه و النهايه: ٣/٥٢، بحار الأنوار: ٢/٨.

وواصلت أم أيمن رحلتها نحو مكة و هي تصطحب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الى جدّه عبد المطلب الذي ازداد تعلقاً بحفيده محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ). (١).

٧- مع جدّه عبد المطلب:

بلغ محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في قلب عبد المطلب مكانه لم يبلغها أحد من بنيه و أحفاده و هم سادات بطحاء مكة، فقد روى أن عبد المطلب كان يجلس في فناء الكعبه على بساط كان يمد له و حوله وجوه قريش و ساداتها و أولاده، فإذا وقعت عيناه على حفيده «محمد» (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أمر بأن يفرج له حتى يتقدم نحوه ثم يجلسه إلى جنبه على ذلك البساط الخاص به (٢). و هذه العناية من سيد قريش قد عززت من مكانه محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في نفوس قريش إضافة إلى سمو أخلاقه منذ نعومه أظفاره.

و لقد أشار القرآن الكريم إلى فتره اليتيم هذه التي اجتازها النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) تحت رعايه ربه بقوله تعالى: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَفتره اليتيم عاده تصب في صياغه الإنسان و إعداده للنضج و الاعتماد على النفس في تحمّل الصعاب و المكاره عند مواجهتها و الصبر عليها. و هكذا تولّى الله إعداد نبيّه المختار ليكون قادرا على تحمل مهام المستقبل و حمل الرساله الكبرى التي كانت تنتظر نضجه و كماله. و قد أشار النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الى هذه الحقيقه بقوله: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» (٣).

و لم يمض من عمر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أكثر من ثمان سنوات حتى منى بمحنه ثالته و هي فقد جدّه العظيم «عبد المطلب»، و قد حزن محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لموت جدّه حزنا لا يقل عن حزنه لموت أمه حتى أنه بكى بكاء شديدا و هو يتبع نعشه إلى

ص: ٥٩

١- (١) السيره الحلبيه: ١٠٥/١.

٢- (٢) السيره النبويه: ١٦٨/١.

٣- (٣) مجمع البيان: ٣٣٣/٥ تفسير مطلع سوره القلم.

مقرّه الأخير، و لم ينس ذكره أبدا؛ إذ كان يرعاه خير رعايه و كان عارفا بنبوّته فقد روى أنّه قال-لمن أراد أن ينحى عنه محمّدا(صلّى الله عليه و اله) عند ما كان طفلا يدرج:-دع ابني فإنّ الملك قد أتاه (١).

ص: ٦٠

١- (١) تاريخ يعقوبى: ١٠/٢.

١- كفالته أبي طالب للنبي (صلى الله عليه و اله):

لقد استمرت رعايه عبد المطلب لحفيده «محمد» (صلى الله عليه و اله) حين أوكل أمره إلى ولده أبي طالب لما كان يعلم من أن أبا طالب سيقوم برعايه ابن أخيه خير قيام و هو و إن كان فقيرا لكنّه كان أنبل إخوته و أكرمهم في قريش مكانه و احتراماً. على أنّ أبا طالب كان شقيق عبد الله لأمه و أبيه و هو مما يزيد أواصر التلاحم مع «محمد» (صلى الله عليه و اله) و الحنان و العطف عليه.

و تقبل أبو طالب هذه المسؤوليه بفخر و اعتزاز و كانت تعينه في ذلك زوجته الطيبه فاطمه بنت أسد فكانا يؤثران محمدا بالنفقة و الكسوه على نفسيهما و على أولادهما، و قد عبّر النبي (صلى الله عليه و اله) عن ذلك حين وفاه فاطمه بنت أسد قائلاً:

اليوم ماتت أمي. و كفّنها بقميصه و اضطجع في لحدها.

و منذ وفاه عبد المطلب بدأت مهمه أبي طالب الشاقّة في المحافظه على النبي (صلى الله عليه و اله) فكان يقيه بماله و نفسه و جاهه منذ صغره و يدافع عنه و ينصره بيده و لسانه طوال حياته حتى نشأ محمّد (صلى الله عليه و اله) و تلقى النبوه و صدع بالرساله (١).

ص: ٦١

١- ((١)) مناقب آل أبي طالب: ٣٥/١، تاريخ يعقوبي: ١٤/٢.

٢- السفره الاولى الى الشام:

كان من عادته قريش الخروج الى الشام كل عام مره للتجاره إذ كانت هي المصدر الرئيس للكسب و عزم أبو طالب على الخروج في هذه الرحله و لم يكن يفكر في استصحاب محمد(صلى الله عليه و اله) خوفا عليه من و عتاء السفر و مخاطر اجتياز الصحراء، و لكن في لحظه الرحيل غير أبو طالب قراره إذ وجد الإصرار لدى ابن أخيه كبيرا حين أغر و رقت عيناه بالدموع لفراق عمه، فكانت الرحله الاولى لمحمد(صلى الله عليه و اله) إلى الشام بصحبه عمه. و أطلع محمد في هذه الرحله على طبيعه السفر عبر الصحراء و عرف طرق سير القوافل.

و في هذه الرحله شاهد بحيرا الراهب محمدا و التقى به و وجد فيه علامات النبى الخاتم الذى بشر به عيسى(عليه السلام)) إذ كان ممن خبر التوراه و الأنجيل و غيرهما من المصادر المبشره بظهور النبى الخاتم، فنصح عمه أبا طالب أن يعود به إلى مكه و أن يحتاط عليه من اليهود لئلا يغتالوه (١). فقفل أبو طالب راجعا الى مكه و معه ابن أخيه محمد(صلى الله عليه و اله).

٣- رعى الغنم:

لم يرو عن أئمه أهل البيت(عليهم السلام) ما ينص على أن رسول الله(صلى الله عليه و اله) قد رعى الأغنام فى صباه، نعم روى عن الإمام الصادق(عليه السلام) حديث يعم الأنبياء فيما يخص الرعى و حكمه ذلك إذ جاء فيه: «ما بعث الله نبيا قط حتى يسترعيه الغنم، يعلمه بذلك رعيه للناس».

ص: ٦٢

١- (١) سيره ابن هشام: ١/١٩٤، الصحيح من سيره النبى: ٩١/١-٩٤.

كما روى عنه (عليه السلام) في حكمه الحرث و الرعى قوله: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَحَبُّ لَأَنْبِيَائِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ: الحرث و الرعى، لئلا يكرهوا شيئا من قطر السماء» (١).

و روى أيضا: إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) ما كان أجيرا لأحد قط (٢).

و يدل هذا النص على أنه لم يكن يرعى الغنم لأهل مكة بأجره كما زعم بعض المؤرخين من أنه (صلى الله عليه و اله) قد رعى الغنم لأهل مكة مستشهدا بحديث جاء في صحيح البخارى (٣).

و إذا ثبت لدينا رعيه (صلى الله عليه و اله) للغنم فى صباه أو فى عنفوان شبابه أمكن تعليل ذلك بما جاء فى النص الذى أشرنا إليه من حديث الإمام الصادق (عليه السلام) و هو الإعداد الإلهى له من خلال ممارسه النشاط الذى يؤهله لبلوغ المرتبه الساميه من الكمال الذى وصفه الله تعالى به بقوله: «وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (٤) كما لا- يجعله مستعدا لتحمل أعباء الرساله الإلهيه التى تتطلب رعايه الناس و تربيتهم و الصبر على مصاعب هدايتهم و إرشادهم.

٤- حروب الفجار:

كانت للعرب عدّه حروب استحلّت فيها حرمة الأشهر الحرم فسميت بحروب الفجار (٥).

و زعم بعض المؤرخين أنّ النبى (صلى الله عليه و اله) قد حضر بعض أيامها، و شارك فيها بنحو من المشاركه. و قد شكك بعض المحققين فى ذلك لأسباب منها:

ص: ٦٣

١- (١) علل الشرائع: ص ٢٣، سفينه البحار: ماده نبأ.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ٢/٢١، البدايه و النهايه: ٢/٢٩٦.

٣- (٣) صحيح البخارى: كتاب الاجاره، الباب ٣٠٣، الحديث رقم ٤٩٩.

٤- (٤) القلم: ٤/٦٨.

٥- (٥) موسوعه التاريخ الإسلامى ١: ٣٠١-٣٠٥ عن الأغاني ١٩: ٧٤-٨٠.

اولاً: أن الرسول (صلى الله عليه و اله) كلما تقدم في العمر كانت شخصيته تزداد تألقاً و قد عرف بشجاعته الفائقة كسائر بني هاشم، و لكن هذا لا يعنى أنهم شاركوا في حرب فيها ظلم و فساد. فقد روى أن أحداً من بني هاشم لم يحضر هذه الحروب فإن أبا طالب كان قد منع أن يكون فيها أحد منهم حين قال: هذا ظلم و عدوان، و قطيعه رحم، و استحلال للشهر الحرام، و لا أحضره و لا أحد من أهلى (١). و انسحب عبد الله بن جدعان و حرب بن أميه - و هو قائد قريش و كنانة حينذاك - و قالاً: لا نحضر أمراً تغيب عنه بنو هاشم (٢).

ثانياً: اختلفت الروايات حول الدور الذى أداه النبى (صلى الله عليه و اله) فى هذه الحرب، فبعضهم روى: أن عمله (صلى الله عليه و اله) كان يقتصر على مناوئه النبل لأعمامه و الرد على نبل عدوهم و حفظ متاعهم (٣). و روى آخر: أنه قد رمى فيها برميات (٤)، و روى ثالث أنه طعن أبا البراء ملاعب الأسنه فصرعه مع أنه كان غلاماً (٥)، و لا ندرى هل كانت العرب تسمح للغلام بخوض المعارك و الحروب (٦)؟

٥- حلف الفضول:

شعرت قريش بعد حرب الفجار بضعفها و تفرق كلمتها، و خشيت من طمع العرب فيها بعد أن كانت قويه منيعه، فدعا الزبير بن عبد المطلب إلى حلف

ص: ٦٤

١- (١) تاريخ يعقوبى: ١٥/٢.

٢- (٢) تاريخ يعقوبى: ١٥/٢.

٣- (٣) راجع موسوعه التاريخ الاسلامى: ٣٠٤/١.

٤- (٤ و ٥) السيره النبويه لزينى دحلان: ٢٥١/١، السيره الحلبيه: ١٢٧/١.

٥- (٦) تاريخ يعقوبى: ١٦/٢.

٦- (٧) راجع الصحيح فى السيره: ٩٥/١.

الفضول حيث اجتمعت بنو هاشم و زهره و تميم و بنو أسد في دار عبد الله بن جدعان، و غمس المتحالفون أيديهم في ماء زمزم و تحالفوا على نصره المظلوم، و التأسى بالمعاش، و النهى عن المنكر (١) و كان أشرف حلف في العهد الجاهلي.

و قد شارك محمد (صلى الله عليه و اله) في هذا الحلف و كان يومئذ قد جاوز العشرين من عمره (٢) و قد أثنى عليه بعد نبوته و أمضاه. بقوله: ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم و لو دعيت به في الإسلام لأجبت» (٣).

و قيل في سبب تسميته بحلف الفضول أنه قد حضره ثلاثة نفر أسماؤهم مشتقه من ماده «الفضل» و كان السبب في عقد هذا الحلف ما روى من أنه: أتى رجل من زييد أو من بنى أسد بن خزيمه مكه في شهر ذى القعدة ببضاعه فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي و حبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي قريشا فأبت الأحلاف من قريش معونه الزبيدي على العاص بن وائل و انتهره فلما رأى الزبيدي الشرَّ صعد على جبل أبي قبيس و استغاث فقام الزبير بن عبد المطلب و دعا إلى الحلف المذكور؛ فعقد، ثم مشوا الى العاص و انتزعوا منه سلعه الزبيدي فدفعوها إليه (٤).

٦- التجاره بأموال خديجه:

بدأت شخصيه محمد (صلى الله عليه و اله) تتألأ في المجتمع المكي بما كانت تتمتع به من خلق رفيع و علو همه و أمانه و صدق حديث فكانت القلوب تنجذب إليه و هو سليل أسره طاهره و لكن الفقر الذي كان حليف أبي طالب دفع بالأسره الكريمه

ص: ٦٥

١- ((١)) البدايه و النهايه: ٢٩٣/٣، و راجع شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٢٩/١٤ و ٢٨٣.

٢- ((٢)) تاريخ يعقوبى: ١٧/١.

٣- ((٣)) سيره ابن هشام: ١٤٢/١.

٤- ((٤)) السيره الحلبيه: ١٣٢/١، البدايه و النهايه: ٢٩١/٢.

التي كان يعيش فيها محمد(صلى الله عليه و اله) إلى أن يقترح أبو طالب على ابن أخيه الذي كان قد بلغ الخامسة و العشرين من عمره أن يخرج مضاربا بأموال خديجه بنت خويلد و بادر أبو طالب إلى خديجه و فاتحها بالأمر فرحبت به على الفور و سرّت سرورا عظيما لما كانت تعرفه عن محمد(صلى الله عليه و اله) و قد بذلت له ضعف ما كانت تبذل لغيره ممّن يخرج في تجارتها (١).

و سافر محمّد(صلى الله عليه و اله) إلى الشام يعينه في رحلته «ميسره» غلام خديجه و استطاع بجمال شمائله و رقيق عواطفه أن يكسب حبّ ميسره و إجلاله و استطاع بأمانته و حنكته أن يربح أوفر الربح و ظهرت له في سفره بعض الكرامات الباهره، فلما عادت القافله الى مكه أخبر ميسره خديجه بما شاهد و سمع (٢) مما زاد في اهتمام خديجه بمحمّد(صلى الله عليه و اله) و شوّقتها الى الاقتران به.

و زعم بعض المؤرخين: أنّ خديجه قد استأجرت في تجارتها، بينما قال اليعقوبى -و تاريخه الذى يعدّ من أقدم المصادر المعتمده- «و إنه ما كان مما يقول الناس: إنها استأجرت به بشيء، و لا كان أجيرا لأحد قط» (٣).

و قد ورد النصّ عن الإمام الحسن العسكري، عن أبيه الإمام الهادى(عليه السلام):

«إنّ رسول الله(صلى الله عليه و اله) كان يسافر الى الشام مضاربا لخديجه بنت خويلد» (٤).

ص: ٦٦

١- ((١)) راجع بحار الانوار: ٢٢/١٦، كشف الغمه: ١٣٤/٢ نقلا عن معالم العتره للجنابدى، و راجع أيضا السيره الحلبيه: ١٣٢/١.

٢- ((٢)) البدايه و النهايه: ٢٩٦/٢، السيره الحلبيه: ١٣٦/١.

٣- ((٣)) تاريخ اليعقوبى: ٢١/٢.

٤- ((٤)) بحار الأنوار: ٣٠٨/١٧.

اشاره

من الزواج الى البعثه

١- الزواج المبارك:

اشاره

كان لا بد لمثل شخصيه محمد(صلى الله عليه و اله)التي فاقت كل شخصيه من الاقتران بامرأه تناسبه و تتجاوب مع عظيم أهدافه و قيمه تواصل معه رحله الجهاد و العمل المضنيه و تصبر على متاعبه و مصاعبه،و لم يكن يومذاك امرأه تصلح لمحمد(صلى الله عليه و اله)و لهذه المهمه سوى خديجه،و شاء الله ذلك فاتجه قلب خديجه بكل عواطفه نحو محمد(صلى الله عليه و اله)و تعلق بشخصه الكريم. و لقد كانت خديجه(رضى الله عنها) من خير نساء قريش شرفا و أكثرهن مالا و أحسنهن جمالا،و كانت تدعى فى الجاهليه ب«الطاهره»و«سيده قريش».و كان كل رجال قومها حريصين على الاقتران بها.

و قد خطبها عظماء قريش و بذلوا لها الأموال،فرفضتهم جميعا (١)لما كانت تملك من عقل راجح يزن الأمور،و لكنّها اختارت محمدا(صلى الله عليه و اله)لما عرفت فيه من النبل و الأخلاق الكريمه و السجايا الفاضله و القيم العاليه.فطلبت النزول فى ساحه عظمته،و عرضت نفسها عليه.

ص:٦٧

و تضافرت النصوص التأريخيه على أنها هي التي أبدت أوّلا رغبتها في الاقتران به، فذهب أبو طالب في أهل بيته، و نفر من قريش لخطبتها من وليها آنذاك و هو عمها عمرو بن أسد (١) و كان ذلك قبل بعثه النبي (صلى الله عليه و اله) بخمس عشره سنه على المشهور.

و كان مما قاله أبو طالب في خطبته: «الحمد لربّ هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم و ذريه إسماعيل و أنزلنا حرما آمنا، و جعلنا الحكّام على الناس، و بارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه... ثم إن ابن أخي هذا ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به و لا يقاس به رجل إلا عظم عنه، و لا عدل له في الخلق و إن كان مقلّداً في المال؛ فإن المال رقد جار، و ظل زائل، و له في خديجه رغبه و لها فيه رغبه، و قد جئناك لنخطبها إليك، برضاها و أمرها و المهر علىّ في مالي الذي سألتموه عاجله و آجله... و له و ربّ هذا البيت حظّ عظيم، و دين شائع و رأى كامل» (٢).

لكن خديجه (رضى الله عنها) عادت، فضمنت المهر في مالها.. فقال البعض: يا عجباً! المهر على النساء للرجال فغضب أبو طالب، و قال: «إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأعلى الأثمان و أعظم المهر، و إن كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالي».

و تفيد بعض المصادر أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) نفسه قد أمهرها، و لا مانع من ذلك حينما يكون قد أمهرها بواسطة أبي طالب، و من خطبه أبي طالب يمكننا أن نستشف علو مكانه الرسول (صلى الله عليه و اله) في قلوب الناس، و ما كان يتمتع به بنو هاشم من شرف و سؤدد.

ص: ٦٨

١- (١) السيره الحلبيه: ١/١٣٧.

٢- (٢) الكافي: ٥/٣٧٤، بحار الانوار: ٥/١٦، نقلا- عن الكشاف و ربيع الابرار، و راجع أيضا السيره الحلبيه: ١/١٣٩، تاريخ يعقوبي: ٢/٢٠، الأوائل لأبي هلال: ١/١٦٢.

خديجه قبل أن يتزوجها النبي (صلى الله عليه و اله):

ولدت خديجه وسط اسره عريقه النسب كانت تتمتع بالذكر الطيب و الخلق الكريم و تميل إلى التدين بالحنيفيه-دين إبراهيم الخليل (عليه السلام)-فأبوها خويلد نازع ملك اليمن حين أراد أن يحمل الحجر الأسود إلى اليمن، و لم ترهبه كثرة أنصاره دفاعا عن معتقده و مناسك دينه، و أسد بن عبد العزى-جد خديجه- كان من المبرزين في حلف الفضول الذي قام على أساس نصره المظلوم، و قد شهد رسول الله (صلى الله عليه و اله) لأهميه هذا الحلف و أيد القيم التي قام عليها (١). و ابن عمها ورقه بن نوفل كان قد عاش النصرى و اليهود و درس كتبهم.

إن التأريخ لا- يعطينا تفاصيل دقيقه عن حياه خديجه قبل زواجها من النبي (صلى الله عليه و اله). فقد روى أنها تزوجت قبله (صلى الله عليه و اله) برجلين و كان لها منهما بعض الأولاد و هما عتيق بن عائذ المخزومي و أبو هاله التميمي (٢)، في حين تروى مصادر أخرى أن النبي (صلى الله عليه و اله) حين تزوج بها كانت بكرًا، و حينئذ تكون زينب و رقيه ابنتى هاله أخت خديجه قد تبنتهما خديجه بعد فقدهما لأمهما (٣).

و اختلف المؤرخون في تحديد عمر خديجه (رضى الله عنها) حين زواجها مع النبي (صلى الله عليه و اله) فهناك من روى أن عمرها كان (٢٥) عاما و آخر (٢٨) عاما و ثالث (٣٠) عاما و رابع (٣٥) عاما و خامس (٤٠) عاما ٤.

ص: ٦٩

١- ((١)) السيره النبويه: ١٤١/١.

٢- ((٢)) للإطلاع على اختلاف الروايات راجع الاصابه: ٦١١/٣، السيره الحلبيه: ١٤٠/١، اسد الغابه: ٧١/٥ و ١٢١.

٣- ((٣)) مناقب آل أبى طالب: ١٥٩/١. و راجع أيضا أعلام الهدايه الجزء ٣، و الصحيح من سيره النبي الأعظم (صلى الله عليه و اله): ١٢١/١-١٢٦.

كان للكعبة منزله كبيره لدى العرب إذ كانت تعتنى بها و تحج إليها فى الجاهليه. و قبل البعثه النبويه بخمسه أعوام هدم السيل الكعبه فاجتمعت قريش و قررت بناءها و توسعتها و باشر أشرف القريشيين و المكيين العمل، و لما تكامل البناء و بلغوا الى موضع الحجر الأسود اختلفوا فى من يضعه فى مكانه؛ فكل قبيله كانت تريد أن تختص بشرف ذلك و استعدوا للقتال و انضم كل حليف إلى حليفه و تركوا العمل فى بنائها ثم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا و اتفقوا على ان يكون أول داخل على الاجتماع هو الحكم بينهم و تعاهدوا على الالتزام بحكمه فكان أول داخل محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) فقالوا: هذا الأمين قد رضينا به، و أقدم النبى (صلّى الله عليه و اله) على حلّ النزاع حين جعل الحجر فى ثوب و قال: لتأخذ كل قبيله بناحية من الثوب، ثم قال: ارفعوا جميعا ففعلوا فلما حاذوا موضعه أخذه بيده الشريفه و وضعه حيث يجب أن يكون، و بعد ذلك أتموا بناءها ١.

و روى بعض المؤرخين: أنهم كانوا يتحاكمون إلى النبى (صلّى الله عليه و اله) فى الجاهليه لأنه كان لا يدارى و لا يمارى ٢.

لقد كان لهذا الموقف أثر كبير فى نفوس تلك القبائل و أعطى الرسول (صلّى الله عليه و اله) رصيذا كبيرا و عمقا جديدا لتثبيت مكانته الاجتماعيه و لفت انتباههم إلى قدراته القياديه و كفاءته الإداريه مما ركّز ثقتهم بسموّ حكمته و حنكته و عظيم أمانته.

٣- ولاده على (عليه السلام) وتربيته النبي (صلى الله عليه و اله) له:

إنّ العلاقة بين محمد (صلى الله عليه و اله) و على بن أبي طالب (عليه السلام) لا تقتصر على النسب بل تتميز بأنها علاقة فكريه و عاطفيه عميقه جدا، فما ان خرجت فاطمه بنت أسد تحمل وليدها الذى وضعتة فى بطن الكعبه (١) حتى تقدّم إليها محمد المصطفى (صلى الله عليه و اله) و أخذ عليها فضّمه إلى صدره (٢) و كانت هذه بدايه العنايه به و الإعداد الخاص له.

و نشأ الوليد فى أحضان والديه و ابن عمه محمد (صلى الله عليه و اله) الذى كان يتردد كثيرا على دار عمّه حتى بعد زواجه من خديجه (رضى الله عنها)، يشمله بفيض خاص من العواطف و الاهتمام الفائق يناغيه فى يقظته و يحمله على صدره، و يحرك مهده عند نومه. و قد انعكست هذه الرعايه المستمره لسنوات طويله و هذا الحنان العظيم الملفت للنظر بآثارها على سلوك على و شعوره حتى طفح على لسانه و كلامه فأشار الى شده قربه من رسول الله (صلى الله عليه و اله) بقوله (عليه السلام): «و قد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه و اله) بالقرابه القريبه و المنزله الخصيصه، و ضعني فى حجره و أنا وليد يضمّني إلى صدره و يكنفني فى فراشه و يمسنى جسده و يشمّنى عرفه و كان يمضغ الشيء ثم يلقمّني، و ما وجد لى كذبه فى قول و لا خطله فى فعل، و لقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر امه، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علما و يأمرنى بالافتداء به» (٣).

و حين اشتدت الأزمه الاقتصاديه على قريش سارع محمد (صلى الله عليه و اله) مقترحا

ص: ٧١

- ١- (١) قال الحاكم النيسابورى: «فقد تواترت الأخبار أن فاطمه بنت أسد ولدت أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه فى جوف الكعبه» المستدرک على الصحيحين: ٤٨٣/٣.
- ٢- (٢) الفصول المهمه لابن الصباغ: ١٣.
- ٣- (٣) نهج البلاغه: الخطبه القاصعه رقم (١٩٢).

على عمّيه حمزه و العباس أن يعينوا أبا طالب في شدّته فأخذ العباس طالبا و أخذ حمزه جعفرا و استبقى أبو طالب عقيلًا و أخذ محمد(صلى الله عليه و اله) عليًا و قال لهم: قد اخترت من اختار الله لى عليكم: عليا (١).

و هكذا انتقل عليّ (عليه السّلام)) إلى دار ابن عمه و رعايته و أخذت تتبلور شخصيته و لم يفارقه حتى آخر لحظات عمر النبيّ (صلى الله عليه و اله). أن اهتمام النبيّ (صلى الله عليه و اله) بعليّ (عليه السّلام)) لم يقتصر على فتره الأزمه الاقتصاديه و هذا يفيدنا بأنّ النبيّ (صلى الله عليه و اله) كان يهدف أمرا آخر هو أن يتربى عليّ (عليه السّلام)) فى حجره (صلى الله عليه و اله) ليعده إعدادا خاصا كى يتسنى له القيام بدور رسالى عظيم فى صيانته شريعته الرسول الخاتم التى كان الله قد اختار لها خير خلقه و صفوه عباده.

و هكذا هيا الله لعليّ (عليه السّلام)) أن يعيش منذ نعومه أظفاره فى كنف الرسول (صلى الله عليه و اله) يحظى بمودّته و حنانه، و يقتبس من أخلاقه و عظيم سجاياه. هذا و قد عامله النبيّ (صلى الله عليه و اله) كما لو كان ولده الحبيب.. و عاش على (عليه السّلام)) مع النبيّ (صلى الله عليه و اله) اله) كلّ التحولات الغيبية التى جرت لرسول الله (صلى الله عليه و اله) إذ لم يفارقه فى كل يومه (٢).

إن ما حفظه لنا التاريخ من سيره الإمام على (عليه السّلام)) يجسد لنا-بعمق و قوه- المدى الذى كان الإمام (عليه السّلام)) قد حظى به فى مضممار الإعداد الرسالى على يد الرسول (صلى الله عليه و اله) قبل البعثه و بعدها و ما خصّه به من إعداد روحى و نفسى ممّا جعله جديرا بالمرجعيه الفكرية و العلميه فضلا عن المرجعيه السياسيه بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله).

ص: ٧٢

١- (١) مقاتل الطالبين: ٣٦، الكامل فى التأريخ: ٣٧/١.

٢- (٢) نهج البلاغه: الخطبه ١٩٢، و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٣١٥/٤.

٤- ملامح من شخصيه خاتم الأنبياء (صلى الله عليه و اله) قبل البعثه:

لقد سطع اسم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) في مجتمع الجزيره العرييه في وقت كان الوهن و التفكك قد بدا على أواصر ذلك المجتمع بكل نواحيه و كانت شخصيه محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) تزداد تألقاً و سموًا.

و بدأت تظهر استقامه شخصيته في كل جوانب سلوكه و كمالته الاخلاقيه.

الى جانب الأصاله العائليه المتمثله في كرم المحتد و طهاره المولد يرفده الإمداد الغيبي و التسديد الإلهي الذي يصونه عن كل المعاصي و المساوي.

و لقد كان على بن أبي طالب أكثر الناس التصاقاً و معرفه بالرسول (صلى الله عليه و اله)، و كلامه عن الرسول أصدق قول حيث قال: «و لقد قرن الله به (صلى الله عليه و اله) من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره» (١).

و قد روى عنه (صلى الله عليه و اله) مدى بغضه للأصنام منذ الطفوله ففي قصه سفره إلى الشام مع عمه أبي طالب نجده يرفض أن يقيم وزناً للأوثان (٢).

لقد اختار محمد (صلى الله عليه و اله) لنفسه و لبناء شخصيته منهجاً خاصاً حقق له حياه زاخره بالمعنويه و القيم الساميه فلم يكن كلاً على أحد و لا- عاطلاً- عن العمل، فقد رعى الأغنام لأهله حين كان فتى يافعا (٣) و سافر للتجاره في عنفوان شبابه (٤)؛ و في جانب آخر من شخصيته الفدّه نلمس جمال الإنسانيه متجلياً في كمال الرحمه

ص: ٧٣

١- (١) نهج البلاغه: الخطبه ١٩٢.

٢- (٢) السيره النبويه: ١٨٢/١، الطبقات الكبرى: ١٥٤/١.

٣- (٣) السيره الحلبيه: ١٢٥/١، سفينه البحار، ماده نبأ، السيره النبويه لابن هشام: ١٦٦/١.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٢٢/١٦، كشف الغمه: ١٣/٢، الكامل في التاريخ: ٢٤/٢.

و غاية العطف على الضعفاء و الفقراء و خير نموذج على ذلك تعامله مع زيد بن حارثه الذى رفض العوده الى أبيه و فضّل الحياه الكريمه مع محمد(صلى الله عليه و اله) (١).

و هكذا نعرف أن محمدا(صلى الله عليه و اله) كان قبل بعثته رجلا ليبييا فاضلا رشيدا طوى سنوات شبابه و هو يملك أسمى مقومات التعامل الإنسانى و الاجتماعى فى مجتمع الجزيره الجاهلى و قد فاق بشخصيته المثلى جميع من سواه فى عامه المجتمع الإنسانى آنذاك، و بذلك شهد له التنزيل قائلا له: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٢)

ص: ٧٤

١- (١) الإصابه: ١/٥٤٥، اسد الغابه: ٢/٢٢٥.

٢- (٢) القلم (٦٨): ٤.

الباب الثالث: البعثة النبويه المباركه وارهاساتها

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

البعثة النبويه المباركه وارهاساتها

الفصل الثاني:

مراحل حركه الرساله فى العصر المكى

الفصل الثالث:

موقف بنى هاشم و أبى طالب من النبى (صلّى الله عليه و اله)

الفصل الرابع:

سنوات الانفراج حتى الهجره

ص: ٧٥

الفصل الأول: البعث النبوي المباركه وإرهاصاتها

البعثه النبويه المباركه وإرهاصاتها

تمثل نصوص القرآن الكريم أقدم النصوص التاريخيه التي تتمتع بالصحه و الدقه و المعاصره لأحداث عصر الرساله الاسلاميه،و المنهج العلمى يفرض علينا أن لا- نتجاوز نصوص القرآن الكريم فيما يخص عصر النبى(صلى الله عليه و اله)الذى نزلت فيه الآيات حين بعثته و استمرت بالتزول حتى وفاته.

و اذا عرفنا أن الروايات التاريخيه المتمثله فى كتب الحديث و السيره قد تأخر تدوينها عن عصر وقوع الحوادث أولاً،كما أنها قريبه من الدس و تطرق التزوير إليها ثانياً؛كان من الطبيعى و المنطقى أن نعرضها على محكمات الكتاب و السنه و العقل لتأخذ ما يوافقها و نرفض ما يخالفها.

و ينبغى أن لا يغيب عنا أن النبوه سفاره ربانيه و مهمه إلهيه تتعين من قبله سبحانه و تعالى لغرض رفسد البشريه بالهدايه اللازمه لها على مدى الحياه.و أن الله إنما يصطفى من عباده من يتمتع بخصائص فذه تجعله قادرا على أداء المهام الكبرى المراده منه و تحقيقها بالنحو اللائق.

اذن لا بد أن يكون المرسل من قبله تعالى مستوعبا للرساله و أهدافها و قادرا

ص:٧٧

على أداء الدور المطلوب منه على مستوى التلقى و التبليغ و التبيين و التطبيق و الدفاع و الصيانه و كل هذه المستويات من المسؤوليه تتطلب العلم و البصيره (و المعرفه) و سلامه النفس و صلاح الضمير و الصبر و الاستقامه و الشجاعه و الحلم و الانابه و العبوديه لله و الخشيه منه و الاخلاص له و العصمه (و التسديد الرباني) على طول الخط. و لم يكن خاتم المرسلين بدعا من الرسل بل هو أكملهم و أعظمهم فهو أجمع لصفات كمالهم و الله أعلم حيث يجعل رسالته.

و من أبده القضايا و من مقتضيات طبائع الاشياء أن يكون المرشح لمهمه رباتيه كبرى على استعداد تام لتقبلها و تنفيذها قبل أن يتولى تلك المهمه أو يرشح لأدائها. إذن لا بد للنبي الخاتم أن يكون قد أحرز كل متطلبات حمل هذه المسؤوليه الإلهيه و توفر على كل الخصائص اللازمه لتحقيق هذه المهمه الربانيه قبل البعثه المباركه. و هذا هو الذى تؤيده نصوص القرآن الكريم.

١- قال تعالى: كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١).

٢- وقال أيضا: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى (٢).

٣- وقال أيضا: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٣).

٤- وقال أيضا: وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٤).

إذن مصدر الوحي هو الله العزيز الحكيم. و المرسلون رجال يوحى اليهم الله

ص: ٧٨

١- ((١) الشورى(٤٢):٣.

٢- ((٢) يوسف(١٢):١٠٩.

٣- ((٣) الأنبياء(٢١):٢٥.

٤- ((٤) الأنبياء(٢١):٧٣.

سبحانه معالم توحيده و عبادته و يجعلهم أئمه يهدون بأمره كما يوحى إليهم تفاصيل الشريعة من فعل الخيرات و إقام الصلاة و إيتاء الزكاه و هم القدوه لغيرهم فى العباده و التجسيد الحى للاسلام الحقيقى لله سبحانه.

و فيما يخص خاتم النبیین يقول سبحانه و تعالى:

١- وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَ تُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ... (١).

٢- شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ* فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَ اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ قُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٢.

٣- اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِيزَانَ ٣.

٤- أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَ يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَ يُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢).

٥- وَ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ الْإِلَهَ وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَّرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ* وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ وَ لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥.

إن الذين عاصروا الرسول الكريم قبل بعثته و حتى وفاته لم يقدموا لنا تصويرا صحيحا و واضحا عن الرسول قبل بعثته بل و حين البعثة. و لعل أقدم

ص: ٧٩

١- (١ و ٢ و ٣) الشورى (٤٢): ٧ و ١٣ و ١٥ و ١٧.

٢- (٥ و ٤) الشورى (٤٢): ٢٤ و ٥١ و ٥٢.

النصوص و أتقنها هو ما جاء عن ربيب الرسول و ابن عمه و وصيّه الذى لم يفارقه قبل بعثته و عاشره طيله حياته، إلى جانب أمانته فى النقل و دقته فى تصوير هذه الشخصيه الفذه. فقد قال عن الفتره التى سبقت البعته النبويه و هو يتحدث عن الرسول (صلى الله عليه و اله):

«و لقد قرن الله به (صلى الله عليه و اله) من لدن أن كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم. ليله و نهاره. و لقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر امه.

يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علما. و قد كان يجاور كل سنه بحراء فأراه و لا يراه غيرى» (١).

و يتوافق هذا النص مع قوله تعالى: وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٢). فقد نزل هذا النص فى بدايه البعته. و الخلق ملكه نفسيه متجذره فى النفس لا تستحدث خلال أيام، فوصفه بعظمه خلقه يكشف عن سبق اتصافه بهذه الصفه قبل البعته المباركه.

و تتضح بجلاء بعض معالم شخصيته (صلى الله عليه و اله) قبل البعته من خلال نص حفيده الإمام الصادق (عليه السلام): ان الله عزّ و جلّ أذب نبيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال:

وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَ الدِّينِ وَ الْأَمَّةِ لَيْسَ لَيْسَ عِبَادَهُ (٣).

على أن الخلق العظيم جامع لتمام المكارم التى فسرها النص الوارد عن النبي (صلى الله عليه و اله) حيث يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق». فكيف يراد له تتميم مكارم الاخلاق و هو لم يتصف بها بعد؟! اذن لا بدّ من القول بأنّ النبي (صلى الله عليه و اله) كان قبل البعته قد أحرز جميع المكارم ليكون وصفه بالخلق العظيم وصفا صحيحا و منطقيا.

ص: ٨٠

١- (١) نهج البلاغه، الخطبه القاصعه: ٢٩٢.

٢- (٢) القلم (٦٨): ٤.

٣- (٣) الكافي: ١/٦٦/١ الحديث ٤.

فالرسول قبل بعثته كان مثال الشخصيه المتمرّنه المتعادله والواعيه المتكامله والجامعه لمكارم الأخلاق ومعالي الصفات وحميد الأفعال.

والنصوص القرآنيه التي تشير الى ظاهره الوحي الرسالي و كيفية تلقي الرسول(صلّى الله عليه و اله)له تصرّح بشكل لا يقبل التردد بما كان عليه الرسول من الطمأنينه والثبات والاستجابه التامه لأوامر الله تعالى و نواهيه التي كان يتلقاها قلبه الكريم.

لاحظ ما سقناه اليك من نصوص سوره الشورى، و اقرأ أيضا ما جاء في غيرها مثل قوله تعالى:

١- وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَ هُوَ بِالْأُنْفُثِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١).

٢- قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي (٢).

٣- قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ (٣).

٤- قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ (٤).

٥- قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ (٥).

٦- وَ لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (٦).

ص: ٨١

١- (١) النجم(٥٣):١-١١.

٢- (٢) الأنعام(٦):٥٧.

٣- (٣) الكهف(١٨):١١٠.

٤- (٤) الأنبياء(٢١):٤٥.

٥- (٥) الأنبياء(٢١):١٠٨.

٦- (٦) طه(٢٠):١١٤.

٧- وَإِنْ اهْتَدَيْتُمْ فِيمَا يُوحِي إِلَيْكُمْ رَبِّي (١).

٨- قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي (٢).

و اذا عرفت ما جاء فى هذه النصوص القرآنيه المباركه تستطيع أن تولّى وجهك شطر المصادر الحديثيه و التأريخيه لتقف على محكماتها و متشابهاتها.

قال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن الزهري عن عروه عن عائشه أنّها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله (صلى الله عليه و اله) من الوحي الرؤيا الصادقه فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبب اليه الخلاء. و كان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه... ثم يرجع الى خديجه فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق و هو فى غار حراء.

و ليس فى بدايه هذا النص ما يدعو للاستغراب سوى أن عائشه لم تكن حين بدء الوحي، و النص لا يفصح أنّها عمّن استقت هذه المعلومات؟ و هى لم تروه عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) مباشره. و لكن فى ذيل النص ما هو مدعاه للاستغراب طبعاً.

قالت: «ثم انطلقت به خديجه حتى أتت به ورقه بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، و هو ابن عم خديجه أختي أبيها، و كان امراً قد تنصّر فى الجاهليه و كان يكتب الكتاب العربى فكتب بالعربيه من الانجيل- ما شاء الله أن يكتب- و كان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت خديجه: أى ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقه: ابن أخى! ما ترى؟ فأخبره رسول الله (صلى الله عليه و اله) ما رأى. فقال ورقه: هذا الناموس الذى انزل على موسى (عليه السلام)، يا ليتنى فيها جذعا، ليتنى أكون حيًا حين يخرجك قومك، فقال رسول الله: «أو مخرجي هم؟ فقال ورقه: نعم. لم يأت رجل

ص: ٨٢

١- (١) سبأ (٣٤): ٥٠.

٢- (٢) يوسف (١٢): ١٠٨.

قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقه أن توفي» (١).

إن ورقه الذى لم يسلم بعد هو عارف بما سيجرى على النبي فضلا عن علمه بنبوته! بينما صاحب الدعوه و الرساله نفسه لم يتضح له الامر بعد! وإن ورقه هو الذى يفرض عليه الطمأنينه! أو القرآن قد صرح بأن النبي (صلى الله عليه و اله) على بينه من ربه، كما عرفت ذلك فى أكثر من آيه تنص على أن الرسل هم مصدر الهدايه للناس و هم أصحاب البينات و ليس العكس هو الصحيح، بينما يشير هذا الحديث الى أن ورقه هو الذى عرف رساله النبي قبله فبعث فيه الطمأنينه.

و هذا هو الذى فتح الطريق لأهل الكتاب للغمز فى رساله النبي محمد (صلى الله عليه و اله) إذ قالوا بأن نبيكم -بموجب نصوصكم هذه- لم يطمئن الى أنه رسول من الله إلا- بعد تظمين ورقه المسيحي له، و قد تجرأ البعض حتى ادعى أن محمدا (صلى الله عليه و اله) قسيس من القساوسه الذين رباهم ورقه استنادا الى هذا النص الذى نقلته كتب الحديث و تداوله المؤرخون! و هذه ثغره حصلت من الابتعاد عن محكمات العقل و الكتاب و السنه جميعا.

و هل يصدق بهذا عاقل عرف المنطق القرآنى و تعرّف على شخصيه الأنبياء فى القرآن الكريم؟ و كيف يمكن له أن يؤمن بمضمون هذا النص على أنه حقيقه! لمجرد زعم انتسابه الى عائشه زوجة النبي (صلى الله عليه و اله)!

و ثمه نص آخر فى تاريخ الطبرى هو أكثر فظاعه من هذا و ادعى للريب فى محتواه حيث يذكر أن النبي (صلى الله عليه و اله) كان نائما و جاءه الملك و علمه مطلع سوره العلق.. يقول النص بعد ذلك: «و هبت من نومى و كأنما كتب فى قلبى كتابا. قال:

ص: ٨٣

و لم يكن من خلق الله أحد أبغض إليّ من شاعر أو مجنون، كنت لا- أطيع أن أنظر اليهما، قال: قلت: إن الأبعد-يعنى نفسه-لشاعر أو مجنون! لا تحدّث بها عنى قريش أبدا! الأعمدّن الى حالق من الجبل فلاطرحنّ نفسى منه فلاقتلنّها فلاستريحن. قال: فخرجت أريد ذلك حتى إذا كنت فى وسط الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله و أنا جبريل» (١).

إن اضطراب النبى و خوفه يبلغ به النهايه حتى يريد الانتحار بينما يريد الله اختياره للنبوه و هدايه الناس و دعوتهم الى الحق، فهل يتناسب ما فى الروايه مع هذا الافق الذى هو من الوضوح بمكان؟!

و هكذا نستطيع أن نعرض نصوص التاريخ على محكمات العقل و الكتاب و السنّه لنخرج بنتائج واضحه تاركين ما لا يصمد أمام النقد العلمى البتاء.

و بعد ملاحظه النصوص الصريحه من الكتاب العزيز إذا لا حظنا ما ورد فى بعض مصادر الحديث و السيره مما يرتبط باللقاء الأول للرسول (صلّى الله عليه و اله) مع الوحي الإلهى و ما رافقه من غرائب تأبهاها النصوص القرآنيه، جاز لنا أن نظمئن الى تسرّب الاسرائيليات اليها.

يحسن بنا أن نقارن بين هذا النص الروائى و بين نص آخر ورد فى بحار الأنوار للعلامه المجلسى (رضوان الله تعالى عليه) فيما يخصّ ارهاصات الوحي الرسالى و ما تبعه من نتائج لوحظت على نفس الرسول (صلّى الله عليه و اله) و شخصيته و سلوكه.

فعن الإمام على بن محمد الهادى (عليهما السلام): أنّ رسول الله (صلّى الله عليه و اله) لمّا ترك التجاره الى الشام و تصدّق بكل ما رزقه الله تعالى من تلك التجارات كان يغدو كل يوم الى حراء يصعده و ينظر من قلله الى آثار رحمه الله، و إلى أنواع عجائب رحمته و بدائع حكمته و ينظر إلى أكناف السماء و أقطار الأرض و البحار و المفاوز و الفيافى، فيعتبر بتلك الآثار، و يتذكّر

ص: ٨٤

١- (١) تاريخ الطبرى: ٢٠١/٢ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. ط دار سويدان. بيروت.

بتلك الآيات، و يعبد الله حقَّ عبادته.

فلما استكمل أربعين سنة و نظر الله عزَّ و جلَّ إلى قلبه فوجده أفضل القلوب و أجلَّها و أطوعها و أخشعها و أخضعها أذن لأبواب السماء فتحت و محمَّد ينظر إليها، و أذن للملائكة فنزلوا و محمَّد ينظر إليهم، و أمر بالرحمة فانزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمد و عزَّته، و نظر إلى جبرئيل الروح الأمين المطوَّق بالنور طاووس الملائكة هبط إليه و أخذ بضبعه (١) و هزَّه و قال:

يا محمد اقرأ، قال: و ما اقرأ؟ قال يا محمَّد اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٢).

ثم أوحى إليه ما أوحى إليه ربّه عزَّ و جلَّ ثمَّ صعد إلى العلو.

و نزل محمَّد (صلَّى الله عليه و اله) من الجبل و قد غشيه من تعظيم جلال الله و ورد عليه من كبير شأنه ما ركبه الحمى و النافض... و قد اشتدَّ عليه ما يخافه من تكذيب قريش في خبره و نسبتهم إياه إلى الجنون، و إنَّه يعتريه شياطين، و كان من أول أمره أعقل خلق الله، و أكرم براياه، و أبغض الأشياء إليه الشيطان و أفعال المجانين و أقوالهم، فأراد الله عزَّ و جلَّ أن يشرح صدره؛ و يشجع قلبه، فأنطق الله الجبال و الصخور و المدر، و كلَّما وصل إلى شيء منها ناداه:

السلام عليك يا محمَّد، السلام عليك يا وليَّ الله، السلام عليك يا رسول الله أبشر، فإنَّ الله عزَّ و جلَّ قد فضلك و جملك و زينك و أكرمك فوق الخلائق أجمعين من الأولين و الآخرين، لا يحزنك أن تقول قريش إنك مجنون، و عن الدين مفتون، فإنَّ الفاضل من فضله رب العالمين، و الكريم من كرمه خالق الخلق أجمعين، فلا- يضيقر صدرك من تكذيب قريش و عتاه العرب لك، فسوف يبلغك ربك أقصى منتهى الكرامات، و يرفعك إلى أرفع الدرجات، و سوف ينعم و يفرح أولياءك بوصيتك عليَّ بن أبي طالب، و سوف يبثَّ علومك

ص: ٨٥

١- ((١)) الضبع: وسط العضد و في المصدر: بضبعه. و هزه: حركه.

٢- ((٢)) العلق (٩٦): ١-٥.

فى العباد و البلاد بمفتاحك و باب مدینه حكمتك:على بن أبى طالب،و سوف یقر عینك ببتك فاطمه،و سوف یرج منها و من على:الحسن و الحسن سیدی شباب أهل الجنة، و سوف ینشر فى البلاد دینك و سوف یعظم اجور المحبین لك و لأخیک،و سوف یضع فى یدك لواء الحمد فتضعه فى ید أخیک على،فیكون تحته كل نبی و صدیق و شهید،یكون قائدهم أجمعین إلى جنات النعیم (1).

و حین نقارن بین هذا النص الروائى و ما سبقه مما رواه الطبرى نلاحظ البون الشاسع و الفرق الكبیر بین الصورتین عن بدایه البعثه و شخصیه الرسول(صلی الله علیه و اله).فینما كانت تصوّره الروایه الاولى:شاكاً و مضطرباً-اضطراباً ناشئاً عن الجهل بحقیقه ما یرجى له!-تصوّره الروایه الأخیره:عالماً مطمئناً متفائلاً بمستقبل رسالته منذ بدایه الطریق.و هذه الصوره هی التى تنسجم مع محكمات الكتاب و السنّه و التاريخ.

ص: ٨٦

مراحل حركة الرساله فى العصر المكى

١- بناء الخليه الإيمانيه الاولى:

وبعد اللقاء الأول مع وحى النبوه أخذت تتدرج الآيات القرآنيه بالنزول، و يبدو أنه بعد أن نزلت عليه الآيات الاولى من سوره المزمل شرع النبى (صلّى الله عليه و اله) يهتئ نفسه للخطوات التاليه فى طريق نشر الرساله الإسلاميه و بناء المجتمع الإسلامى، و كان عليه أن يعدّ العده لمواجهه الصعاب الكثيره و المشاكل المتوقّعه، و أن يحكم خطته و اسلوبه فى العمل.

إنّ أول ما بدأ به هو دعوه أهل بيته. أمّا خديجه (رضى الله عنها) فكان من الطبيعى أن تصدق النبى (صلّى الله عليه و اله) حيث عاشرتة عمرا طويلا و وجدت فيه منتهى السمو الأخلاقى و الطهر الروحى و التعلق بالسماء.

و لم يتكلف النبى (صلّى الله عليه و اله) جهدا فى دعوه ابن عمه و ربيبه على بن أبى طالب (عليه السلام) الذى كان يحمل بين جوانحه قلبا طاهرا لم تلوثه عباده الأصنام قطّ، فبادر إلى التصديق به فكان أول القوم إسلاما (١).

و كان اختيار النبى (صلّى الله عليه و اله) لعلى صائبا و موفقا لما كان يملكه على (عليه السلام) من مؤهلات الطاعة و الانقياد و القوه و الاندفاع فى الوقت الذى كان النبى (صلّى الله عليه و اله) بأمسّ

ص: ٨٧

١- ((١)) السيره النبويه لابن هشام: ٢٤٥/١ باب ان على بن أبى طالب رضى الله عنه أول ذكر أسلم.

الحاجه الى الناصر و المؤازر، فكان علي (عليه السلام) يمثل ذراع النبوه فى تبليغ الرساله منذ انطلاقتها و العين الباصره، و لسان الدعوه الناطق بها.

فأول من آمن علي (عليه السلام) حيث كان يرافق النبي (صلى الله عليه و اله) فى خلواته فى حراء ثم خديجه و هما أول من صلى مع رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعد أن كانا يوحدان الله كالنبي (صلى الله عليه و اله) متحدّين قوى الشرك و الضلاله. (١) ثم التحق بهم زيد بن حارثه فكانوا هم المجموعه الخيره و النواه الأولى التى انفلق منها المجتمع الإسلامى.

٢- أدوار العصر المكي:

لقد مرّ تبليغ الرّسالة الاسلاميه على يدي النبي العظيم بثلاثه أدوار على الأقل حتى تهيأت الظروف لتأسيس أول دوله إسلاميه مباركه و هى كما يلي:

١- دور إعداد القاعده الأولى للرساله الاسلاميه. و اصطلاح البعض على هذا الدور بدور الخفاء أو دور الدعوه الخاصه.

٢- دور الدعوه المحدوده بالأقربين و الصراع المحدود مع الوثنيه.

٣- دور الصراع الشامل.

٣- دور إعداد القاعده الأولى:

تحرك النبي (صلى الله عليه و اله) داعياً إلى الإسلام بعد أن أمره الله تعالى بالقيام و الانذار (٢) ساعياً لبناء كتله إيمانيه تكون بؤره نور و إشعاع لهدايه المجتمع و استمر الحال هكذا حوالى ثلاث سنين مسدداً بالغيب معصوماً من الزلل.

و كان التحرك الرّسالى هذا محفوفاً بالمخاطر و الصعوبات و لكنه كان متقناً متكاملًا.

ص: ٨٨

١- ((١)) اسد الغابه: ١٨/٤، حليه الأولياء: ٦٦/١، شرح ابن أبي الحديد: ٢٥٦/٣، مستدرک الحاكم: ١١٢/٣.

٢- ((٢)) كما ورد فى مطلع سوره المدثر.

و كان من اسلوب الرسول (صلى الله عليه و اله) في هذه المرحله من الدعوه أن ينوع الاختيار من حيث الانتماء القبلى و الموقع الجغرافى و العمر لأتباعه ليوضح شموليه رساله و يضمن لها الانتشار فى المجتمع الى أقصى ما يمكن؛ فاستجاب له- فى بدايه البعثه- المستضعفون و الفقراء إذ كانت رساله الإسلاميه منطلقا نحو التسامى و الحياه الكريمه و الأمان، كما استجاب له من الأشراف من كان ذا نفس طيبه و عقل منفتح و رغبه فى السلوك النزيه.

و لم يتحسس جباره قريش خطوره رساله و حسبوا أن الأمر لا يعدو تكهّنات و تأملات لها سوابق اندثرت؛ فلم يشدّدوا على محاربتهم للرساله للقضاء عليها فى مهدها.

و فى هذا الوقت القصير استطاع الرسول (صلى الله عليه و اله) أن يصوغ من النفوس التى آمنت برسالته عناصر فعاله تحمل قيم رساله لتنتقل بها للناس، و هم أشد حرصا على إسلامهم و أكثر يقينا بإيمانهم مستكرين بذلك ما كان عليه آباؤهم من شرك و خلق منحرف حتى تزايد الاستعداد لديهم لتحمل آثار الجهر بالرساله.

و يروى أن النبى (صلى الله عليه و اله) و أصحابه- فى هذه الفتره- كانوا إذا جاء وقت العصر تفرقوا فى الشعاب فصلّوا فرادى و مثنى، فبينما رجلان من المسلمين يصليان فى بعض شعاب مكه اذ ظهر عليهما رجلان من المشركين- كانا فاحشين- فناكراهما و عابا عليهما ما يصنعان ثم تضاربا، و انصرفا (١).

و يبدو تكرر مثل هذه المواجهه مع المشركين (٢). من هنا استعان النبى (صلى الله عليه و اله) ببعض الدور للتخفى لممارسه العباده و الاتصال المنتظم به (صلى الله عليه و اله) بعيدا

ص: ٨٩

١- (١) أنساب الاشراف: ١/١١٧، السيره الحلبيه: ١/٤٥٦.

٢- (٢) السيره النبويه: ١/٢٦٣ و ٢٨٢.

عن أنظار قريش فكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم (١) خير ملجأ للمسلمين حينئذ.

٤- دور المواجهه الاولى و إنذار الأقرين:

و حين شاع خبر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية و في الوقت الذي بلغت فيه الفئه المؤمنه المستوى الروحي الذي يؤهلها لخوض الصراع كان لا بد من الانتقال الى مرحله الاعلان العام و أول خطواته إنذار الأقرين في مجتمع تسوده الاعتبارات القبليه فمن الأولى إنذارهم قبل إنذار الناس كافه، فكان نزول الأمر الإلهي: **وَ أَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢)**؛ من هنا دعا النبي (صلى الله عليه و اله) عشيرته الأقرين و أوضح لهم أمر الرساله و هدفها و مستقبلها و كان فيهم من يرتجى خيره و يؤمل إيمانه. و لئن نهض أبو لهب معلنا المعاداه و الكراهيه فقد تبني أبو طالب (عليه السلام) دعم النبي (صلى الله عليه و اله) و حمايه رسالته.

و قد روى أنه ما إن نزلت الآيه المباركه أمر النبي (صلى الله عليه و اله) عليا باعداد وليمه ثم دعا عشيرته و كانوا أربعين رجلا، و ما إن تأهب الرسول (صلى الله عليه و اله) للحديث حتى قاطعه عمه عبد العزى - المعروف بأبي لهب - و حذره من الاستمرار في التبليغ و الإنذار، و حال دون تحقيق هدف الرسول فانفض المجلس. و لما كان من غد جدّد النبي (صلى الله عليه و اله) أمره لعلى و دعوته لعشيرته و بعد أن فرغوا من الطعام بادروهم (صلى الله عليه و اله) بقوله: «يا بنى عبد المطلب إني و الله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به، إني جئتمكم بخير الدنيا و الآخره و قد أمرني الله عز و جل أن أدعوكم إليه فأيتكم يؤمن بي و يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيى و خليفتى فيكم؟» فسكتوا جميعا إلا على بن أبى طالب إذ نهض قائلا: «أنا يا رسول الله أكون

ص: ٩٠

١- ((١)) السيره الحلبيه: ٢٨٣/١، اسد الغابه: ٤٤/٤.

٢- ((٢)) الشعراء (٢٦): ٢١٤.

وزيرك على ما بعثك الله». فأمره رسول الله بالجلوس، وكرر الرسول (صلى الله عليه و اله) دعوته؛ فلم يجبه غير على (عليه السلام) مليبا الدعوه معلنا المؤازره و النصره. و عندها التفت رسول الله (صلى الله عليه و اله) الى الحاضرين من عشيرته و قال: «إن هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم (أو عليكم) فاسمعوا له و أطيعوا». فنهض القوم من مجلسهم و هم يخاطبون أبا طالب ساخرين: «قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع» (١).

٥- دور المواجهه الشامله

و رغم احتياطات النبى (صلى الله عليه و اله) فى المرحله السابقه و تجنّب الدخول فى مواجهه مباشره له أو لأحد من المسلمين مع قوى الشرك و الوثنيه فإنه كان يتعرّض خلالها للنقد و اللوم اللاذع له و لبقية المسلمين.

و كان لدعوه بنى هاشم الى الدين الجديد الأثر البالغ و الذكر الشائع فى أوساط القبائل العربيه فقد تبين لهم صدق و جدّيه النبوه التى أعلنها محمّد (صلى الله عليه و اله) و آمن بها من آمن.

و بانقضاء السنوات الثلاث- أو الخمس- من بدايه الدعوه نزل الأمر الإلهى بالصدع بالرساله الإلهيه و الإنذار العام ليخرج الأمر عن الاتصال الفردى الذى كان يتم بعيدا عن الأنظار، فيدعو الجميع الى رساله الاسلام و الايمان بالله الواحد الأحد، و قد وعد الله نبيّه (صلى الله عليه و اله) بتسديد خطاه فى مواجهه المستهزئين و المعاندين فى قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٢).

فتحرك النبى (صلى الله عليه و اله) صادعا بأمر الله بثقه مطلقه و عظيمه راسخه متحديا كل

ص: ٩١

١- (١) روى هذا الحديث فى مصادر عديده و بألفاظ متقاربه فى: تاريخ الطبرى: ٢/٤٠٤، السيره الحلبيه: ١/٤٦٠، شرح نهج البلاغه: ١٣/٢١٠. و راجع أيضا: حياه محمد: ١٠٤، لمحمد حسين هيكل، الطبعة الاولى.

٢- (٢) الحجر (١٥): ٩٤-٩٥.

قوى الشر والشرك، وقام على الصفا ونادى قريشا من كل ناحية فأقبلوا نحوه فقال (صلى الله عليه و اله): «أرأيتمكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقونني؟ قالوا: بلى، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فنهض أبو لهب ليرد على رسول الله فقال: تبالك سائر هذا اليوم ألهذا جمعتنا؟! -فأنزل الله تعالى: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ (١).

لقد كان هذا إنذارا صارخا أفزع قريشا إذ أصبح تهديدا علنيا لكل معتقداتهم و تحذيرا من عاقبه مخالفتهم لأمر الرسول (صلى الله عليه و اله)... و اتضح أمر الدين الجديد لأهل مكة بل كل أطراف الجزيره إذ أدركوا أنّ انقلابا حقيقيا سيحلّ بمسيره البشرى و يرفع من شأنها فى القيم و الثقافه و المعايير و المواقع الاجتماعيه وفق تعاليم السماء و ينسف الشر من جذوره فكانت المواجهه مع قاده الشرك و الطغيان مواجهه حقيقيه لا يمكن أن تنتهى إلى نقاط وفاق.

و خلال هذه الفتره دخل فى الإسلام عدد من العرب و غير العرب حتى بلغوا أربعين رجلا، و لم تتمكن قريش من تحطيم هذه النهضه الفتيه إذ إن المؤمنين ينتمون إلى قبائل شتى، من هنا توصلت قريش بالمواجهه السلميه ابتداء.

و لكن أبا طالب ردهم ردّا جميلا، فانصرفوا عنه (صلى الله عليه و اله) (٢).

ص: ٩٢

١- ((١)) المناقب: ٤٦/١، تاريخ الطبرى: ٢/٤٠٣.

٢- ((٢)) سيره ابن هشام: ١/٢٦٤-٢٦٥، تاريخ الطبرى: ٢/٤٠٦.

موقف بنى هاشم من النبي (صلى الله عليه و اله)

دفاع أبى طالب عن الرسول و رساله:

لم يثن رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن الاستمرار فى نشر رساله الإسلاميه بل اتسع نشاطه و كثرت تحركاته و تحركات أتباعه المؤمنين به و ازدادت جاذبيه الدين الجديد فى نظر الناس، و قد بدت قريش تظهر غيظها و تسعى لتجد السبل لإيقاف هذا المدّ الجديد (الإسلام)، و القضاء عليه فعادت مساعيها عند أبى طالب مرّه اخرى باذله مغرياتها تاره لإقناع الرسول بالعدول عن دعوته و التراجع عن دينه و تاره اخرى بالتهديد و الوعيد فقالوا له: يا أبأ طالب إن لك سنا و شرفا و منزله فينا، و إنا قد استنهييناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا و إنا و الله لا نصبر على هذا من شتم آباءنا و تسفيه أحلامنا و عيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله و إياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

و من جهته أدرك زعيم بنى هاشم قرار قريش الصارم و عدم تورعها عن سلوك كل السبل للقضاء على ابن أخيه و رسالته الفتية فحاول تهدئه الموقف مره ثانيه و تسكين غضب قريش حتى يعالج الموقف مع ابن أخيه، و لكن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أصرّ على مواصلة تبليغه للرساله الإسلاميه تنفيذاً لأوامر الله مهما كانت الظروف و النتائج فقال (صلى الله عليه و اله): «يا عم و الله لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر فى شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»، ثم اغر و رقت عيناه

الشريفتان بالدموع و قام ليذهب فتأثر أبو طالب لذلك و هو يعلم صدق ابن أخيه و يؤمن به فقال له: إذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا.

و لم تفتقر قريش عن غيها فمشت مره أخرى إلى أبي طالب (عليه السلام) تطمعه بخذلان رسول الله (صلى الله عليه و اله) فتعطيه أجمل فتیان مكه بدل ابن أخيه ليسلمه أبو طالب إليهم فقالوا له: يا أبا طالب هذا عماره بن الوليد أنهد فتى فى قريش و أجمله، فخذة فلك عقله و نصره، و اتخذه ولدا فهو لك، و أسلم إلينا ابن أخيك هذا، الذى فرق جماعه قومك، و سفه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجل برجل، فردهم أبو طالب مستاء من هذه المساومه الظالمه فقال: هذا و الله لبئس ما تسوموننى، أتعطونى إبنكم أغذوه لكم، و اعطيكم ابنى تقتلونى، هذا و الله ما لا يكون أبدا. فقال المطعم ابن عدى بن نوفل: و الله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا، فأجابه أبو طالب قائلا: و الله ما أنصفونى و لكنك قد أجمعت خذلانى و مظاهره القوم على فاصنع ما بدا لك (١).

و بذا أيقنت قريش بأنه لا- سبيل لهم لإرضاء أبى طالب بخذلان رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و سارع أبو طالب لاتخاذ تدابير احترازيه ليضمن سلامه ابن أخيه و استمراره فى نشر رسالته حين وجد الشر فى نفوس قريش، فدعى بنى هاشم و بنى عبد المطلب لمنع رسول الله (صلى الله عليه و اله) و حفظه و القيام دونه، فاستجابوا له سوى أبى لهب، و أكبر أبو طالب موقف بنى هاشم فشجعهم و أثار فيهم العزيمه على الاستمرار فى حمايه النبى (صلى الله عليه و اله) (٢).

ص: ٩٤

١- ((١)) تاريخ الطبرى: ٢/٤٠٩، السيره النبويه: ١/٢٨٦.

٢- ((٢)) تاريخ الطبرى: ٢/٤١٠، السيره النبويه: ١/٢٦٩.

نزلت آيات كثيره من القرآن الكريم خلال أربع سنوات من حركه الرساله تضمنت بيان عظمه التوحيد و الدعوه إليه و الإعجاز البلاغى و الإنذار و الوعيد لمخالفيه فتناقلتها الألسن و حوتها قلوب المؤمنين و انجذب إليها القاصى و الدانى لاستماعها و استيعابها.

و لما كان للبلاغه أكبر الأثر فى النفوس قررت قريش و هى تحاول احتواء حركه النبى (صلى الله عليه و اله) بوسائل متعدده أن تمنع النبى (صلى الله عليه و اله) من الاتصال بالجماهير و عرض دعوته عليهم أن لا يستمع القادم إلى مكه لما نزل من آيات القرآن، بعد أن فشلت فى محاوله إغراء النبى (صلى الله عليه و اله) بالملك و السلطان عليهم و الأموال الطائله و الشرف و السؤدد. ثم أوردفوا ذلك بتشكيكهم فى صحه دعوته؛ زاعمين أن الذى يعترى النبى (صلى الله عليه و اله) إنما هو حاله مرضيه يسعون لعلاجها، فأجابهم النبى (صلى الله عليه و اله) جوابا فيه كل الخير و الشرف و النجاه لهم فقال (صلى الله عليه و اله): كلمه واحده تقولونها تدين لكم بها العرب و تؤدى اليكم بها العجم الجزيه... ففزعوا لكلمته و حسبوا أنها نهايه المطاف فقالوا: نعم و أيبك عشرا... قال (صلى الله عليه و اله): لا إله إلا الله... فكان الردّ مفاجئه قويه خذلتهم فقاموا مستكبرين و هم يرددون: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ (١).

و عندها قرروا أن يلجأوا الى الإهانه و السخرية من النبى (صلى الله عليه و اله) و أتباعه الذين بدأوا يتزايدون كل يوم و تتعمق دعوته المباركه فى النفوس فكان من أفعالهم قيام أبى لهب و زوجته أم جميل بطرح الشوك على باب بيت النبى (صلى الله عليه و اله)

اذ كان بيته يجاورهم (١). و أخذ أبو جهل يتعرض للنبي (صلى الله عليه و اله) فيؤذيه بقوله الفاحش و لكن الله كان للظالمين بالمرصاد إذ ما كان من حمزه عم النبي (صلى الله عليه و اله) حين علم بذلك إلا- أن ردّ على أبي جهل إهانتة أمام الملائمة من قريش معلنا إسلامه و تحدّيه لجمعهم أن يردّوا عليه أو أن يتعرضوا ثانيه للرسول (صلى الله عليه و اله) (٢).

الكفر يابى الانصياع لصوت العقل:

تصورت قريش أنها بدعائها تستطيع أن تثني النبي (صلى الله عليه و اله) عن رسالته، و قد بان لها استجابة الناس لدعوته المباركة. من هنا اقترح عتبه بن ربيعة- حين اجتمعت وجوه قريش- أن يذهب الى النبي (صلى الله عليه و اله) ليحدّثه كى يكفّ عن دعوته، فمشى إليه و النبي (صلى الله عليه و اله) جالس وحده- فى المسجد، و امتدح النبي (صلى الله عليه و اله) و مكاتته فى قريش و عرض عليه عروضه و النبي (صلى الله عليه و اله) ينصت مستمعا فقال: يا ابن أخى إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا و إن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، و إن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، و إن كان هذا الذى يأتىك رثيا تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ و بذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه... و لما أتم كلامه قال (صلى الله عليه و اله): أقصد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال (صلى الله عليه و اله): فاسمع منى ثم تلا قوله تعالى: حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَ نَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ (٣) و أستمروا النبي (صلى الله عليه و اله) يقرأ الآيات الكريمة فانبهر عتبه لما سمع و ألقى يديه خلف

ص: ٩٦

١- (١) السيره النبويه: ٣٨٠/١.

٢- (٢) السيره النبويه: ٣١٣/١، تاريخ الطبرى: ٤١٦/٢.

٣- (٣) فصلت (٤١): ١-٥.

ظهره معتمدا عليها. ثم سجد رسول الله عند آية السجده. ثم قال (صلى الله عليه و اله): قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت و ذاك.

فلم يحر عتبه جوابا و قام إلى قومه فلما جلس إليهم قال: إنى قد سمعت قولاً- و الله ما سمعت مثله قط، و الله ما هو بالشعر و بالسحر و لا بالكهان. يا معشر قريش أطيعونى و اجعلوها بى، و خلّوا بين هذا الرجل و بين ما هو فيه فاعتزلوه».

و لكن أنى للقلوب الميته أن تستجيب فقالوا: سحرك و الله يا أبا الوليد بلسانه قال: هذا رأى فيه فاصنعوا ما بدا لكم (١).

الآتيام بالسحر:

أرادت قريش أن لا تختلف كلمتها و لا تفقد مكانتها فى محاربه الرساله الإسلاميه و فى نفس الوقت أن توقف سريان الرساله الى نفوس الناس و موسم الحج على الأبواب فرأت أن تتخذ و سيله تبدو فيها محافظتها على مكانتها الوثنيه و إضعاف دور الرسول و مكانته فاجتمعوا الى الوليد بن المغيره لكبر سنّه و سعه معرفته لاتخاذ قرار بذلك فاختلفت أقوالهم بين أن يدّعوا أنه كاهن أو مجنون أو شاعر أو مريض تعتريه الوسوسه أو ساحر، ثم أرجعوا القول للوليد فقال: و الله إنّ لقوله لحلاوه و إن أصله لعذق و إن فرعه لجناه و ما أنتم بقائلين فى هذا شيئا إلاّ عرف أنه باطل و إنّ أقرب القول فيه أن تقولوا: ساحر جاء بقول هو سحر يفرّق به بين المرء و أبيه و بين المرء و أخيه و بين المرء و زوجته، فتنفّروا يندسّون بين الناس يبيّثون شائعتهم الخبيثه (٢).

ص: ٩٧

١- ((١)) راجع السيره النبويه: ٢٩٣/١.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٢٨٩/١.

لقد عجزت قوى الكفر و الشرك أن تتنى الرسول (صلى الله عليه و اله) و أصحاب الحق عن الاستمرار فى نشر الرساله الإسلاميه، مثلما عجزت عقولهم عن إدراك التوحيد و الإيمان، و راحت كل جهودهم لإيقاف الرساله أو تشويهها سدى فلم يجدوا بدًا من اتخاذ العنف و القسوه و التعذيب وسيله لمحاربه أصحاب العقيده فوثبت كل قبيله على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم و يعذبونهم بالضرب و فرض الجوع و العطش عليهم، محاولين أن يفتنوهم عن دينهم و رساله ربهم.

فهذا أميه بن خلف يخرج بلالا- إلى رمضاء مکه إذا حميت الظهره ليمارس تعذيبه بأشع صوره، و هذا عمر بن الخطاب يعذب جاربه له- لإسلامها- ضربا حتى إذا عجز قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا- ملاله، و هذه بنو مخزوم يخرجون عمّارا و أباه و أمه يعذبونهم فى رمضاء مکه فيمرّ بهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) فيقول: «صبرا آل ياسر موعدكم الجنّه»، حتى بلغ من تعذيبهم أن استشهدت سميّه أم عمار (1) على أيديهم فكانت أول شهيدته فى الاسلام.

و إذا حاولنا أن نرسم صورته عامّه لأساليب مواجهه قريش للرساله و الرسول و أتباعه فنستطيع أن نلخص مراحل مواجهه فى ما يلى:

١- كان الاستهزاء و السخرية بشخصيه النبى (صلى الله عليه و اله) و إضعاف مكانته فى نفوس الناس من أبسط الأساليب. و قد مارس هذا الدور الوليد بن المغيره (والد خالد)، و عقبه بن أبى معيط، و الحكم بن العاص بن أميه، و أبو جهل.

و لكن التسديد الإلهى أحبط كل مساعيهم فقد قال القرآن الكريم:

ص: ٩٨

إِنَّا كَفَيْتَابِكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (١)، وَ لَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢).

٢- إهانة النبي (صلى الله عليه و اله) شخصيا لإضعافه. فقد روى أنهم ألقوا الفرث و السلى عليه (صلى الله عليه و اله)، فغضب عمه أبو طالب حين علم بذلك و رد الإهانة عليهم، و يعتبر موقف أبي جهل و رد حمزه بن عبد المطلب عليه شاهدا آخر.

٣- محاولات الإغراء بالملك و السيادة و بذل الأموال الطائلة.

٤- الاتهامات الباطلة بالكذب و السحر و الجنون و الشعر و الكهانة. و قد تحدث القرآن عن كل ذلك.

٥- الطعن فى القرآن الكريم، فقد اتهموا النبي (صلى الله عليه و اله) بتقوله و افتراءه على الله فتحداهم القرآن بأن يأتوا بمثله. على أن النبي كان قد أمضى عمرا بينهم لم يعرف بما اتهموه به.

٦- استخدام التعذيب و قتل المؤمنين برسالته.

٧- الحصار و المقاطعة الشاملة.

٨- التخطيط لقتل صاحب الرسالة (٣).

و قد تصدى النبي (صلى الله عليه و اله) لكل هذه الأساليب بما يحقق للرسالة أهدافها مسددا بالوحى الذى كان يرعى حركة الرسول (صلى الله عليه و اله) و عليه و اله خير رعايه.

ص: ٩٩

١- (١) الحجر (١٥): ٩٥.

٢- (٢) الأنعام (٦): ١٠.

٣- (٣) الأنفال (٨): ٣٠.

لقد أدرك رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعد عامين من الجهر بالرساله أن لا قدره له على حمايه المسلمين من العناء الذى يصيبهم من طغاه قريش و زعماء الوثنيه.

و حيث اشتد العنف من المشركين و صناديدهم تجاه المستضعفين من المسلمين حث رسول الله (صلى الله عليه و اله) المسلمين المضطهدين على الهجره إلى الحبشه ليعطيهم بذلك فتره استراحه و استعادته نشاط ليعودوا ثانيه لمواصله مسيره الرساله الإسلاميه أو يفتحوا جبهه جديده للصراع مع قريش بعد أن يحدثوا مركزا للضغط من خارج الجزيره على مواقع قريش و عسى الله أن يحدث-خلال ذلك-أمرا كان مفعولا إذ أخبرهم (صلى الله عليه و اله) «أن فى الحبشه ملكا لا يظلم عنده أحد» فاستجاب المسلمون لذلك و تسلل عدد منهم صوب الساحل فعبروا البحر غير أن قريشا لاحقتهم و لكن لم يدركهم طلبها و تتابع المهاجرون منفردين أو مع أهليهم، حتى اجتمعوا بأرض الحبشه بضعه و ثمانين مهاجرا عدا أبناءهم الصغار و أمر رسول الله (صلى الله عليه و اله) عليهم جعفر بن أبى طالب (١).

لقد كان اختيار الحبشه دارا للهجره خطوه موفقه من خطوات الرسول القياديه نظرا للصفه التى وصف بها ملكها فى الحديث المروى عن النبى (صلى الله عليه و اله)، و تيسر السفر إليها بالسفن، فضلا عن العلاقات المذهبيه الطيبه التى أرادها الاسلام أن تكون بين الإسلام و النصرانيه.

و قد أقلق قريشا أمر الهجره إلى الحبشه فخشيت العاقبه و ساءها أن يأمن حمله الرساله الإسلاميه هناك، فأرسلت عمرو بن العاص و عماره بن الوليد إلى

ص: ١٠٠

النجاشى و حملتهما الهدايا فى محاوله منها لإفناع النجاشى بالتخلى عن جوارهم و إعادتهم إليها، واستطاعا أن ينفذا الى بطارقه الملك و إقتناعهم بضروره مساعدتهم لاسترداد المسلمين، لكن الملك أبى ذلك إلا بعد أن يسمع رأى المسلمين فى التهمه الموجهه إليهم بأنهم قد ابتدعوا دينا جديدا لهم.

و شملت العناية الإلهيه ذلك اللقاء، فقد انبرى جعفر بن أبى طالب ليجيب بكلام رائع ينفذ إلى قلب النجاشى عن ماهيه الدين الجديد فيزداد إقتناعه بحمايتهم. و كانت كلمات جعفر بن أبى طالب كالصاعقه على رؤوس الوفد القرشى الذى لم تنفعه هداياه لإنجاح خطته الشيطانيه، و أصبحوا فى موقف الدليل أمام النجاشى فى الوقت الذى سطع فيه نجم المسلمين و قويت حججهم مما دلّ على عظيم أثر التريه التى كان قد بذلها رسول الله (صلّى الله عليه و اله) للنهوض بالإنسان فى الفكر و المعتقد و السلوك، فلم يهتز المسلمون ثانيه عند ما حاول وفد قريش أن يثير فتنه عن ما جاء به القرآن حول عيسى (عليه السّلام)، و لكن النجاشى قال للمسلمين:

اذهبوا فأنتم آمنون، عند ما سمع آيات الله يرددها جعفر بن أبى طالب ردّا على سؤاله (١).

عندها أيقنت قريش بفشل مساعيها لاسترداد المسلمين حين عاد اليها وفدها خائبا، و قرّر زعمائوها أن يضيقوا على من عندهم من المسلمين بالمأكل و المشرب و أن يحظروا كل أنواع التعامل الاجتماعى معهم حيث لم يتخلّ أبو طالب و بنو هاشم عن نصره النبى (صلّى الله عليه و اله) و دعمه الشامل.

ص: ١٠١

و لما لم يستجب أبو طالب لقريش، وأصرّ على حمايه الرسول (صلى الله عليه و اله) مهما كان الثمن، كتبت قريش صحيفتها الظالمه (١) بالمقاطعه الشامله فى البيع و الشراء و المخالطه و الزواج.

و وقّعت الصحيفه من قبل أربعين زعيما من زعماء قريش.

و عمد أبو طالب إلى الشعب مع ابن أخيه و بنى هاشم و بنى المطلب حيث كان أمرهم واحدا. و قال: نموت من عند آخرنا قبل أن يوصل إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و خرج أبو لهب إلى قريش فظاهروهم على بنى المطلب، و دخل الشعب من كان من هؤلاء مؤمنا كان أو كافرا (٢).

و كان لا يصل إلى المسلمين خلالها شيء إلا سراً، يحملهم إليهم مستخفيا من أراد مساعدتهم من قريش بدافع من عصبية أو نخوه أو عطف.

و بعد أن مضت على المقاطعه ثلاث سنين و قاسى خلالها المسلمون و النبى الأكرم (صلى الله عليه و اله) آلاما قاسيه من الجوع و العزله و الحرب النفسيه، أرسل الله دوده الأرضه على صحيفتهم المعلقه فى جوف الكعبه فأكلتها جميعا غير كلمه «باسمك اللهم».

و أنبأ الله رسوله (صلى الله عليه و اله) فأخبر عمه أبا طالب بالأمر فخرج مع النبى (صلى الله عليه و اله) إلى المسجد الحرام فاستقبله و جهاء قريش ظنا منهم بأن الاستسلام يقودهم الى التخلّى عن موقفهم من الرساله فقال لهم أبو طالب: إن ابن أخى أخبرنى بأن الله قد سلّط على صحيفتكم الأرضه فأكلتها غير اسم الله، فإن كان صادقا نزعتم عن سوء

ص: ١٠٢

١- (١) جاء فى أعيان الشيعة، ان الصحيفه الظالمه كتبت فى غزّه محرم من السنه السابعه للبعثه.

٢- (٢) السيره النبويه: ١/٣٥٠، أعيان الشيعة: ١/٢٣٥.

رأيكم و إن كان كاذبا دفعته إليكم...قالوا:قد أنصفتنا،ففتحوها،فوجدوا الأمر كما قال رسول الله(صلى الله عليه و اله)فنكسوا رؤوسهم حياء و خجلا لما حلّ بهم (١).

و روى أيضا أن بعض رجال قريش و شبابها ساءهم أمر القطيعه و معاناه بنى هاشم من المتاعب و الشدائد فى الشعب فتعاقدوا فيما بينهم لتمزيق الصحيفة و إنهاء المقاطعه و واجهوا المتعنتين منهم،ففتحوا الصحيفة فوجدوا حشره الأرضه قد أكلتها (٢).

و مهما كان فإن قريشا قد أخزاه الله مره اخرى و لكنها لم ترتدع عن عداوتها للرسول و رساله.

عام الحزن:

و فى السنه العاشره من البعثه خرج المسلمون من الحصار و هم أصلب عودا و أغنى تجربه و أكثر قدره على التحرك صوب الهدف الذى آلوا على أنفسهم أن لا يتخلوا عنه رغم كل الصعاب.و كان من أثر الحصار أن اشتهر ذكر الإسلام و المسلمين و انتشر فى كل أرجاء الجزيره العربيه و كانت أمام رسول الله(صلى الله عليه و اله) مهام صعبه،منها:الانفتاح بصوره أوسع خارج نطاق مكه،و محاوله إيجاد أكثر من مكان آمن تتحرك من خلاله رساله الإسلاميه.

و لكن رساله الإسلاميه تعرضت لأخطر محنه فى مسيرتها فى مكه عند ما توفى أبو طالب،سندها الاجتماعى الأول و المدافع القوى عن الرسول و رساله، و بعده بأيام توفيت أم المؤمنين خديجه ثانى سندی الرسول(صلى الله عليه و اله).و لشده تأثير

ص:١٠٣

١- (١) تاريخ يعقوبى:٢١/٢،طبقات ابن سعد:١٧٣/١،السيره النبويه:٣٧٧/١.

٢- (٢) السيره النبويه:٣٧٥/١،تاريخ الطبرى:٤٢٣/٢.

الحادثتين في مسيره الرساله الإسلاميه سَمَى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ذلك العام ب«عام الحزن»، و صرَّح قائلاً: «ما زالت قريش كاعه عنى حتى مات أبو طالب» (١).

و من جرأه قريش على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عند ذاك أن قام أحدهم و نثر التراب على رأسه الشريف و هو ما رَّ إلى بيته. فقامت إليه ابنته فاطمه (عليها السلام) لتنفذ التراب عنه و هى تبكى فقال لها (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «يا بنيه لا تبكى فإن الله مانع أباك» (٢).

الإسراء و المعراج:

و فى هذه الفتره كانت حادثه الإسراء و المعراج تثبيتاً للرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على طريق المقاومه الطويل، و تكريماً له فى أعقاب سنين طويله من العمل و الصمود، و تتويجاً لهذه المصاعب و الآلام المريره مع قوى الشرك و الضلاله، رفعه الله الى قلب السموات، ليريه جوانب من عظمه ملكه الباهره فى الكون الشاسع و ليطلععه على أسرار الخليقه و مصير الإنسان الصالح و الطالح.

و فى الوقت نفسه كانت بمثابة امتحان لقدرات اصحابه على تصور المدى الذى يكافحون فيه مع رسولهم و قائدهم من أجل إبلاغ الرساله و بناء الإنسان الصالح، و إبتلاء اصعباً لأصحاب النفوس الضعيفه.

و لم تستطع قريش المشركه أن تدرك المعانى الساميه فى أمر الإسراء فما حدّثهم رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن ذلك حتى راحوا يسألون عن الصوره الماديه من أمر الإسراء و إمكانيه تحقيقها و الأدله على ذلك -فقال بعضهم: و الله إن العير لتطرد شهراً من مكه الى الشام مدبره و شهراً مقبله، أيذهب محمد ذلك فى ليله واحده

ص: ١٠٤

١- (١) كشف الغمه: ١/٦١، مستدرک الحاكم: ٢/٦٢٢، وكعاه بمعنى وكع عنه: إذا هابه و جبن عنه.

٢- (٢) السيره النبويه: ١/٤١٦، تاريخ الطبرى: ٢/٤٢٦.

و يرجع؟! و وصف لهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) المسجد الأقصى و صفا دقيقا، و ذكر لهم أنه مرّ بقافله و هم يطلبون بعيرا قد ضلّ لهم، و فى رحلهم قعب ماء كان مكشوفاً و قد غطاه كما كان.

و سأله عن قافله اخرى فقال: مررت بها بالتنعيم، و بين لهم أحمالها و هيئاتها و قال: يقدمها بعير بصفه كذا و سيطلع عليكم عند طلوع الشمس. فجاء كل ما قاله صحيحا كما أخبر به (١).

ص: ١٠٥

١- (١) السير النبويه: ٣٩٦/١.

سنوات الانفراج حتى الهجرة

الطائف ترفض الرساله الإسلاميه :

(١)

أدرك رسول الله (صلى الله عليه و اله) أن أذى قريش سيزداد، وأن خطط المشركين و مساعيهم للقضاء على الرساله لن تتوقف، فقد زال غطاؤها الأمنى بوفاه أبى طالب و لا بد للرساله الإسلاميه أن تفتح على جبهه أوسع. و فى الوقت الذى استطاع فيه رسول الله أن يبنى الإنسان الرسالى سعى لتهيئه قاعده تتضح فيها معالم الاستقرار و النظام فى محيط يمارس فيه الفرد حياته و علاقاته مع ربه و الناس و لينطلق بعد ذلك إلى بناء الحضاره الإسلاميه الإنسانيه وفق تعاليم السماء، فوقع اختياره على الطائف حيث تقطن ثقيف كبرى القبائل العربيه بعد قريش. و لما انتهى إليها وحده أو بمرافقه زيد بن حارثه أو بمرافقه زيد و على (٢)، عمد إلى نفر من ثقيف و هم يومئذ سادتها و أشرفها، فجلس إليهم و دعاهم إلى الله، و عرض عليهم المهمه التى جاء من أجلها و هى أن ينصروه فى دعوتهم و يمنعوه من قومهم فلم يعبأوا لدعوتهم و ردوا عليه ساخرين فقال أحدهم: إننى أمزق ثياب الكعبه إن كان الله أرسلك، و قال آخر: و الله لا أكلمك أبدا و لئن كنت رسولا من الله كما تقول

ص: ١٠٧

١- (١) كان خروجه (صلى الله عليه و اله) إلى الطائف لليال بقين من شوال سنه عشره من البعته.

٢- (٢) راجع شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ١٢٧/٤ و ٩٧/١٤.

لأنت أعظم خطرا من أن أردّ عليك الكلام و لئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك. و ردّ الآخر قائلا: أعجز على الله أن يرسل غيرك؟! (١).

بعد هذا الرد الجاف و العنيف قام (صلى الله عليه و اله) من عندهم بعد أن طلب منهم أن يكتموا ما جرى بينه و بينهم؛ إذ كره أن يبلغ قريش ذلك فيجزئهم عليه، لكن زعماء ثقيف لم يستجيبوا لطلبه و أغروا به سفهاءهم و عبيدهم فأخذوا يستبونه و يصيحون به، و يرمونه بالحجاره، فلم يكن يرفع قدما و يضع اخرى إلاّ على الحجاره حتى اجتمع عليه الناس و ألجأوه إلى بستان لعتبه و شبيهه ابني ربيعه، و كانا هناك فتفرق عنه سفهاء الطائف، و قدماه تنزفان دما، فعمد إلى ظل كرمه و نادى ربّه: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، و قله حيلتي، و هواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين و أنت ربّي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا ابالي و لكن عافيتك هي أوسع لي».

و لم يلتق رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلاّ التفاته عطف من رجل نصراني ضعيف وجد في رسول الله ملامح النبوه (٢).

و حين انصرف رسول الله من الطائف راجعا الى مكه بعد أن يؤس من خير ثقيف كان محزوننا حيث لم يستجب له أحد فنزل نخله (بين مكه و الطائف). و في جوف الليل و حين كان يصلى مرّ به نفر من الجن و استمعوا للقرآن فلما فرغ من صلاته ولّوا الى قومهم منذرين بعد أن آمنوا به و أجابوا الى ما سمعوا، و قصّ الله خبرهم عليه قائلا: وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

وَ يُجِزُّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣).

ص: ١٠٨

١- (١) السيره النبويه: ٤٢٠/١، بحار الانوار: ٦/١٩ و ٧ و ٢٢، إعلام الوري: ١٣٣/١.

٢- (٢) الطبري: ٤٢٦/٢، أنساب الأشراف: ٢٢٧/١، تاريخ اليعقوبي: ٣٦/٢، السيره النبويه: ٤٢٠/١.

٣- (٣) تاريخ الطبري: ٣٤٦/٢، و سيره ابن هشام: ٦٣/٢، و الطبقات: ٣١٢/١. راجع سوره الأحقاف: ٢٩-٣١.

لقد كانت حركه الرسول (صلى الله عليه و اله) جهادا رساليا متكاملًا و كان منطقته و سلوكه و خلقه يحاكي الفطره السليمه و الأخلاق الساميه، يناشد الحق فى النفوس ليحييها و يدعو إلى الفضيله لتنعم البشريه بها و لهذا لم يأس الرسول (صلى الله عليه و اله) رغم اضطهاد قريش و قسوتها معه و صد الطائف و جفوتها، إذ كان يتحرك بين الناس و يدعو الجميع إلى دين الله و لا سيما فى مواسم العمره و الحج حيث تتوفر فيها فرص تبليغيه عظيمه فكان (صلى الله عليه و اله) يقف على منازل القبائل من العرب و يقول: «يا بنى فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تتعبدوا إليه و لا تشرکوا به شيئًا و أن تؤمنوا بى و تصدقونى و تمنعونى حتى ابين عن الله ما بعثنى به» (١).

و كثر رسول الله (صلى الله عليه و اله) مساعيه بالتحرك على عدّه قبائل غير آبه بما يلاقى من ردّ قاس أو اعتذار جميل. على أن بعضهم وجد فى الانتماء إلى الإسلام مشروعًا سياسيًا لبلوغ السلطان فحاول أن يساوم و لكن رسول الله (صلى الله عليه و اله) ردّهم بلسان لا يعرف المساومه و التخاذل و لم يرد انتهاز الفرص على حساب المبادئ فقال (صلى الله عليه و اله): «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء» (٢).

و فى أثناء ذلك ربما مشى «أبو لهب» خلف النبي (صلى الله عليه و اله) يثبط الناس عن متابعتة فيقول: يا بنى فلان إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات و العزى من أعناقكم إلى ما جاء به من البدعه و الضلاله فلا تطيعوه و لا تسمعوا منه (٣).

ص: ١٠٩

١- ((١)) السيره النبويه: ٤٢٣/١، تاريخ الطبرى: ٤٢٩/٢، أنساب الأشراف: ٢٣٧/١.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٤٢٤/١، تاريخ الطبرى: ٤٣١/٢.

٣- ((٣)) السيره النبويه: ٤٢٣/١، تاريخ الطبرى: ٤٣٠/٢.

و فى جانب آخر تقوم أم جميل فى وسط النساء فتسخر من النبى (صلى الله عليه و اله) و دعوته المباركه لتمنع النساء من متابعتة.

و لم يتيسر للنبى (صلى الله عليه و اله) أن يقنع القبائل بالرسالة الإسلاميه إذ أن قريشا كانت تتمتع بالمكانه الدينيه من بين القبائل الاخرى لما كانت تقوم به من سدانه البيت الحرام كما أنها كانت تدير مركزا تجاريا و اقتصاديا مهما فى الجزيره العربيه و كانت لقريش أيضا شبكات من العلاقات و الأحلاف مع ما كان يحيط بها من القبائل الأخرى التى كان النبى (صلى الله عليه و اله) قد عرض عليهم دعوته، فكان من الصعب كسر كل تلك القيود و إلغاء هيمنه قريش فكان تردد الناس فى قبول الرسالة الإسلاميه واضحا، و خشيت قريش رغم ذلك من تحرك النبى (صلى الله عليه و اله) و قوه دعوته فالتجأت إلى اسلوب مبرمج يمكن أن تقبله العقول الوثنيه فاتفقوا على دعايه ينشرونها بين الناس فقالوا: إنه ساحر فى بيانه يفرق بين المرء و وزجه و بين الإنسان و أخيه. و لم تفلح قريش فى مسعاها حين كانت تنكشف عظمه الرسول و رساله لكل من يلتقى بالنبى (صلى الله عليه و اله) (١).

بيعه العقبه الاولى:

كان النبى (صلى الله عليه و اله) لا يدخر وسعا و لا يتوانى فى السعى لنشر رساله الإسلاميه و دعوه أى عنصر يرى فيه الأمل و الخير أو يجد فيه التأثير و النفوذ ممن كان يقدم الى مكه لحاجه ما. و قد كانت مدينه يثرب تعيش صراعا سياسيا و عسكريا بين أقوى قطبين فيها و هما الأوس و الخزرج، و كان يؤجج هذا الصراع عناصر من اليهود-بخبثهم و دسائسهم- فى جو من ضياع القانون الإلهى.

و التقى النبى (صلى الله عليه و اله) مع بعض شخصيات يثرب ممن جاء يبحث عن

ص: ١١٠

تحالف يزيد قوته،فما برحوا حتى تغلغل أثر الرسالة و صدق النبوه فى نفوسهم، ففى إحدى اللقاءات تحدث النبى (صلى الله عليه و اله)الى جماعه من بنى عفراء-و هم ينتسبون إلى الخزرج-فعرض عليهم الإسلام و تلا عليهم شيئاً من القرآن،فوجد فى عيونهم التجاوب و فى قلوبهم اللهفه لسماح المزيد من الآيات...و تأكدوا من حديث النبى (صلى الله عليه و اله)أنه هو النبى الذى يقصده اليهود حينما كانوا يتوعدون به المشركين فى يثرب كلما وقع شر بينهم فيقولون لهم:إن نبيا قد بعث الآن و قد أطل زمانه و سنتبعه و نقتلكم قتل عاد و إرم (١).

فأعلنوا فى الحال إسلامهم و كانوا سته أشخاص و قالوا للنبى (صلى الله عليه و اله):إنا قد تركنا قومنا و لا قوم بينهم من العداوه و الشر مثل ما بينهم و عسى الله أن يجمعهم بك و سنقدم عليهم و ندعوهم إلى أمرك و إلى الدين الذى أجبتك عليه.

ثم انصرفوا راجعين إلى يثرب و شرعوا يتحدثون عن النبى (صلى الله عليه و اله)و الرسالة و الأمل القادم لبناء حياه يسودها الأمن و السعاده،حتى فشا أمر الرسالة الإسلاميه بينهم و لم يبق دار من دور يثرب إلا و فيها ذكر لرسول الله (صلى الله عليه و اله) (٢).

و ما أسرع ما انقضت الأيام فلما كان موسم الحج للعام الحادى عشر من البعثه النبويه قدم وفد من أوس يثرب و خزرجها-و هم اثنا عشر رجلا- من بينهم الستة الذين أسلموا من قبل و التقوا برسول الله (صلى الله عليه و اله)سرا فى العقبه-و هى المنفذ الذى يجتازه القادمون من يثرب صوب مكه-و أعلنوا هذه المره بيعتهم للنبى (صلى الله عليه و اله)على أن لا- يشركوا بالله شيئاً،و لا يسرقوا،و لا يزناوا،و لا يقتلوا أولادهم و لا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم و أرجلهم و لا يعصوه فى

ص:١١١

١- ((١)) السيره النبويه:١/٤٢٨،بحار الأنوار:٢٥/١٩.

٢- ((٢)) تاريخ يعقوبى:٣٧/٢-٣٨،السيره النبويه:١/٤٢٩،بحار الأنوار:٢٣/١٩.

و لم يشأ النبي (صلى الله عليه و اله) أن يحملهم أكثر من ذلك، و أرسل معهم الشاب المسلم مصعب بن عمير إلى يثرب لكي يتولى شؤون التبليغ و التثقيف العقائدى بينهم، و بدأ تمت بيعه العقبه الاولى.

بيعه العقبه الثانيه:

تحرك مصعب بين أزقه يثرب و فى مجتمعاتها يتلو آيات الله و يحرك الأفتنده و العقول بالقرآن حتى آمن بالرساله الإسلاميه عدد كبير من الناس.

و قد أحدث الإسلام فى النفوس شوقا كبيرا للقاء النبي (صلى الله عليه و اله) و التزود من معينه و الطلب الجاد بالهجره إليهم.

و عند ما اقترب موسم الحج من السنه الثانيه عشره من البعته خرجت وفود الحجيج من يثرب و معها وفد المسلمين البالغ ثلاثا و سبعين رجلا و امرأتين فواعدهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) أن يلتقى بهم عند العقبه-جوف الليل فى أواسط أيام التشريق- و كنتم مسلمو يثرب أمرهم.

و ما إن مضى من الليل ثلثه و فى غفله عن العيون حتى تسلل المسلمون من أحييتهم و اجتمعوا فى انتظار رسول الله (صلى الله عليه و اله) فجاء و معه بعض أهل بيته فبدأ الاجتماع و تكلم القوم، ثم تحدث رسول الله (صلى الله عليه و اله) فتلا- شيئا من القرآن و دعا إلى الله و رغب فى الإسلام.

و تمت البيعه هذه المره صريحه واضحه مكتمله على كل جوانب الاسلام و أحكامه و فى السلم و الحرب معا. فقال (صلى الله عليه و اله): بايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم. فقاموا و بايعوا رسول الله (صلى الله عليه و اله).

و ظهر شعور بالقلق من جانب مسلمى يثرب فقال أبو الهيثم ابن التيهان: يا رسول الله إنّ بيننا وبين الرجال-يعنى اليهود-حبالا و إنا قاطعوها فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهر ك الله أن ترجع إلى قومك و تدعنا؟ فتبسم الرسول (صلى الله عليه و اله) و قال: بل الدم الدم و الهدم الهدم احارب من حاربتهم و اسالم من سالمتم (١).

ثم ان رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم تسعة من الخزرج و ثلاثه من الأوس، فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه و اله): أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفاله الحواريين لعيسى بن مريم و أنا كفيل على قومي (٢).

و بالإرشاد الحكيم و الاستخدام الحصيف لكل الإمكانيات و بالوعى السياسى العميق خطا الرسول (صلى الله عليه و اله) بالرساله نحو الأمام يسدده الوحى الإلهى فى كل ذلك، و أذن (صلى الله عليه و اله) للمبايعين أن يعودوا إلى رحالهم من دون أن يواجهوا المشركين بالقوه فلم يأذن الله بالقتال.

و أدركت قريش بوادر الخطر المحدق بها من نصره مسلمى يثرب للنبي (صلى الله عليه و اله) فأقبلوا و الشر و الغضب يتملكانهم كى يحولوا بين النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمين لكن حمزه و عليا (عليهما السلام) كانا بوابه الأمان لاجتماع العقبه فرجعت قريش خائبه منكسره (٣).

ص: ١١٣

١- (١) السيره النبويه: ٤٣٨/١، تاريخ الطبرى: ٤٤١/٢، مناقب آل أبى طالب: ١٨١/١

٢- (٢) تاريخ الطبرى: ٤٤٢/٢، السيره النبويه: ٤٤٣/١، المناقب: ١٨٢/١.

٣- (٣) تفسير القمى: ٢٧٢/١.

انتبهت قريش و خرجت من غفلتها فقد انفتح باب الرجاء فى الغلبه، فى وجه المسلمين فراحت تزيد من استخدام القسوه و التنكيل و الاضطهاد للمسلمين فى محاوله منها للقضاء عليهم قبل استفحال الأمر، فشكا المسلمون ذلك لرسول الله (صلى الله عليه و اله) و استأذنوه للخروج من مكه فاستمهلهم أياما ثم قال: «لقد أخبرت بدار هجرتكم و هى يثرب فمن أراد الخروج فليخرج إليها (١)». و فى روايه اخرى: «إن الله قد جعل لكم دارا تأمنون بها و إخوانا» (٢).

و شرع بعض المسلمين يخرجون من مكه إلى يثرب سرًا كى لا يثيروا هواجس قريش، و بدأت طرقات مكه و بيوتها و نواديتها تشهد يوما بعد يوما غيابا مستمرا لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه و اله). أمّا هو فكان ينتظر الأمر الإلهى بالهجرة و ليضمن سلامه و دقه هجره المسلمين. و أدركت قريش هدف النبى (صلى الله عليه و اله) و خطته فسعت إلى منع المسلمين من الخروج من مكه و لحقت بالمهاجرين مستخدمه أساليب الإغراء و التعذيب لإعادتهم إلى مكه.

و كانت قريش حريصه فى أن يبقى الأيمن سائدا فى مكه مما جعلها تخشى عواقب قتل المهاجرين خشيه وقوع الحرب بينها و بينهم فاكتفت بالتعذيب و الحبس للمسلمين.

نعم كانت قريش تحسب ألف حساب لخروج رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلى يثرب فقد أصبح للمسلمين اليد العليا هناك فإذا لحق بهم النبى (صلى الله عليه و اله) و هو المعروف بالثبات و حسن الرأى و التدبير و القوه و الشجاعه حينئذ سوف تحل الكارثه

ص: ١١٤

١- ((١)) الطبقات الكبرى: ٢٢٦/١.

٢- ((٢)) مناقب آل أبى طالب: ١٨٢/١، السيره النبويه: ٤٦٨/١.

بالمشركين عامه و بقريش بشكل خاص.

و سارع رؤساء قريش لعقد اجتماع لهم فى دار الندوه للبحث عن حلّ يواجهون به الخطر المحقق بهم فتعددت الأراء و تضاربت و كان من بين الحلول المقترحه حبسه و تكييله بالأغالل أو نفيه بعيدا عن مكه فى منقطع الصحراء، و لكن رأيا بقتله و تفريق دمه بين القبائل -لتعجز بنو هاشم عن المطالبه بدمه- هو الذى حاز الموافقه و الإعجاب (١)، فإنهم إن قتلوا الرسول (صلى الله عليه و اله) فقد قضاوا على الرساله الإسلاميه و هى فى مهدها.

و جاء الأمر الإلهى يأمر رسول الله (صلى الله عليه و اله) بالتحرك و الهجره الى يثرب و كانت تلك الإشاره التى ينتظرها الرسول (صلى الله عليه و اله) بشوق بالغ ليحطّ قدمه على أرض يتمكن فيها من بناء دوله على أعمده التقوى و تعاليم السماء و إنشاء المجتمع الإنسانى الصالح.

و بعد أن دبّر المشركون خطتهم و أحكموها نزل أمين الوحي «جبرئيل» على رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أخبره بما حاك المشركون ضدّه من مؤامره إذ قرأ عليه قوله تعالى: **وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ** (٢).

و رغم يقينه الكامل بأن الإمداد الغيبى يرهه و يسدد خطاه لم يتعجل الحركه، و لم يرتجل الخطوات بل خطط و دبّر ببصيره و حنكه و سريه تامه.

ص: ١١٥

١- ((١)) السيره النبويه: ١/٤٨٠، الطبقات الكبرى: ١/٢٢٧، تفسير العياشى: ٢/٥٤.

٢- ((٢)) المناقب: ١/١٨٢-١٨٣، الأنفال: ٣/٨.

لقد آخى رسول الله (صلى الله عليه و اله) بين المهاجرين كنقطه انطلاق نحو المجتمع الإسلامى المتماسك يتعاونون كجسد واحد لمصلحه الإسلام و إعلاء كلمه الله حيث سيواجه المسلمون مصاعب جمه يستلزم تجاوزها التعاون و التعاضد بأعلى مراتبه.

و كخطوه أولى فى طريق الهجره المباركه آخى رسول الله (صلى الله عليه و اله) بين المهاجرين بعلاقه إيمانيه إلهيه على الحق و المؤاساه مؤاخاه ينعكس أثرها على التعامل فيما بينهم بالانسجام و الصمود بعيدا عن النوازع النفسيه، فلقد آخى (صلى الله عليه و اله) بين أبى بكر و عمر، و بين حمزه و زيد بن حارثه و بين الزبير و ابن مسعود و بين عبيده بن الحارث و بلال.

كما آخى بين على (عليه السلام) و نفسه الشريفه (صلى الله عليه و اله)... و قال لعلى (عليه السلام): أما ترضى أن أكون أخاك؟ قال (عليه السلام): بلى يا رسول الله رضيت. و هنا قال (صلى الله عليه و اله): فأنت أخى فى الدنيا و الآخره (1).

ص: ١١٤

الباب الرابع: تأسيس الدوله الإسلاميه الاولى

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

تأسيس الدوله الإسلاميه الاولى

الفصل الثاني:

الدفاع عن كيان الدوله الفتيه

الفصل الثالث:

تظاهر قوى الشرك و الرد الإلهى الحاسم

ص: ١١٧

تأسيس الدولة الإسلاميه الاولى

١-الهجره الى يثرب:

لكى تتكامل حركه الرساله و تتحقق النبوه أهدافها الربانيه المنشوده لا بد أن تسدد و تؤيد بقوى الخير و عناصر تملك اليقين المطلق بالعهيده و تنذر نفسها لتلك العقيده و تستعد للتضحيه على الدوام مع مؤهلات تصونها من الانحراف.

لقد كان على بن أبى طالب (عليه السلام) ذلك العنصر الفذ الذى قال له رسول الله (صلى الله عليه و اله): «يا على إن قريشا اجتمعت على المكر بى و قتلى و إنه أوحى إى عن ربي أن أهجر دار قومى، فم على فراشى و التحف ببردى الحضرمى لتخفى بمبيتك عليهم أثرى فما أنت قائل و صانع؟»

فقال على (عليه السلام): «أو تسلمن بميتى هناك يا نبى الله؟»

قال: نعم، فتبسم على (عليه السلام) ضاحكا مسرورا و أهوى إلى الأرض ساجدا شاكرًا لله تعالى لما أنبأه رسول الله (صلى الله عليه و اله) من سلامته و قال (عليه السلام): «إمض لما امرت فداك سمعى و بصرى و سويداء قلبى (١)».

ص: ١١٩

١- (١) راجع احقاق الحق: ٢٣/٣-٤٥ مع تعليقات المرعشى النجفى لتقف على مصادر هذا الحدث التاريخى و موقف على الرسالى عند علماء أهل السنه. و راجع أيضا: مسند الإمام أحمد: ١/٣٣١ الطبعة الأولى بمصر، و تفسير الطبرى: ٩/١٤٠ الطبعة الميمنيه بمصر و مستدرک الحاكم: ٣/٤٣ طبعة حيدرآباد الدكن.

و خرج رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعد منتصف الليل من داره تحيط به العناية الإلهية مخترقا طوق قوات الشرك المحيطه بداره تاركا عليا في فراشه.

و كم كانت خيبه أعداء الله حين اقتحموا دار النبي (صلى الله عليه و اله) صباحا شاهرين سيوفهم تفوح منها رائحه الموت، و يفيض الحقد من وجوههم يتقدمهم خالد بن الوليد، فوثب علي (عليه السلام) من مضجعه في شجاعه فائقه فارتد القوم علي أديبارهم و تملكتمهم دهشه و ذهول و هم يرون كيف خيب الله سعيهم و أنقذ نبيّه (صلى الله عليه و اله).

و توسلت قريش بطغيانها بكل حيله لترد هيبته الضائعه لعلها تدرك محمدا (صلى الله عليه و اله) فأرسلت العيون، و ركبت في طلبه الصعب و الذلول حتى وضعت منه ناقه جائزه لمن يأتي بمحمد حيا أو ميتا. و قادهم الدليل الحاذق مقتنيا أثر قدم الرسول (صلى الله عليه و اله) إلى باب غار ثور- حيث كان قد اختبأ فيه النبي (صلى الله عليه و اله) و معه أبو بكر - فانقطع عنه الأثر فقال: ما جاوز محمد و من معه هذا المكان، إما أن يكونا صعدا إلى السماء أو دخلا في الأرض.

و في داخل الغار كان أبو بكر قد غلبه خوف كبير و هو يسمع صوت قريش تنادى: اخرج يا محمد، و يرى أقدامهم تقترب من باب الغار و رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «لا تحزن إن الله معنا».

و عادت قريش بخفي حنين فهي لم تدرك أن النبي (صلى الله عليه و اله) في الغار إذ رأت العنكبوت قد نسج بيته علي باب الغار و عندها بنت الحمامه عشها و باضت فيه.

و في المساء التقى علي و هند بن أبي هاله بالنبي (صلى الله عليه و اله) بعد أن علما بمكانه و قد أدلى النبي (صلى الله عليه و اله) بوصاياه لعلي (عليه السلام) بحفظ ذمته و أداء أمانته- إذ كان محمدا (صلى الله عليه و اله) مستودع أمانات العرب- و أمره أن يبتاع رواحله و للفواطم و يلحق به (صلى الله عليه و اله) فقال له مطمئنا: «إنهم لن يصلوا من الآذن إليك يا علي بأمر تكرهه حتى تقدم علي، فأذ أمانتي علي أعين الناس ظاهرا ثم إنني مستخلفك علي فاطمه ابنتي و مستخلف ربي

و بعد ثلاثة أيام حين عرف النبي (صلى الله عليه و اله) أنه قد سكن الناس عن طلبه، تحرّك نحو يثرب مسرعاً، لا يعبأ بمشقه مستعينا بالله واثقا من نصره.

و حينما وصل منطقة (قبا) تريت فيها أياما ينتظر قدوم ابن عمه على ابن أبي طالب و الفواطم عليه ليدخلوا جميعا يثرب التي كانت تموج بالفرح و البهجة لقدوم النبي (صلى الله عليه و اله) في حين دخل صاحب النبي و رفيق سفره إلى يثرب تاركا الرسول (صلى الله عليه و اله) في قبا! و ما إن وصل على بن أبي طالب (عليه السلام) منها من تعب الطريق و مخاطره - حيث كانت قريش قد تعقبتهم حين علمت بخروجه بالفواطم - اعتنقه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و بكى رحمه لما به (٢).

و أقام رسول الله (صلى الله عليه و اله) (قبا) عدة أيام و كان أول عمل قام به هو كسر الأصنام (٣) ثم أسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فأدركته صلاة الظهر في بطن وادي (رانونا) فكانت أول صلاة جمعه في الإسلام و خرج مسلمو يثرب يزيتهم و سلاحهم يستقبلون رسول الله (صلى الله عليه و اله) و يحيطون بركبه و كل يريد أن يتطلع إليه و يملأ عينيه من هذا الرجل الذي آمن به و أحبه (٤).

و ما كان يمر رسول الله (صلى الله عليه و اله) بمنزل أحد من المسلمين إلا و يأخذ بزمام ناقته و يعرض عليه المقام عنده و هو يقابلهم بطلاقة الوجه و البشر و تجنبا من إحراج أحد منهم كان (صلى الله عليه و اله) يقول: خلوا الناقة إنَّها مأموره.

ص: ١٢١

١- (١) أعيان الشيعة: ١/٢٣٧.

٢- (٢) راجع الكامل في التاريخ: ١٠٦/٢.

٣- (٣) البدء و التاريخ: ١٧٦/٤-١٧٧.

٤- (٤) وصل النبي (صلى الله عليه و اله) مدينه يثرب في ١٢ ربيع الأول.

و أخيرا بركت الناقه عند مربرد يعود لغلامين يتيمين من بنى النجار أمام دار أبى أيوب الأنصارى فأسرعت زوجته فأدخلت رحل رسول الله (صلى الله عليه و اله) فى دارها فتزل عندهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلى أن تمّ بناء المسجد النبوى و بيته (صلى الله عليه و اله) (١).

و قد غير النبى (صلى الله عليه و اله) اسم يثرب الى (طيبه) (٢) و اعتبر هجرته اليها مبدءا للتأريخ الاسلامى (٣).

٢- بناء المسجد:

لقد اجتاز النبى (صلى الله عليه و اله) بالمسلمين دائره بناء الفرد، و بوصوله الى يثرب شرع فى التخطيط لتكوين الدوله التى تحكمها قوانين السماء و الشريعه الإسلاميه السمحاء و من ثم بناء الحضاره الإسلاميه لتشمل كل الإنسانيه فى مرحله ما بعد الدوله.

و من اولى العقبات أمام تأسيس الدوله الإسلاميه وجود النظام القبلى الذى كان يحكم العلاقات فى مجتمع الجزيره، كما أن ضعف المسلمين كان لا بد له من معالجه واقعيه، فكان المنطلق بناء المسجد ليكون مكانا لمهام متعدده، و مركزا للسلطه المركزيه التى تدير شؤون الدوله. و تمّ تعيين الأرض و شرع المسلمون بهمه و شوق فى العمل الجادّ لبناء المسجد و ما يتطلبه من مستلزمات، و كان الرسول هو القدوه و الأسوه و منبع الطاقه التى تحرّك المسلمين فى العمل فشارك بنفسه فى حمل الحجاره و اللبن، و بينما هو (صلى الله عليه و اله) ذات مره ينقل حجرا على بطنه استقبله اسيد بن حضير فقال: يا رسول الله أعطنى أحمل عنك قال (صلى الله عليه و اله): لا، اذهب

ص: ١٢٢

١- (١) راجع السيره النبويه: ١/٤٩٤.

٢- (٢) ابن خلدون: المقدمه/٢٨٣، و تاج العروس: ٢/٨٥.

٣- (٣) تأريخ الطبرى (الامم و الملوك): ٢/١١٠-١١٤.

فاحمل غيره.

و تم أيضا بناء دار للرسول (صلى الله عليه و اله) و لأهل بيته و لم يكن البناء ذا كلفه كبيره فقد كان بسيطا كحياتهم، و لم ينس النبي (صلى الله عليه و اله) الفقراء الذين لم يجدوا لهم مسكنا يأوون إليه فألحق لهم مكانا بجانب المسجد (١).

و أصبح المسجد مرتكزا في حياه المسلمين العباديه و الحياتيه فعّالا في بناء الفرد و المجتمع.

٣- المؤاخاه بين المهاجرين و الأنصار:

إشاره

ثم خطا النبي (صلى الله عليه و اله) خطوه اخرى لإقامه الدوله الجديده و القضاء على بعض قيم النظام القبلى من دون أن يمس القبيله بشيء، مستثمرا حاله التعاطف و حراره الإيمان التى بدت من المسلمين فجعل أساس العلاقه بين الأفراد رابطه العقيديه و الدين متجاوزا علقه الدم و العصبية، فقال (صلى الله عليه و اله): تأخوا فى الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال: هذا أخى (٢)، و أخذ كل رجل من الأنصار أخا له من المهاجرين يشاركه الحياه. و بدأ طوت المدينه صفحه داميّه من تأريخها إذ كانت لا تخلو أيامها من صراع مرير بين الأوس و الخزرج يؤججه اليهود بخبثهم و دسائسهم و انفتح على العالم عهد جديد من الحياه الإنسانيه الراقية حيث زرع رسول الله (صلى الله عليه و اله) بذلك عنصر بقاء الامه، و فاعليتها الإيمانيه.

ص: ١٢٣

١- ((١)) بحار الانوار: ١١٢/١٩، السيره النبويه: ١/٤٩٦.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ١/٥٠٤.

البعء الاقصادى:

١-إعالة المهاجرين و إعاده تأهيلهم اقصاديا للعوده لممارسه حياتهم الطبيعیه.

٢-إزاله الفوارق الطبقيه فى محاوله للقضاء على الفقر.

٣-السعى للاستقلال الاقصادى بعيدا عن مركز الثروه غير المشروعه و قطع أیادى اليهود المرابييه.

٤-إنجاز مشاريع اقصادیه:زراعيه مع تنشيط حركه التجاره-من خلال تلاحق فاعليه المهاجرين و الأنصار و أفكارهم و ترابط جهودهم و استثمار كل الموارد المتاحه فى المدينه.

البعء الاجتماعى:

١-القضاء على الأمراض الاجتماعیه المتأصله فى المجتمع و مخلفات التناحر القبلى و اشاعه روح الحب و الود و التآلف لسد الثغرات لئلا يستغلها المتآمرون على الاسلام،و توفير الجهود و الطاقات البشريه لخدمه الاسلام فى مراحلہ اللاحقه.

٢-إلغاء النظام القبلى و إحلال النظام و القيم الإسلاميه محله فى التعامل اليومى.

٣-تهيئه المسلمين نفسيا و تربيتهم على التضحيه و الإيثار للانفتاح على العالم لنشر الرساله الاسلاميه الذى يتطلب مرونيه عاليه و قيم رفيهه تتوفر فى الداعيه المسلم.

١- تكوين نسيج مترابط من المسلمين يتحرك مستجيباً لأوامر الرسول و رساله كفرد واحد فى ظرف تعددت فيه الجهات المعاديه و لم تتوقف عن دسائسها.

٢- تناقل الخبرات التنظيميه و وسائل المقاومه و الصمود و تجربه الايمانیه و طرق التحرك وسط المهاجرين و الأنصار إذ لم يعش الأنصار تجربه المهاجرين و محتتهم.

٣- بناء الفرد كخطوه من خطوات بناء الدوله و هيكلها الإدارى.

٤- إشعار المسلمين بالقوه فى الدفاع عن أنفسهم وفق قيم الإسلام بعيدا عن الروح القبليه و العنصریه.

٤- معاهده المدينه:

و لکی ينتقل النبى (صلّى الله عليه و اله) بالمسلمين من حاله الصراع و المقاومه إلى مرحله البناء و تطبيق الشریعه الإسلامیه كان لا بد من توفير أجواء الأمن و الاستقرار-و لو نسبيا-فالصراع قد يعيق انتشارها فى الوسط الجماهيرى.

و فى يثرب كانت قوى تنافس المسلمين فى الوجود،فاليهود كانوا يشكلون عبئا كبيرا بقوتهم الاقتصادیه و خبثهم السياسى المعروف إضافة إلى عدّتهم و عددهم الذى لا يستهان به.و المشركون أيضا قوه أخرى و إن ضعف دورهم بقدم النبى (صلّى الله عليه و اله)و المهاجرين و لكنه لم ينته تماما-فجاملهم النبى (صلّى الله عليه و اله)و قابلهم بالحسنی.

و كان لا بد للنبي (صلى الله عليه و اله) أيضا أن يحتوى وجود المنافقين.

و فى خارج المدينه كانت قريش و سائر القبائل المشركه تمثل تهديدا حقيقيا للكيان الإسلامى الفتى و كان على الرسول (صلى الله عليه و اله) أن يستعد لمواجهةهم و دفع خطرهم.

و هنا تجلت عظمه الرسول (صلى الله عليه و اله) و مقدرته السياسيه فى التعامل مع القوى المتعدده مظهرا النوايا الحسنه و الطيبه تجاه الآخرين، داعيا جميعهم الى السلام و الأمان.

و كتبت معاهده صلح و تعاون بين المسلمين و اليهود لبناء دوله تعود بمركزيتها إلى النبي (صلى الله عليه و اله) يتمتع الجميع فيها بالحقوق الانسانيه على السواء.

و يمكن القول بأن الصحيفه كانت بمثابة أول مشروع دستورى لبناء دوله اسلاميه متحضره فى مجتمع المدينه الذى سوف ينطلق نحو المجتمع العربى ثم المجتمع الإنسانى العالمى لتقبل النظام الإسلامى الجديد.

و أهم ما تضمنته الصحيفه هو ما يلى:

١- إبراز وجود المجتمع المسلم و إشعار الفرد المسلم بقوه انتمائه إليه.

٢- الإبقاء على الوجود القبلى-مع تحجيم دوره و صلاحياته-لتخفيف العب عن كاهل الدوله، باشراكه فى بعض النشاطات الاجتماعيه و الاستعانه به لحل جملة من المشكلات.

٣- التأكيد على حريه العقيدته بالسماح لليهود بالبقاء على ديانتهم و ممارسه طقوسهم و اعتبارهم مواطنين فى الدوله الإسلاميه الجديده.

٤- ترسيخ دعائم الأمن فى المدينه بجعلها حرما آمنا لا يجوز القتال فيه.

٥- إقرار سياده الدوله و النظام الإسلامى و إرجاع قرار الفصل فى الخصومات الى القياده الإسلاميه المتمثله فى شخص الرسول (صلى الله عليه و اله).

٦-توسيع دائره المجتمع السياسى باعتبار أنّ المسلمين و اليهود يتعايشون فى نظام سياسى واحد و يدافعون عنه.

٧-الحث على إشاعه روح التعاون بين أفراد المجتمع المسلم كى يتجاوز الأزمات التى تعترضه.

٥-النفاق و بدايات الاستقرار فى المدينة:

اهتم النبى (صلّى الله عليه و اله) ببناء المجتمع المسلم و من هنا فرض الهجره على كل مسلم إلّا- بعذر و ذلك لاستقطاب كل الطاقات و الكفاءات و سحبها إلى المدينة.

و قد تمتعت المدينة فى هذا العهد الجديد بحياه الأمن و الاستقرار فأصبح الأمر مزعجا لسائر القوى التى رفضت دعوه النبى (صلّى الله عليه و اله) أولا و رأت فيه طرفا يهدد معتقدها و اليوم أصبح كيانا يرتقى بالإنسان نحو الفضائل و قوه تنمو باطراد لا يصدّه أحد عن نشر رسالته فأسلمت أعداد كبيره منهم و مضى قسم آخر يخطط للابتعاد عنه أو التحالف معه.

و من جانب آخر كان النبى (صلّى الله عليه و اله) يرصد حركه النفاق و مساعى اليهود الحاقده لتقويض الكيان الاسلامى الفتى بتمزيق صفوفه بالتفرقه فى ما بين المسلمين.

و لم تمض فتره طويله حتى دخل الإسلام فى كل بيت من بيوت المدينة (١)، و اتسق النظام الاجتماعى العام تحت حكم الإسلام و قياده الرسول (صلّى الله عليه و اله).

و فى هذه الفتره شرّعت أحكام الزكاه و الصيام و أحكام اقامه الحدود، كما شرع الأذان لإقامه الصلاه و قبل ذلك كان النبى (صلّى الله عليه و اله) قد أعدّ مناديا ينادى للصلاه

ص: ١٢٧

إذا جاء وقتها، ونزل الوحي الإلهي يعلم رسول الله (صلى الله عليه و اله) صيغته الأذان (١) فدعا رسول الله (صلى الله عليه و اله) بنفسه بلالا و علمه كيفية الأذان.

٦- تحويل القبلة:

و كان النبي (صلى الله عليه و اله) طوال فتره تواجده في مكة يتجه في صلاته نحو بيت المقدس و لم يغير من اتجاه صلاته بعد هجرته المباركة إلى سبعة عشر شهرا ثم أمره الله أن يتجه في صلاته نحو الكعبة.

و قد أمعن اليهود في عدائهم للدين الإسلامي و استهزائهم بالرسول و الرساله حتى أنهم كانوا يفخرون على المسلمين بتبعيتهم لقبلة اليهود فكان هذا يحزن النبي (صلى الله عليه و اله) و أصبح ينتظر نزول الوحي الإلهي بتغيير القبلة، و خرج النبي (صلى الله عليه و اله) في جوف الليل يطيل النظر إلى آفاق السماء فلما أصبح و حضر وقت صلاه الظهر كان في مسجد بنى سالم قد صلى من الظهر ركعتين فنزل جبرئيل (عليه السلام) فأخذ بعضديه و حوله الى الكعبة و أنزل عليه قوله تعالى: **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** (٢).

و قد كانت حادثه تحويل القبلة بمثابة اختبار للمسلمين في مدى طاعتهم و انقيادهم لأوامر الرسول (صلى الله عليه و اله)، و تحديا لعناد اليهود و استهزائهم و ردًا لكيدهم كما كانت منطلقا جديدا من منطلقات بناء الشخصية المسلمة (٣).

٧- بدايات الصراع العسكري:

لقد كانت القوه هي التي تحكم الناس و تسودهم، و في هذا الظرف تحرك

ص: ١٢٨

١- (١) الكافي: ٨٣/١، تهذيب الأحكام: ٢١٥/١.

٢- (٢) البقره (٢): ١٤٤.

٣- (٣) راجع مجمع البيان: ٤١٣/١.

النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمون-بعد الاستقرار النسبي في المدينة-ليؤكد لكل القوى المؤثرة في الجزيره بل و خارجها-كالروم و فارس- إصراره على نشر الرساله الإسلاميه و بناء الحضاره وفق تعاليم السماء، و كان للمسلمين من أدوات البناء ما لم يملكه غيرهم، فهم أصحاب عقيدته و فكر و طلاب حق و عدل، و مشرعى سلام و أمان، و أهل سيف و قتال.

و قد توقع رسول الله (صلى الله عليه و اله) أن قريشا و من نصب له العداة سيلجأون لمحاوله استئصال المسلمين و لو بعد حين فكان طلبه من الأنصار في بيعه العقبه الثانيه النصره و القتال كما أن قريشا هي التي تمادت في التعدي و الظلم بل و خرجت تتبع النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمين للقضاء عليهم، و في مكه قد صادرت الأملاك و نهبت البيوت. و كانت الرغبه لدى النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمين-المهاجرين خصوصا- أن تدخل قريش في الإسلام طواعيه أو أن لا تمضى في غيها على أقل تقدير.

من هنا بدأ النبي (صلى الله عليه و اله) يبعث (السرايا) و هي عباره عن مجاميع صغيره تتحرك لتعلن عن وجودها و عدم استسلامها. و إذا نظرنا إلى عدتها البسيطه و عددها القليل الذي لا يتجاوز الستين فردا و كلهم من المهاجرين و ليس فيهم من الأنصار الذين بايعوا على القتال و النصره، ندرک أنها لم تكن مرشحه للقتال و إنما كانت هذه السرايا و سيله للضغط على قريش اقتصاديا (1) أيضا لعلها تسمع نداء الحق باذن صاغيه و بقلب مفتوح أو تهادن المسلمين فلا-تعرض لهم لينتشر الإسلام في أطراف اخرى، و في الوقت نفسه كان ينبغي إشعار اليهود و المنافقين بقوه الإسلام و هيئه المسلمين.

و هكذا بعد مضي سبعة أشهر على الهجره المباركه انطلقت أول سريه و كان

ص: ١٢٩

١- (١) إذ إن مصدرها المالى هو التجاره من خلال حركه القوافل بين مكه و الشام و اليمن.

عدد افرادها ثلاثين رجلاً بقياده حمزه عم النبي (صلى الله عليه و اله). ثم تلتها سريره اخرى بقياده عبيده بن الحارث. و سريره ثالثه بقياده سعد بن أبي وقاص.

و خرج النبي (صلى الله عليه و اله) في صفر من العام الثاني للهجرة على رأس مجموعه من أتباعه لاعتراض قوافل قريش و لكن لم يحصل الصدام بين الطرفين في حركته نحو الأبواء و بواط. و في خروجه الى ذى العشيره وادع بنى مدلج و حلفاءهم من بنى ضميره.

و تحرك النبي (صلى الله عليه و اله) لرد الاعتبار و معاقبه المعتدى حين أغار كرز بن جابر الفهري على أطراف المدينه لسلب الإبل و المواشى فخرج النبي (صلى الله عليه و اله) لملاحقته و خلف زيد بن حارثه على المدينه (1).

و انطلق النبي (صلى الله عليه و اله) في حركته العسكريه من مفهوم الجهاد و التضحيه من أجل الدين بدلا عن مفهوم العصبية و الثأر، محترما أعراف و تقاليد الصلح و المواعده و حرمة الأشهر الحرم.

ص: ١٣٠

اشاره

الدفاع عن كيان الدوله الفتيه

١- غزوه بدر الكبرى:

اشاره

بنزول الأمر الإلهي بالقتال انتقلت الرساله الإسلاميه إلى مرحله جديده من الصراع مع قوى الشرك و الضلاله، و تحركت في نفوس المهاجرين الرغبه الجاده لاسترداد حقوقهم المسلوبه من قبل و التي استلبتها قريش منهم لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله وحده.

و رصد النبي (صلى الله عليه و اله) قافله قريش التي فاتته في طريق ذهابها إلى الشام في غزوه ذات العشير و خرج في عدّه خفيفه و عدد قليل يرتجى ملاقاه قافله ضمت أسهما تجاريه ضخمه لأغلب المكيين. و لم تكن حركه النبي (صلى الله عليه و اله) سرّيه فقد بلغ خبرها إلى مكه و إلى أبي سفيان قائد القافله فتحول في مسيره إلى اتجاه آخر حيث لا يدركه المسلمون... و خرجت قريش فزعه تطلب مالها تلهبها مشاعر الحقد و الحسد للمسلمين، على أن عددا من كبارها نظر إلى الأمر بتدبر و رويّه و آثر عدم الخروج لملاقاه المسلمين و خصوصا بعد أن ورد خبر نجاه أبي سفيان بالقافله التجاريّه.

خرجت قريش بعدد يناهز الألف في عدّه ثقيله يدفعها تجبرها، و الاغترار بمنزلتها بين العرب و مع جموع اخرى هبت لنصرتها مصرّه على لقاء المسلمين

أو لتثبت أنها لا تخذل كي لا يتعرض لها المسلمون ثانيه، فقريش ما ذلت مذ عزت، كما أعرب عن ذلك بعض أصحاب الرسول (صلى الله عليه و اله) حين أراد مواجهه قريش لأول مره (١).

نزلت قريش و صفت صفوفها للقتال على مقربه من (ماء بدر) حيث سبقهم المسلمون في ثلاثائه و ثلاثه عشر رجلا و هيا الله لرسوله (صلى الله عليه و اله) و للمسلمين مقدمات النصر و أسبابه فسهل لهم الوصول إلى موقع القتال و ألقى عليهم الأمن و الاطمئنان و وعدهم بالنصر على أعدائهم و إظهار دين الحق (٢).

و بالرغم من أن المسلمين لم يتوقعوا خروج قريش لملاقاتهم و لكن بعد أن فاتتهم القافله و تحول الهدف إلى القتال أراد النبي (صلى الله عليه و اله) أن يختبر نوايا المهاجرين و الأنصار فوقف و قال: «أشيروا علي أيها الناس».

فقام بعض المهاجرين و تكلم بكلام يدل على الخوف و الجبن عن مواجهه العدو ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله إمض لأمر الله فنحن معك، و الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: «فأذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون»، و لكن اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون و الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (٣) لسرنا معك.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه و اله) خيرا. ثم كرر رسول الله (صلى الله عليه و اله) قوله: أشيروا علي أيها الناس، يريد بذلك أن يسمع رأى الأنصار إذ كانوا قد بايعوه على الدفاع و الذب عنه بالنفس و النفيس في عقبه قبل الهجره.

فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أجيب عن الأنصار، كأنك يا رسول الله تريدنا؟

ص: ١٣٢

١- (١) راجع المغازي للواقدي: ٤٨/١، السيره الحلييه: ١٦٠/٢، و بحار الأنوار: ٢١٧/١٩.

٢- (٢) الانفال (٨): ٧-١٦.

٣- (٣) برك الغماد: موضع وراء مكه مما يلي البحر.

قال (صلى الله عليه و اله): أجل. قال: إنا قد آمنا بك و صدقناك و شهدنا أن كل ما جئت به حق.

و أعطيناك موثيقنا و عهدونا على السمع و الطاعة، فامض يا نبي الله، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقى منا رجل، و ما نكره أن يلقانا عدونا غدا؛ إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك.

عندها قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «سيروا على بركة الله فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين و الله لكأني أنظر إلى مصارع القوم» (١).

و فى كل موقف كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) يدعو و يسأل الله النصر بعد أن تهيأ المسلمون للحرب و قاموا بالإعدادات اللازمة بدءا باختيار الموقع المناسب و إعداد الماء و اتخاذ التحوطات لملاقاه العدو، و النبي القائد (صلى الله عليه و اله) كان دائما هو الطاقه المتدفقه التى تبعث فى نفوسهم الصبر و الجلد، و الاطمئنان كما كان يثير الحماس فيهم و يخبرهم بالمدد الإلهي (٢).

و احتف المسلمون حول النبي و هم يظهرون أروع صور الاستعداد للتضحية من أجل العقيدة و يفكرون فى خطه بديله لودارت الحرب على غير ما يحبون فأعدوا عريشا كمقر لقياده النبي (صلى الله عليه و اله) ليشرف من خلاله على المعركة.

و خرجت سرية الاستطلاع لمعرفة أحوال قريش و عادوا بالأخبار اللازمة للنبي (صلى الله عليه و اله) فقدّر عددهم ما بين (٩٥٠-١٠٠٠) مقاتل (٣).

وقف رسول الله (صلى الله عليه و اله) يصف المسلمین صفوفًا و أعطى رايته الكبرى لعلى ابن أبى طالب (عليه السلام) و أرسل إلى قريش طالبا منها أن ترجع، فهو يكره قتالها،

ص: ١٣٣

١- (١) المغازى: ٤٨/١-٤٩.

٢- (٢) الانفال (٨): ٦٥.

٣- (٣) راجع المغازى: ٥٠/١.

فدبّ الخلاف بين صفوف المشركين بين راغب في السلم و مصرّ على العدوان (١).

و أمر الرسول (صلى الله عليه و اله) أن لا يبدأ المسلمون القتال، و وقف يدعو الله قاتلا:

«اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم».

و كما هو المعتاد في كل الحروب القديمة برز من المشركين عتبه بن ربيعة و أخوه شيبه و ابنه الوليد يطلبون نظراء لهم من قريش ليبارزوه. فقال النبي (صلى الله عليه و اله) لعبيده بن الحارث و حمزه بن عبد المطلب و علي بن أبي طالب: «يا بني هاشم قوموا فقاتلوا بحقكم الذى بعث به نبيكم إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله» (٢).

فقتل من برز من قريش و التحم الجيشان و رسول الله (صلى الله عليه و اله) يبعث الحماس في نفوس المسلمين. ثم أخذ النبي (صلى الله عليه و اله) كفا من الحصى و رمى بها على قريش و قال: شأهت الوجوه، فلم يبق منهم أحد إلا اشتغل بفرك عينيه (٣) فكانت هزيمه قريش و وقف رسول الله (صلى الله عليه و اله) على قلب بدر بعد طرح جث المشركين فيه، و ناداهم بأسمائهم و قال: هل وجدت ما وعدكم ربكم حقا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا. فقال المسلمون: يا رسول الله أتأدى قوما قد ماتوا؟ فقال (صلى الله عليه و اله): إنهم ليسمعون كما تسمعون و لكن منعوا من الجواب (٤).

نتائج المعركة:

خلفت معركة بدر نتائج عظيمه فقد فرّ المشركون نحو مكه و الخيبه و الذل يحيطان بهم من كل جانب تاركين خلفهم سبعين قتيلًا و سبعين أسيرا و غنائم كثيره... و بدت بين صفوف المسلمين المنتصرين بوادر اختلاف حول كيفية

ص: ١٣٤

١- ((١)) المغازى: ٦١/١، بحار الانوار: ٢٥٢/١٩.

٢- ((٢)) المغازى: ٦٨/١.

٣- ((٣)) إعلام الورى: ١٦٩/١، السيره النبويه: ٦٢٨/١.

٤- ((٤)) إعلام الورى: ١٧١/١، السيره النبويه: ٦٣٨/١.

تقسيم الغنائم فأمر النبي (صلى الله عليه و اله) بجمعها حتى يرى فيها رأيه، و نزل الأمر الإلهي في سورة الأنفال بتقسيم الغنائم و تشريع أحكام الخمس، فأعطى رسول الله لكل فرد مقاتل حصته على قدم المساواه مع غيره (١).

و بشأن الأسرى أعلن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنّ من علم من الأسرى عشره من صبيان المسلمين القراءه و الكتابه فذلك فداؤه مظهرا بذلك سماحه العقيدته الإسلاميه و حثها على التعلم و بناء الإنسان المتحضّر. و أما الباقي من الأسرى فجعل فداء كل واحد منهم أربعة آلاف درهم، و شمل هذا القرار أبا العاص زوج زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) من دون تمييز له عن غيره من المشركين.

و حين أرسلت زينب قلاذتها لفداء زوجها بكى رسول الله (صلى الله عليه و اله) لرؤيه القلاذه متذكرا زوجته خديجه فالتفت (صلى الله عليه و اله) الى المسلمين قائلا: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها و تردّوا عليها مالها فافعلوا (٢). و ما أسر هذا الطلب لنبي الرحمة من المسلمين. و أسرع ابو العاص الى مكه ليرسل زينب الى المدينه كما وعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و سرت بشائر النصر و الفتح المبين نحو المدينه فأوجفت قلوب اليهود و المنافقين خيفه و رعبا و سعوا لتكذيب الخبر في حين انتشى المسلمون فرحا و سرورا و خرجوا لاستقبال النبي القائد المنتصر.

و حلّت الكارثه بأهل مكه و خيم الحزن على أجوائها و صعق المشركون من هول الصدمه و عمّت الأحزان بيوتات مكه و أطرافها.

و تضمّنت آيات الذكر الحكيم نصوصا صريحه عن هذه المعركه المصيريّه و هي تذكر تفاصيل الأحداث و تظهر الإمداد الإلهي للامه المسلمه المخلصه لربها

ص: ١٣٥

١- ((١)) المغازي: ١٠٤/١، السيره النبويه: ٦٤٢/١.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٦٥٢/١، البحار: ٣٤٨/١٩.

وقد استبسل على بن أبى طالب (عليه السلام) للدفاع فى هذه الغزوه الكبرى حين قتل الوليد بن عتبه و أعان عمه حمزه و عبده بن الحارث على قتل شبيهه و عتبه منازلها لهما. و قد عدّ الشيخ المفيد سته و ثلاثين نفرا ممن قتلهم على (عليه السلام) يوم بدر سوى من اشترك فى قتله (٢)، و قال ابن اسحاق: اكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعلى (٣).

و ألجأت هذه الهزيمه قريشا الى تحويل مسير تجارتها من الشام الى العراق بعد أن أصبح للمسلمين كيان قوى، له آثاره على تركيبه مجتمع الجزيره حيث بدت تظهر بالتدريج و بدأت قريش تفقد هيبتها بين القبائل فى الوقت الذى أخذت تشتد أواصر المسلمين فيما بينهم و بين الرسول القائد (صلّى الله عليه و اله).

٢- اهتمام النبى (صلّى الله عليه و اله) بزواج الزهراء (عليها السلام):

حلّت الزهراء من قلب النبى المصطفى (صلّى الله عليه و اله) المنزل الرفيعه إذ كان يجد فيها السلوه و العزاء، و الصوره الطيبه التى تركتها خديجه (عليها السلام)، و الذريه الطاهره.

و شاركت الزهراء (عليها السلام) النبى (صلّى الله عليه و اله) هموم رساله و عملت كثيرا للتخفيف عنه حتى قال عنها: «إنها أم أبيها».

و حين بلغت الزهراء (عليها السلام) فى بيت النبوه مبلغ النساء و قد نهلت من معين النبوه و سلسيل رساله خطبها أكابر قريش من أهل الفضل و السابقه فى الإسلام و الشرف و المال إلى النبى (صلّى الله عليه و اله) و هو يردهم بحكمه ردًا جميلا بقوله: «إنى انتظر

ص: ١٣٦

١- ((١)) الانفال (٨): ٩، ١١، ١٢، ٤٢، ٤٤، و آل عمران (٣): ١٣ و ١٢٣ و ١٢٧.

٢- ((٢)) الارشاد: ٣٩-٤٠.

٣- ((٣)) المناقب: ١٢٠/٣.

فيها القضاء أو يقول: أنتظر أمر السماء (١).

و فرح النبي (صلى الله عليه و اله) بتقدم علي بن أبي طالب (عليه السلام) لخطبه فاطمه الزهراء (عليها السلام) و قال له: ابشرك يا علي فإن الله عز و جل قد زوجكها في السماء من قبل أن أزوجه في الأرض، و قد هبط علي من قبل أن تأتي ملك من السماء فقال: يا محمد إن الله عز و جل - أطلع إلى الأرض إطلاعه فاخترتك من خلقه فبعثك برسالته، ثم أطلع إلى الأرض ثانية فاختر لك منها أخا و وزيرا و صاحباً و ختنا فزوجه ابنتك فاطمه (عليها السلام)، و قد احتفلت بذلك ملائكة السماء. يا محمد إن الله عز و جل - أمرني أن آمرك أن تزوج علياً في الأرض فاطمه، و تبشرهما بغلامين زكيين نجيين طاهرين خيرين فاضلين في الدنيا و الآخرة (٢).

و أمام جمع من المهاجرين و الأنصار أجرى رسول الله (صلى الله عليه و اله) عقد الزواج لقاء مهر يسير ليجعله سنه تقتدى به الامه. و حين وضع أثاث بيت الزهراء (عليها السلام) بين يدي الرسول (صلى الله عليه و اله) و كان أكثر أوعيته من الخزف دمعت عيناه و هو يقول:

اللهم بارك لأهل بيت جل آنتهم من الخزف (٣) و أبدى النبي (صلى الله عليه و اله) اهتماماً بالغاً في زواج ابنته الزهراء (عليها السلام) في كل تفاصيله، و قد تجلت ناحيه من نواحي اهتمامه (صلى الله عليه و اله) بذلك في دعائه للزوجين يوم الزفاف إذ قال: «اللهم اجمع شملهما و ألف بين قلوبهما و اجعلهما و ذريتهما من ورثه جنه النعيم و ارزقهما ذرية طاهره طيبه مباركه و اجعل في ذريتهما البركه و اجعلهم أئمه يهدون بأمرك إلى طاعتك و يأمرن بما رضيت».

و قال (صلى الله عليه و اله) أيضاً: «يا رب إنك لم تبعث نبياً إلا و قد جعلت له عتره اللهم فاجعل عترتي الهاديه من علي و فاطمه» ثم قال: «طهر كما الله و طهر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما

ص: ١٣٧

١- (١) حياه النبي و سيرته: ٣٠٩/١، نقلا عن المنتقى للكازروني اليماني.

٢- (٢) كشف الغمه: ٣٥٦/١-٣٥٨.

٣- (٣) كشف الغمه: ٣٥٩/١.

٣-الصدام المباشر مع اليهود و اجلاء بنى قينقاع:

لمس اليهود خطر تنامى قوه الإسلام و المسلمين فى المدينه.فالكيان الطرى أصبح أشد عودا و أقوى شكيمه و تحولت الرساله الإسلاميه الى قوه تحكّم.

و قبل بدر كانت معاهده الصلح صمّام الأمان الذى يقبض على طرفى الصراع و يحول دون الانفجار،لكن النصر المؤزر للمسلمين فجّر روح العداة و ألهب نزع الشّرّ اليهوديه تعينها أطراف النفاق الاخرى،و جعلوا يتغامزون و يتآمرون،و يرسلون الأشعار و يجهدون فى التحريض على المسلمين الذين أصبح لهم سلطان جديد مضافا إلى دينهم الجديد.

و لم تكن أخبارهم لتخفى على الرسول(صلّى الله عليه و اله).و تحركت فى نفوس المسلمين الجراءه فى الدفاع و الحرص على الإسلام و النبى(صلّى الله عليه و اله)،فلم يتمالك الفدائى المسلم-هو سالم بن عمير-نفسه حين سمع رجلا مشركا-هو أبو عفك من بنى عوف-يسىء للنبي فقتله (٢)و تكررّت المحاوله مع مشركه حاقده-هى عصماء بنت مروان-(٣)و تمكن المسلمون أيضا من اغتيال كعب بن الأشرف إذ تمادى فى التعريض و الاستهزاء و النيل من أعراض المسلمين (٤).

و لم تتوقف مساعى اليهود التحريضيه و نشر الأباطيل و الدعايات الكاذبه و التشهير بالمسلمين ناقضين بذلك عهد الموادعه و التعايش السلمى و أراد نبى الرحمه(صلّى الله عليه و اله)أن يخلص و إياهم الى الاستقرار فخرج رسول الله(صلّى الله عليه و اله)الى يهود

ص:١٣٨

١- (١) كشف الغمه:١/٣٦٢، مناقب آل أبى طالب:٣/٣٥٥.

٢- (٢) المغازى:١/١٧٤.

٣- (٣) المصدر السابق:١/١٧٢.

٤- (٤) السيره النبويه:٥١/٢.

بنى قينقاع يدعوهم بالحكمه و المواعظه الحسنه و يندرهم من مغته سياساتهم و تصرفاتهم اللامحموده فقال لهم بعد أن جمعهم فى سوقهم: «يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمه، و أسلموا فإنكم قد عرفتم أنى رسول الله تجدون ذلك فى كتابكم و عهد الله إليكم».

و لم يزدهم ذلك إلا- علوا و استكبارا فقالوا: يا محمد لا يغرنك من لقيت، أنك قهرت اقواما أغمارا و إنا و الله اصحاب الحرب و لئن قاتلنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا (١).

و تجلت حسه اليهود حين أسأوا إلى امرأه من المسلمين و نالوا من كرامتها و انتهى الأمر الى قتل يهودى و مسلم فعندها سار النبى (صلّى الله عليه و اله) بالمسلمين فحاصر يهود بنى قينقاع فى دورهم خمسه عشر يوما متتابعه لا يخرج منهم أحد و لا يدخل عليهم أحد، فلم يبق لهم إلا الاستسلام و النزول على حكم النبى (صلّى الله عليه و اله) بجلائهم عن المدينه تاركين عدتهم و أدواتهم، فخلت المدينه من أهم عناصر الشر و ساد الهدوء السياسى فيها إذ تضاعف تواجد و دور غير المسلمين فى المدينه، بعد أن لمسوا قوه المسلمين و تطوّر التنظيم الإدارى و ازدياد قوه القيادة و الدوله الإسلاميه التى كانت تعمل وفق مخطط حكيم.

٤-ردود فعل قريش بعد انتصارات المسلمين:

جمع أبو سفيان عددا من فرسان قريش و قادهم نحو المدينه تدفعهم نواياهم الغادره إلى الفتك بالمسلمين و ردّ اعتبار قريش المفقود فى بدر. و على مقربه من المدينه عاثوا فى الأرض فسادا و كروا فازين خوفا من أن تنالهم سيوف المسلمين.

و خفّ النبى (صلّى الله عليه و اله) و المسلمون فى أثر المشركين يدفعهم و لاؤهم لدينهم

ص: ١٣٩

تأكيداً منهم على الدفاع عن سيادة الدوله الفتيه و حفظها من أيادي السوء...

وقد اتخذ المشركون كل ما يعينهم على الهرب فألقوا ما معهم من (سويق) و هو مؤونتهم، و التقطه المسلمون من خلفهم و سميت الغزوه بذلك غزوه السويق و كان هذا خزيا آخر لحق قريشا. و تأكيداً للقبائل التي تطاير الخبر إليها أنّ وجود الإسلام كقوه منظمه قد أصبح واقعا مفروضا.

و كان همّ النبي (صلى الله عليه و اله) في هذه المرحله توفير الأمان في أوساط المجتمع المسلم في المدينه و صدّ أيّ عدوان محتمل. على أن بعض القبائل التي كانت تأبى الدخول في الاسلام و تبطن العداء له لم تكن لتتهدى الى تصرف مناسب مع الرسول و المسلمين، فكانوا يعدون العده للهجوم على المدينه و يفرون حين يسمعون بخروج النبي (صلى الله عليه و اله) لهم.

و خرجت سريره اخرى بقياده زيد بن حارثه بعد أن وجهها النبي (صلى الله عليه و اله) لقطع الطريق الجديد لتجاره قريش عن طريق العراق. و قد نجحت السريه في مهمتها.

٥- غزوه احد:

(١)

مرّت الأيام التي تلت معركه بدر ثقيله على قريش و المشركين. و في المدينه لم يزل النبي (صلى الله عليه و اله) يواصل عمليته بناء الانسان و الدوله حيث كانت الآيات الإلهيه تترى و هي تشرّع للانسان سلوكه و حياته و النبي (صلى الله عليه و اله) يفصل التعاليم و يطبق الأحكام و يهدى الى طاعه الله.

و تظافرت الأسباب و الدواعى عند مشركى مكه و من والاهم لخوض حرب جديده ضد الإسلام تزيج عن كاهلهم كابوس الهزيمه فى بدر و تطفىء غليل الحقد

ص: ١٤٠

١- (١) وقعت معركه أحد فى شوال من السنه الثالثه للهجره.

الذى ما زال يؤججه أبو سفيان زعيم البيت الاموى و الخاسر الأكبر فى بدر، كما كان عويل النساء و مطامع التجار الذين فقدوا كل الطرق الآمنه للتجاره عاملين آخرين لذلك.

فكانت الحرب محاوله لإضعاف المسلمين و تأمين طرق التجاره الى الشام، و الحدّ من تنامى قوه المسلمين العسكريه لتجنب مكه من خطر الاحتلال و القضاء على الشرك فيها. مما أسهم فى إعداد الحرب أيضا تحريض يهود و منافقى المدينه لقريش و غيرها لغزو المدينه و القضاء على الإسلام.

و سارع العباس بن عبد المطلب إلى الكتابه للنبي (صلى الله عليه و اله) يخبره عن اجتماع كلمه قريش على الحرب و تهيتهم للعدّه و العدد حيث استنفروا معهم القبائل و اتخذوا عدّه أساليب لإثاره الحرب و العزيمه على القتال إذ خرجت النسوه معهم.

و وصل الكتاب سرّا الى النبي (صلى الله عليه و اله) فكنتم الخبر عن المسلمين حتى يستوضح الأمر و يعدّ له العدّه اللازمه.

و اقتربت جحافل الشرك من المدينه فبعث النبي (صلى الله عليه و اله) الحباب بن المنذر سرا ليستطلع العدو-بعد أن بعث أنسا و مؤنسا ابني فضاله-فجاء الخبر و الوصف متوافقين مع كتاب العباس و خبر ابني فضاله، و بات عدد من المسلمين من الذين أخبرهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) بالخبر فى حيطه و حذر خشيه مداهمه العدو.

ثم استشار رسول الله (صلى الله عليه و اله) أصحابه بعد أن أعلن قدوم قريش للحرب فاختلقت آراؤهم بين التحصّن فى المدينه أو الخروج لملاقاه العدو خارجها. و لم يكن عسيرا على النبي (صلى الله عليه و اله) أن يحدد الخطه مسبقا لكنه أراد أن يشعر المسلمين بمسؤوليتهم. ثم كان الاتفاق على خروج المسلمين للقاء العدو و قتاله خارج المدينه. ثم صلى النبي (صلى الله عليه و اله) صلاه الجمع و صعد المنبر و خطب و أخذ يعظ الناس و يذكرهم بطاعه الله و أمرهم بالجد و الجهاد و الصبر. ثم نزل و دخل داره و لبس

لامته مما أثار المسلمين و هزهم بشده و ظنوا أنهم أكرهوا الرسول(صلى الله عليه و اله)على الخروج من المدينه فقالوا:يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك،فاصنع ما بدا لك.

فقال(صلى الله عليه و اله):ما ينبغي لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل (١).

و خرج النبى(صلى الله عليه و اله)فى ألف مقاتل من المسلمين و رفض أن يستعين باليهود ضد المشركين قائلا:لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك (٢).و لم يستطع المنافقون إخفاء حقدهم فانخذل عبد الله بن ابى عن رسول الله بثلاثه ثمئه و بقى رسول الله بسبعمئه و كان المشركون أكثر من ثلاثه الآف (٣).

و عند جبل أحد وضع النبى(صلى الله عليه و اله)خطه محكمه ليضمن النصر المؤزر ثم قام(صلى الله عليه و اله)فخطب الناس قائلا: «أيها الناس أوصيكم بما أوصانى الله فى كتابه من العمل بطاعته و التناهى عن محارمه،ثم إنكم اليوم بمنزل أجر و ذخر لمن ذكر الذى عليه،ثم و طن نفسه له على الصبر و اليقين و الجد و النشاط فإنّ جهاد العدو شديد كربه،قليل من يصبر عليه،إلاّ من عزم الله رشده،فإن الله مع من أطاعه و إن الشيطان مع من عصاه،فافتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد و التمسوا بذلك ما وعدكم الله،و عليكم بالذى أمركم به،فإنى حريص على رشدكم فإن الاختلاف و التنازع و التشييط من أمر العجز و الضعف مما لا يجب الله،و لا يعطى عليه النصر و لا الظفر» (٤).

و اصطف المشركون للقتال الذى سرعان ما نشب و لم يمض زمن طويل حتى و لت قوى الشرك الأدبار،و كادت نساؤهم أن تقع بأيدي المسلمين سبايا، و بدا انتصار المسلمين واضحا فى ساحه المعركه حتى وسوس الشيطان فى نفوس

ص: ١٤٢

١- (١) السيره النبويه: ٢٣/٢، المغازى: ١/٢١٤.

٢- (٢) الطبقات لابن سعد: ٣٩/٢.

٣- (٣) الطبرى: ١٠٧/٣.

٤- (٤) المغازى: ١/٢٢١.

بعض الرماه الذين وضعهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) فوق الجبل و أمرهم بعدم ترك مكانهم مهما كانت نتيجة المعركه حتى يتلقوا أمرا جديدا منه فعصوا أمر رسول الله (صلى الله عليه و اله) و تركوا مواقعهم سعيا وراء الغنائم فكزت قوى الشرك ثانيه بقياده خالد بن الوليد من موقع الثغره التى نهى رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن تركها.

فذهل المسلمون لذلك و تفرقت جموعهم و عادت فلول قريش المنهزمه الى الحرب و قتل عدد كبير من المسلمين و أشاع المشركون نبأ مقتل رسول الله (صلى الله عليه و اله) و كادت كتائب الشرك أن تصل الى النبي (صلى الله عليه و اله) لو لا استبسال على بن أبى طالب و حمزه بن عبد المطلب و سهل بن حنيف و قله قليله ثبتت فى ساحه المعركه إذ فزت البقيه الباقيه من المسلمين بما فيهم كبار الصحابه (١)، حتى أن بعضهم بدرت منه فكره التبرى من الإسلام فقال: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن ابى يأخذ لنا أمانا من أبى سفيان (٢).

و استشهد حمزه بن عبد المطلب عم النبي (صلى الله عليه و اله) و تعرض رسول الله (صلى الله عليه و اله) للإصابه فكسرت ربايته السفلى و شقت شفته و سال الدم على وجهه فجعل يمسحه و هو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم و هو يدعوهم الى الله (٣) و قاتل (صلى الله عليه و اله) حتى صارت قوسه شظايا. و طعن ابى بن خلف حين هجم عليه يريد قتله (صلى الله عليه و اله) و مات ابى على أثرها و استبسل على ابن أبى طالب بصوره لا- نظير لها و هو يفرق كل من يتقدم نحو رسول الله و يهده بسيفه فنزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقال: يا رسول الله هذه المواساه، فقال (صلى الله عليه و اله): «إنه منى و أنا منه».

ص: ١٤٣

١- ((١) المغازى: ٢٣٧/١، السيره النبويه: ٨٣/٢، شرح نهج البلاغه: ٢٠/١٥.

٢- ((٢) بحار الأنوار: ٢٧/٢٠. و قد وردت آيات القرآن تبين القتال و نوازع المسلمين فى سوره آل عمران: ١٢١/٣-١٨٠.

٣- ((٣) تاريخ الطبرى: ١١٧/٣، بحار الأنوار: ١٠٢/٢٠.

فقال جبرئيل: و أنا منكما، فسمعوا صوتا يقول: «لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا علي» (١).

و انسحب الرسول (صلى الله عليه و اله) و البقيه الباقيه معه من المسلمين الى الجبل و هدأت المعركه و جاء أبو سفيان يستهزئ و يسخر بالمسلمين قائلا: اعل هبل.

و أمر رسول الله (صلى الله عليه و اله) أن يرد على الكفر مظهرا بذلك عدم انكسار العقيده رغم الانكسار فى ساحه المعركه فقال قولوا: «الله أعلى و أجل».

و أمر النبي (صلى الله عليه و اله) بالردّ ثانيه على شعار أبي سفيان الكافر حين قال: نحن لنا العزى و لا- عزى لكم فقال (صلى الله عليه و اله): قولوا «الله مولانا و لا مولى لكم» (٢).

و رجع المشركون إلى مكّه و قام النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمون بدفن الشهداء فهالهم المنظر الفظيع الذى تركته قريش فقد مثّلت بجثث الشهداء. و لما أبصر النبي (صلى الله عليه و اله) حمزه بن عبد المطلب ببطن الوادى و قد اخرج كبده و مثّل به بوحشيه و حقد؛ حزن حزنا شديدا و قال: ما وقفت موقفا قط أعيظ إلى من هذا.

و لم تكن التضحيات الجسام و الخساره الكبيره فى ساحه المعركه لتثنى أهل العقيده و الرسول القائد (صلى الله عليه و اله) عن الاستمرار فى الدفاع عن حياض الإسلام و كيان الدوله الفتيه، ففى اليوم التالى من رجوعهم إلى المدينه أمر النبي (صلى الله عليه و اله) باستنفار المسلمين لطلب العدو و مطاردته على أن لا يخرج إلا من حضر الغزوه فخرج المسلمون على ما بهم من جراح إلى منطقه حمراء الأسد و بهذا أتبع الرسول القائد (صلى الله عليه و اله) اسلوبا جديدا لإرعاب العدو، ممّا جعل الخوف يسيطر عليهم فأسرعوا فى مسيرهم نحو مكّه (٣) و رجع النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمون إلى المدينه و قد استردوا

ص: ١٤٤

١- ((١)) تاريخ الطبرى: ١١٦/٣، مجمع الزوائد: ١١٤/٦، بحار الأنوار: ٧١/٢٠.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٩٤/٢.

٣- ((٣)) السيره النبويه: ١٠٢/٢، الطبقات الكبرى: ٤٩/٢.

كثيرا من معنوياتهم.

٦- محاولات الغدر بالمسلمين:

كان من الطبيعي في مجتمع تحكمه القوه و الغلبه بالسيف أن يطمع المشركون في المسلمين بعد النكسه في احد، لكن النبي القائد(صلى الله عليه و اله) كان يقظا و مدركا لكل المتغيرات حريصا على سلامه الرساله و قوتها مجتهدا في بناء الدوله و المحافظه عليها، فكان يتحسس الأخبار و يستطلع النوايا و يسرع في الرد قبل أن يدرك المشركون أهدافهم فخرجت سريره أبى سلمه ترد غدر بنى أسد بالمدينه و نجحت السريه في مهمتها (١) و تمكن المسلمون أيضا من رد كيد مشرك كان يعد لغزو المدينه.

و قد تمكنت جماعه من المشركين من الغدر بالمسلمين حين قدم جمع من قبيلتي «عضل» و «القاره» إلى رسول الله(صلى الله عليه و اله) تطلب من يفقهها الدين و استجاب نبي الرحمه(صلى الله عليه و اله) سعيا منه لنشر الرساله الاسلاميه و لكن يد الغدر فتكت بالمسلمين الدعاه عند منطقه «ماء الرجيع». و قبل أن يبلغ خبر مصرعهم إلى النبي(صلى الله عليه و اله) اقترح أبو براء العامري على النبي(صلى الله عليه و اله) أن يرسل مبلغين إلى أهل «نجد» يدعون إلى الإسلام بعد أن رفض هو الدخول في الإسلام، فقال النبي(صلى الله عليه و اله): «إني أخشى عليهم أهل نجد.. قال أبو براء: «لا تخف، أنا لهم جار». و قد كان للجوار اعتبار و اهميه تعدل النسب في عرف الجزيره العربيه لذا اطمأن النبي(صلى الله عليه و اله) و أرسل و فدا من الدعاه للتبليغ و لكن الغدر طالهم فعدا عليهم عامر بن الطفيل و قبائل بنى سليم في منطقه «بئر معونه» و فتكوا بهم و لم يسلم منهم إلا عمرو بن اميه الذى أطلقوه فعاد إلى النبي(صلى الله عليه و اله) بالخبر و لكنه في طريقه قتل

ص: ١٤٥

رجلين ظننا منه أنهما من العامريين، ولكن النبي (صلى الله عليه و اله) حزن لذلك و قال له: بنس ما صنعت قتلت رجلين كان لهما منى أمان و جوار، لأدفعنّ ديتهما» (١).

٧- غزوه بنى النضير :

(٢)

تتابعت النكبات على المسلمين حتى بدى للمنافقين و ليهود المدينة أن هيبه المسلمين قد ضاعت، و أراد النبي (صلى الله عليه و اله) بحكمته السياسيه أن يحدّد ملامح التصرف الصحيح مع يهود (بنى النضير) مبرزاً نواياهم، فاستعان بهم على دفع ديه القتيلين. فتلقوه قرب مساكنهم مرحّبين به و بجماعه من المسلمين و هم يضمرون السوء، فطلبوا منه الجلوس ريثما يحققون له طلبه. فجلس مستنداً إلى جدار بيت من بيوتهم فأسرعوا- مستغلّين الفرصه- للإلقاء حجر عليه و قتله، فهبط الوحي عليه يخبره، فانسَلّ من بينهم تاركاً الصحابه معهم، فاضطرب بنو النضير و أمسوا في حيره من أمرهم و باتوا قلقين بشده من سوء فعلتهم، و أسرع الصحابه الى النبي (صلى الله عليه و اله) فى المسجد يستطلعون سرّ عودته فقال (صلى الله عليه و اله): «هَمّت اليهود بالغدر بى فأخبرنى الله بذلك فقامت» (٣).

و بذلك استحلّ الله دماءهم إذ نقضوا عهد الموادعه مع النبي (صلى الله عليه و اله) و همّوا بالغدر به فلم يكن لهم إلاّ الجلاء عن المدينة. و تدخّل زعيم النفاق عبد الله بن ابى و غيره يمّون بنى النضير بعدم الامتثال لأمر النبي (صلى الله عليه و اله) و الثبات له و وعدهم بأنّه و جماعته سيمدونهم مقابل النبي (صلى الله عليه و اله) و لن يخذلوهم، و تحصن بنو النضير فى

ص: ١٤٦

١- (١) السيره النبويه ٣: ١٩٣-١٩٥.

٢- (*) وقعت هذه الغزوه فى شهر ربيع الأول من السنه الرابعه للهجره.

٣- (٢) الطبقات الكبرى: ٥٧/٢، امتاع الاسماع: ١٨٧/١.

حصونهم متمردين على أمر النبي (صلى الله عليه و اله).

و استخلف النبي (صلى الله عليه و اله) ابن ام مكتوم على المدينة حين علم بمساعي المنافقين و خرج لمحاصره بنى النضير و أتبع معهم اسلوبا اضطرهم إلى التسليم و الخروج بما تحمله إيلهم فقط أذله خاسئين (١).

و غنم المسلمون أموالا و سلاحا كثيرا و لكن الرسول (صلى الله عليه و اله) جمع المسلمين و عرض عليهم رأيه فى أن تكون الغنائم للمهاجرين خاصة كى يتحقق لهم الاستقلال الاقتصادى إلا سهل بن حنيف و أبا دجانة- و هما من فقراء الأنصار- فأعطاهما النبي (صلى الله عليه و اله) من هذه الغنائم (٢).

٨- مناوشات عسكرية بعد احد:

ساد الهدوء و الاستقرار أجواء المدينة و اضطرب المنافقون قلقا من انكشاف أساليبهم و أيقنوا أن الدور القادم هو دور تحطيمهم. و فى هذا الظرف وردت أخبار للنبي (صلى الله عليه و اله) بأن غطفان تعدّ العده لغزو المدينة فأسرع النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمون فى الخروج إليهم و لكنهم فوجئوا بالعدو قد أعدّ و استعدّ لملاقاتهم فتهيب كل من الفريقين الآخر و لم يقع أى قتال. و فى هذه الغزوه صلى النبي (صلى الله عليه و اله) صلاة الخوف بالمسلمين إذ لم يتسنّ لهم الغفلة عن العدو برهه من الزمن، و عاد المسلمون إلى المدينة دون قتال (٣)، و سميت هذه الغزوه ب(ذات الرقاع).

بدر الموعد (بدر الصفراء)

مرّت الأيام الحرجه على المسلمين بسرعه و قد ازدادوا خبره قتاليه

ص: ١٤٧

١- (١) و صفت سوره الحشر احداث جلاء بنى النضير.

٢- (٢) الارشاد: ٤٧.

٣- (٣) راجع السيره النبويه: ٢٠٤/٢.

و تنزلت عليهم أحكام الشريعة فتهذبت العلاقات و انتظمت شؤون حياتهم فى عامه جوانبها و ازداد الإيمان رسوخا و ثباتا و برزت نماذج رائعه من الصمود و التضحيه و الفداء و الإخلاص للدين الإسلامى و للامه المسلمه و أوشكت أن تنمحي آثار الانكسار فى احد. و حلّ موعد التهديد الذى أطلقه زعيم الكفر أبو سفيان فى احد حين قال: موعدا و موعداكم بدر، قاصدا الانتقام لقتلى المشركين يوم بدر. فخرج النبى (صلى الله عليه و اله) فى ألف و خمسمائه مقاتل من أصحابه و عسكر هناك ثمانيه أيام و لم تفلح مساعى المشركين لتخويف المسلمين و ثنيهم عن الخروج بل تملكهم الخوف حين علموا بما عزم عليه النبى (صلى الله عليه و اله) و المسلمون فاضطر أبو سفيان إلى أن يخرج إلى الموعد المحدد و لكنه كثر راجعا بحجّه الجفاف و الجذب المؤثر على الاستعداد العسكرى. و بذلك و صمت قريش بعار الهزيمه و الجبن و ارتفعت معنويات المسلمين و استردوا عافيتهم و نشاطهم.

و بعد فتره قليله أفادت الأخبار بأنّ سكان دومه الجندل يقطعون الطريق و يتجهزون لغزو المدينه، فخرج اليهم النبى (صلى الله عليه و اله) بألف من المسلمين للقائهم، و ما أن سمعوا بخروجه إليهم حتّى لاذوا بالفرار مخلفين وراءهم ما كان معهم من غنائم فاستولى عليها المسلمون دون قتال (١).

٩- غزوه بنى المصطلق و دور النفاق:

و وردت أخبار جديده تفيد بأن الحارث بن أبى ضرار- زعيم بنى المصطلق- يعدّ لغزو المدينه فاستوثق النبى (صلى الله عليه و اله)- كعادته قبل كل تحرك- من صدق الخبر و ندب المسلمين فخرجوا إليهم و التقوا عند ماء يدعى «المريسيه» و نشبت الحرب ففر المشركون بعد قتل عشره اشخاص منهم، و غنم المسلمون

ص: ١٤٨

١- ((١)) السيره النبويه لابن كثير: ١٧٧/٣، الطبقات الكبرى: ٦٢/٢.

غنائم كثيره و سببت أعداد كبيره من عوائل بنى المصطلق، كانت من بينهم جويريه بنت الحارث فأعتقها النبي (صلى الله عليه و اله) ثم تزوجها، و أطلق المسلمون ما فى أيديهم من الأسرى إكراما لرسول الله (صلى الله عليه و اله) و لها (١).

و فى هذه الغزوه كادت أن تقع فتنه بين المهاجرين و الأنصار بسبب بعض النعرات القبليه و لما علم النبي (صلى الله عليه و اله) بذلك قال «دعوها فإنها فتنه» (٢). و أسرع عبد الله بن ابي رأس النفاق يبتغى الفتنه و يؤجج الخلاف فوجه اللوم لمن حوله من أهل المدينه إذ آووا و نصروا المهاجرين ثم قال: أما و الله لئن رجعنا إلى المدينه ليخرجن الأعز منها الأذل، و كادت أن تفلح مساعى ابن ابي لو لا أنّ النبي (صلى الله عليه و اله) - بعد أن توثق من تحريض ابن أبي و نفاقه - أمر بالعوده إلى المدينه على وجه السرعه رافضا رأى عمر بن الخطاب بقتل ابن ابي فقال (صلى الله عليه و اله): «فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؟!» (٣). و لم يأذن النبي (صلى الله عليه و اله) بالاستراحه فى الطريق فسار بالمسلمين يوما و ليله ثم أذن لهم بالاستراحه فأخلد الجميع للنوم من شده التعب و لم تتح فرصه للتحدّث و تعميق الخلاف. و على أبواب المدينه طلب عبد الله بن عبد الله بن ابي الإذن من النبي (صلى الله عليه و اله) فى قتل أبيه بيده دون أحد من المسلمين خشيه أن تثيره العاطفه فيثار لأبيه فقال نبي الرحمه (صلى الله عليه و اله): «بل نترفق به و نحسن صحبته ما بقى معنا». ثم وقف عبد الله (الأبن) ليمنع أباه من دخول المدينه إلّا بإذن من الرسول الأكرم (صلى الله عليه و اله) (٤)، و فى هذا الظرف نزلت سوره المنافقين لتفضح سلوكهم و نواياهم.

ص: ١٤٩

١- ((١)) تاريخ الطبرى: ٢٠٤/٣، امتاع الاسماع: ١٩٥/١.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٢٩٠/١.

٣- ((٣)) امتاع الاسماع: ٢٠٢/١.

٤- ((٤)) راجع السيره النبويه: ٢٩٢/٢.

برحمته الفياضه و بطيب قلبه المفعم حبا للإنسانيه وقف النبي (صلى الله عليه و اله) ذات يوم و قال لقريش: «يا من حضر إشهدوا أن زيدا هذا ابني» (١). و انتقل زيد من رقّ العبوديه إلى بنوه أكرم خلق الله و آمن زيد بالنبي المرسل (صلى الله عليه و اله) من أول أيام البعثه المباركه ايمانا صادقا. و مضت الأيام حتى بلغ زيد مرحله الرجوله في ظل رعايه النبي الأكرم (صلى الله عليه و اله) و بجرأه الثائر العظيم و المصلح الكبير اختار النبي (صلى الله عليه و اله) زينب بنت جحش (ابنه عمته) زوجا لزيد، فامتنعت أن تتنازل عن مكانتها الاجتماعيه و نسبها الرفيع لتتزوج رجلا سبق له أن كان رقًا. و لكن إيمانها الصادق دفعها لتستجيب لأمر الله تعالى حيث يقول: **وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ (٢).**

و بذلك ضرب الرسول (صلى الله عليه و اله) مثالا رائعا للقضاء على الأعراف الجاهليه الباليه تطبيقا لقيم الرساله الخالده. و لكن تفاوت الثقافه و تنافر الطباع حالا دون نجاح تجربته رائده في مجتمع كان لا يزال يعاني من ترسيبات الجاهليه و تدخل النبي (صلى الله عليه و اله) ليصلح ما فسد محاولا أن لا يصل إلى طريق مسدود فقال لزيد:

أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تَكَرَّرَتْ شَكْوَى زَيْدٍ مِنْ زَيْنَبَ فَكَانَ آخِرَهَا الطَّلَاقَ.

ثم نزل الأمر الإلهي ليبطل ما تعارف عليه العرب من اعتبار الأديعاء (من ادعى بنوتهم) أبناء فقال تعالى: **وَ مَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ**

ص: ١٥٠

١- ((١)) أسد الغابه: ٢/٢٣٥، الاستيعاب ماده: زيد.

٢- ((٢)) الأحزاب (٣٣): ٣٦.

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (١)، و أبقى لهم حقّ الموالاه و الاخوه فى الدين.

و أراد الله سبحانه أن ينسف هذا العرف الباطل فأمر نبيه (صلّى الله عليه و اله) أن يتزوج زينب بعد طلاقها من زيد، و إكمال عدتها بعد أن نزلت الآيات الكريمة تحثّ النبي (صلّى الله عليه و اله) على إبطال هذا العرف الجاهلى و أن لا يخشى الناس بل يمضى فى تطبيق أحكام الله تعالى بكل شجاعه (٢).

ص: ١٥١

١- (١) الأحزاب (٣٣): ٤.

٢- (٢) راجع سوره الأحزاب (٣٣): ٣٧-٤٠، و راجع تفسير الميزان: ١٦/٢٩٠، مفاتيح الغيب: ٢٥/٢١٢، روح المعانى: ٢٢/٢٣.

تظاهر قوى الشرك و الرد الإلهي الحاسم

تحالف قوى الشرك و غزوه الخندق:

أشرفت السنه الخامسه على الانقضاء و كانت كل الأحداث و التحركات العسكريه التى خاضها المسلمون تهدف الى الدفاع عن كيان الدوله الفتيه، و توفير الأمن فى محيط المدينه و أفرزت الأحداث تنوعا و تعددا فى الجهات و الأطراف المعاديه للدين و للدوله الإسلاميه. فسعى اليهود لاستثمار هذا التنوع بتجميعه و تمويله و إثارة النزعه العداثيه فيه لاستئصال الوجود الإسلامى من الجزيره، و من ذلك أنهم أوهموا المشركين الذين تساءلوا عن مدى أفضليه الدين الإسلامى على الشرك، بأن الوثنيه خير من دين الاسلام (1) و تمكنوا من جمع قبائل المشركين و تعبئتهم و سوقهم صوب المدينه عاصمه الدوله الإسلاميه. و سرعان ما وصل الخبر الى مسامع النبى (صلى الله عليه و اله) و هو القائد المتحضر اليقظ و المدرك لكل التحركات السياسيه، من خلال العيون الثقاف.

و استشار النبى (صلى الله عليه و اله) أصحابه فى معالجه الأمر و توصلوا الى فكره حفر خندق يحصن الجانب المكشوف من المدينه. و خرج النبى (صلى الله عليه و اله) مع المسلمين ليشاركهم فى حفر ذلك الخندق بعد تقسيم العمل بينهم و كان يحصنهم بقوله:

ص: ١٥٣

١- ((١)) كما ورد فى قوله تعالى فى الآية: ٥١ من سوره النساء.

«لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم إغفر للأَنْصار و المهاجره» (١).

و لم يخل الأمر عن دور للمنافقين و المتقاعسين عن العمل رغم الهمة و الحماس الذى أظهره المخلصون من المسلمين (٢).

و أحاطت قوى الأحزاب المشركه البالغه نحو عشره الاف مقاتل بالمدينه يمنعه الخندق و تسيطر عليها الدهشه لهذا الاسلوب الدفاعى الذى لم تكن تألفه من قبل. و خرج النبى (صلى الله عليه و اله) فى ثلاثه آلاف مقاتل و نزل فى سفح جبل سلع و وزع المهام و الأدوار لمواجهه الطوارئ.

و بقيت الأحزاب تحاصر المدينه ما يقرب من شهر عاجزين عن اقتحامها، و كانت هناك مواقف رائعه للمسلمين و كان بطلها الأوحده على بن أبى طالب (عليه السلام)، و قد توج النبى (صلى الله عليه و اله) موقف على بن أبى طالب البطولى عند ما خرج لمبارزه صناديد من صناديد العرب- هو عمرو بن عبدود- بعد أن أحجم المسلمون عن الخروج إليه بقوله (صلى الله عليه و اله): «برز الإيمان كله الى الشرك كله» (٣).

و حاول المشركون الاستعانه بيهود بنى قريظه بالرغم من انهم كانوا قد تعاهدوا مع رسول الله (صلى الله عليه و اله) ان لا يدخلوا فى حرب ضد المسلمين، و تيقن الرسول القائد (صلى الله عليه و اله) من عزمه اليهود على المشاركه فى القتال و فتح جبهه داخلية ضد المسلمين فأرسل اليهم سعد بن معاذ و سعد بن عباده فرجعوا مؤكدين الخبر فكبر الرسول (صلى الله عليه و اله) قائلاً: «الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين بالفتح» (٤).

ص: ١٥٤

١- (١) راجع البدايه و النهايه لابن كثير: ٩٦/٤، و المغازى: ٤٥٣/١.

٢- (٢) نزلت آيات من القرآن الكريم تفضح السلوك التخاذلى و تدعم مركزيه العمل بوجود الرسول القائد (صلى الله عليه و اله). راجع سوره الأحزاب، الآيات: ١٢-٢٠.

٣- (٣) بحار الأنوار: ٢١٥/٢٠. شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٢٨٣/١٣ و ٢٩١/١٤-٢٩٢ و ٦٣/١٩-٦٤ و السيره النبويه: ٢٨١/٣ و راجع مستدرک الحاكم: ٣٢/٣.

٤- (٤) المغازى: ٤٥٦/١، بحار الأنوار: ٢٢٢/٢٠.

لقد تعرض المسلمون لضغوط عديدة أثناء الحصار منها:

١- تناقص الأتوات (المواد الغذائية) حتى بدى شبح المجاعه يذنو من المسلمين (١).

٢- صعوبه الظروف الجويه حيث البرد القارس فى لىالى الشتاء الطويله.

٣- الحرب النفسىه المريره التى شنتها جيوب المنافقين فى صفوف المسلمين و تخذيلهم عن القتال و تخويلهم من مغبه الاستمرار فى الصمود.

٤- السهر المستمر طوال مده الحصار حذرا من الهجوم المباغت، فقد أتعب ذلك المسلمين بالنظر إلى عددهم القليل اذا ما قيس الى كثره قوات الأحزاب.

٥- غدر بنى قريظه حيث أصبح خطرا حقيقيا يهدد قوات المسلمين داخلها و يزيدهم قلقا على سلامه أهاليهم داخل المدينه.

هزيمه العدو:

لقد كانت قوى الأحزاب ذات نوايا و أهداف متخالفه، فاليهود كانوا يحاولون استعاده نفوذهم على المدينه بينما كانت قريش مندفعه بعداثها للرسول و الرساله و كانت غطفان و فزاره و غيرها طامعه فى محاصيل خيبر التى وعدھا اليهود. هذا من جانب. و من جانب آخر أحدثت قسوه ظروف الحصار كللا و مللا فى نفوس الأحزاب الى جانب ما واجههوه من التحصين و قوه المسلمين التى أبدوها و ما قام به «نعيم بن مسعود» من إحدائ شرخ فى تحالف الأحزاب

ص: ١٥٥

١- (١) راجع المغازى: ٢/٤٦٥، ٤٧٥، ٤٨٩.

و اليهود إذ أقدم-بعد اسلامه-الى الرسول(صلى الله عليه و اله)قائلا:مرنى ما شئت فقال له(صلى الله عليه و اله):«أنت فينا رجل واحد،فخذل عنا ما استطعت فإنّ الحرب خدعه».

و أرسل الله سبحانه و تعالى على الأحزاب ريحا عاتيه بارده أحدثت فيهم رعبا و قلقت خيامهم و كفأت قدورهم،فنادى أبو سفيان بقريش للرحيل فأخذوا معهم من المتاع ما استطاعوا حمله و فروا هاربين و تبعتهم سائر القبائل حتى إذا أصبح الصباح لم يبق أحد منهم و كفى الله المؤمنين القتال (١).

غزو بنى قريظه و تصفيه يهود المدينه:

لقد كشف يهود قريظه عن الحقد و العدااء الذى انطوت عليه نفوسهم يوم الخندق و لو لا أن الله أخزى الأحزاب لتمكن يهود بنى قريظه من الفتك بالمسلمين من خلف ظهورهم فكان لا بد للرسول(صلى الله عليه و اله)من معالجه موقفهم الخياني،و لهذا أمر النبي(صلى الله عليه و اله)أن يتحرك المسلمون لمحاصره اليهود فى حصونهم من دون أن يعطى فرصه للاستراحه مظهرا بذلك أهميه الحركه العسكريه الجديده فأذن المؤذن فى الناس:من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظه (٢).

و أعطى النبي(صلى الله عليه و اله)رايته لعلى(عليه السلام)و تبعه المسلمون مع ما بهم من ألم الجوع و السهر و الجهد من أثر محاصره الأحزاب... و استولى الهلع و الخوف على اليهود حين رأوا الرسول(صلى الله عليه و اله)و المسلمين يحيطون بهم و أيقنوا أن النبي غير منصرف عنهم حتى يناجزهم.

و طلب اليهود أبا لبابه بن عبد المنذر-و كان من حلفائهم الأوس-

ص:١٥٦

١- (١) نزلت سوره الأحزاب و فيها تفاصيل ما جرى يوم الخندق.

٢- (٢) الطبرى:١٧٩/٣.

يستشيرونه في أمرهم ولكنه كشف لهم عمّا كان يعلمه من مصيرهم حين قاموا إليه صغاراً و كباراً ليكون (١). ولم يقبل النبي (صلى الله عليه و اله) عرض بنى قريظه و هو الارتحال عن المدينة من دون عقوبه بسبب موقفهم الخياني السابق و أبى إلا النزول على حكم الله و رسوله، و حاول الأوس التوسط -بطلب من اليهود- لدى النبي (صلى الله عليه و اله) فقال (صلى الله عليه و اله): ألا ترضون أن أجعل بينى و بين حلفائكم رجلاً منكم؟ قالوا:

بلى يا رسول الله، قال (صلى الله عليه و اله): فقولوا لهم أن يختاروا من الأوس من شأؤوا. فاختار اليهود سعد بن معاذ (٢) حكماً و كان هذا من سوء حظ اليهود؛ لأن سعداً جاءهم يوم تجمعت الأحزاب طالباً منهم الحياد فى الموقف فأبوا ذلك. و كان سعد جريحاً فحملوه إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فاستقبله و قال (صلى الله عليه و اله) لمن حوله: قوموا إلى سيدكم، فقاموا إليه. ثم حكم سعد بقتل الرجال و سبى النساء و الذرارى و تقسيم الأموال على المسلمين، فقال له النبي (صلى الله عليه و اله): لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعه (٣).

ثم إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قسّم أموال بنى قريظه و نساءهم و أبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخمس، للفارس ثلاثة أسهم و للراجل سهم، ثم أعطى الخمس الى زيد بن حارثه و أمره أن يشتري بها خيلاً و سلاحاً و غيرها من عدّه الحرب استعداداً للمهام اللاحقه (٤).

ص: ١٥٧

١- ((١)) السيره النبويه: ٢٣٧/٢.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٢٣٩/٢، الارشاد: ٥٠.

٣- ((٣)) راجع السيره النبويه: ٢٤٠/٢، المغازى: ٥١٠/٢.

٤- ((٤)) السيره النبويه: ٢٤١/٢.

اشاره

فيه فصول:

الفصل الأول:

مرحله الفتح

الفصل الثاني:

الاسلام خارج الجزيره

الفصل الثالث:

تصفيه الوجود الوثنى داخل الجزيره

الفصل الرابع:

أيام الرسول الأخيره

الفصل الخامس:

من معالم الرساله الاسلاميه

الخاتمه الفصل السادس:

تراث خاتم المرسلين (صلى الله عليه و اله)

ص: ١٥٩

كادت تنقضى السنه السادسه للهجره و كانت تلك السنه سنه جهاد مستمر و دفاع مستميت بالنسبه للمسلمين. و اهتم المسلمون بنشر الرساله الإسلاميه و بناء الانسان و المجتمع الإسلامى و تكوين الحضاره الاسلاميه. و قد ادرك كل من كان فى الجزيره العربيه عظمه هذا الدين و عرف أن من المستحيل استئصاله و القضاء عليه، فالصراع مع قريش- و هى أكبر قوه سياسيه و عسكريه آنذاك- و مع اليهود و باقى القوى المشركه لم يمنع من انتشار الإسلام و سطوع معانيه و بلوغ أهدافه.

و لم يكن البيت الحرام ملكا لأحد أو حكر المذهب أو أصحاب معتقد معين، فقد كانت هنالك أصنام و أوثان متعدده يحج اليها من يعتقد بها، إلا أن طغيان قريش و عتوها صدّ النبي (صلّى الله عليه و اله) و المسلمين عن زياره البيت الحرام.

و فى هذه الفتره أدرك النبي (صلّى الله عليه و اله) حرج قريش فى موقفها تجاه الإسلام فقرر أن ينطلق بالمسلمين فى رحله عباديه مؤديا العمره، ليعلن من خلالها مواصلته للدعوه الإسلاميه و يوضح ما يمكنه من مفاهيم العقيدته الاسلاميه و معالمها و احترامها و تقديسها للبيت الحرام، و تكون حركته هذه مرحله انفتاح رسالى جديد و عهد انتقال من مرحله الدفاع الى مرحله الانتشار و الهجوم.

سلك الرسول (صلى الله عليه و اله) و أصحابه طريقا و عرا ثم هبطوا إلى منطقه سهله تدعى ب«الحديبيه» فبركت ناقه رسول الله فقال (صلى الله عليه و اله): «ما هذا لها عاده و لكن حبسها حابس الفيل بمكه» (١)، فأمر (صلى الله عليه و اله) المسلمين بالنزول فيها - و قال (صلى الله عليه و اله): «لا تدعوني قريش اليوم إلى خطه يسألوننى فيها صله الرحم إلا أعطيتهم إياها» (٢)، و لكن قريشا بقيت تترصد المسلمين و وقف فرسانها فى طريقهم، ثم بعثت إلى النبي (صلى الله عليه و اله) بديل بن ورقاء فى وفد من خزاعه لتستعلم هدف النبي (صلى الله عليه و اله) و تصده عن دخول مكه، و عاد الوفد ليقنع قريشا أن السلم و العمره هدف النبي (صلى الله عليه و اله)، و استكبرت قريش و بعثت بوفد آخر يرأسه الحليس - سيد الأحابيش - فلما رآه النبي (صلى الله عليه و اله) مقبلا قال: «إن هذا من قوم يتألهون» (أى يعظمون الله). فلما رأى الحليس الهدى رجع الى قريش من دون أن يلتقى بالنبي (صلى الله عليه و اله) ليقنع قريشا ان النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمين جاءوا معتمرين. و لكن لم تقتنع قريش فأرسلت مسعود بن عروه الثقفى الذى انههر من مشهد المسلمين و هم يتسابقون لالتقاط القطرات المتناثره من وضوئه (صلى الله عليه و اله) فعاد الى قريش قائلا: يا معشر قريش إنى قد جئت كسرى فى ملكه و قيصر فى ملكه و النجاشى فى ملكه، و إنى و الله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل «محمد» فى أصحابه، و لقد رأيت قوما لا يسلّمونه لشيء قط فروا رأيكم (٣).

و قد أعرب النبي (صلى الله عليه و اله) عن احترامه للأشهر الحرم من خلال رحله المسلمين العباديه حيث لم يحملوا معهم سوى سلاح المسافر، كما دعا القبائل المجاوره أن يكونوا الى جانب المسلمين فى هذه الرحله رغم أنهم لم يكونوا مسلمين مؤكدا أن العلاقه بين الاسلام و باقى القوى غير قائمه على أساس الحرب.

ص: ١٦٢

١- (١) بحار الأنوار: ٢٠/٢٢٩.

٢- (٢) الطبرى: ٣/٢١٦.

٣- (٣) المغازى: ٢/٥٩٨.

و استنفر النبي (صلى الله عليه و اله) ألفا و أربعمائة مسلم -على أقل التقادير- ساق الهدى أمامه (سبعين بعيرا). و بلغ قريشا نبأ خروج النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمين لأداء العمرة فأصبحت قريش فى ضيق من أمرها و كان أمامها طريقان: إما أن تسمح للمسلمين بأداء العمرة و بذلك يتحقق للمسلمين أملهم فى زيارته البيت الحرام و يحظى المهاجرون بالاتصال بأهلهم و ذويهم و ربما دعوتهم الى الاسلام، أو أن تمنع قريش المسلمين عن دخول مكة و بذلك ستعرض مكانه قريش للاهتزاز و تكون محطاً للوم القبائل الأخرى بسبب سوء معاملتها لقوم مسالمين يبتغون أداء مناسك العمرة و تعظيم الكعبة المشرفة لا غير.

لقد أبت قريش إلا العتو و المعاندة فأخرجت مجموعه من فرسانها تقدّر بمئتي فارس بقيادة خالد بن الوليد لمواجهة النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمين. و لما كان النبي (صلى الله عليه و اله) قد خرج محرماً لا غازياً قال (صلى الله عليه و اله): يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ما ذا عليهم لو خلوا بينى و بين سائر العرب فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا، و إن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام و أفرين، و إن لم يفعلوا قاتلوا و بهم قوه، فما تظن قريش؟ فو الله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفه.

ثم أمر بالعدول عن طريق فرسان قريش تجنباً لوقوع قتال تتخذه قريش ذريعه لصحة موقفها و فخرا لها. و أرسل النبي (صلى الله عليه و اله) خراش بن امية الخزاعى ليفاوض قريشا فى الأمر، فعقروا ناقته و كادوا أن يقتلوه. و لم ترع قريش حرمة و لادمه للأعراف و التقاليد. و لم تلبث قريش أن كلفت خمسين رجلاً للتحرش بالمسلمين عسى أن يبدر منهم ما ينفى صفة السلم عنهم. و فشلت خطتهم و تمكن المسلمون من أسرهم فعفا رسول الله (صلى الله عليه و اله) عنهم مؤكداً بذلك هدفه السلمى (1).

ص: ١٦٣

و أراد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنْ يبعث الى قريش رسولا- آخر- و لم يتمكن من إرسال علي بن أبي طالب ممثلا- عنه؛ لأنَّ عليا كان قد وتر قريش بقتل صناديدها في معارك الدفاع عن الإسلام، فاتتدب عمر بن الخطاب و لكن عمر خاف من قريش على نفسه رغم أنه لم يقتل فردا من أفرادها و اقترح على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنْ يرسل عثمان بن عفان (1)؛ لكونه أمويا و ذا قرابه مع أبي سفيان. و تأخر عثمان في العوده من قريش و اشيع خبر مقتله، فكان هذا إنذارا بفشل كل المساعي السلميه لدخول مكه. و لم يجد الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بدا من التهيؤ للقتال، و هنا كانت يبعه الرضوان إذ جلس النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) تحت شجره و أخذ أصحابه يبايعونه على الاستقامه و الثبات مهما كلف الأمر، و هدأ استنفار المسلمين بعوده عثمان. و ارسلت قريش سهيل بن عمرو لمفاوضه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

شروط الصلح:

و بسبب تشدد «سهيل» في شروط الصلح كادت المفاوضات أن تفشل، و أخيرا تم الاتفاق على عدّه شروط للصلح، هي:

١- تعهد الطرفين بترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس و يكف بعضهم عن بعض.

٢- من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، و من جاء قريشا ممن مع «محمّد» لم يردّوه عليه.

٣- من أحب أن يدخل في عقد «محمّد» و عهده دخل فيه و من أحب أن يدخل في عقد قريش و عهدهم دخل فيه.

٤- يرجع «محمّد» بأصحابه إلى المدينه عامه هذا فلا يدخل مكه، و إنما

ص: ١٦٤

يدخل مكة في العام القادم فيقيم فيها ثلاثه أيام ليس معه سوى سلاح الراكب، و السيف في القرب (١).

٥- لا يستكره أحد على ترك دينه و يعبد المسلمون الله بمكة علانيه و بحريه و أن يكون الاسلام ظاهرا بمكة و أن لا يؤذى أحد و لا يعير (٢).

٦- لا إسلال (سرقه) و لا إغلال (خيانه) بل يحترم الطرفان أموال الطرف الآخر (٣).

٧- لا تعين قريش على «محمد» و أصحابه أحدا بنفس و لا سلاح (٤).

و لم يرض نفر من المسلمين ببند الصلح، فاعترضوا على النبي (صلى الله عليه و اله) متصوّرين أنّ النبي (صلى الله عليه و اله) قد تراجع أمام قريش و لم يدركوا أن النبي (صلى الله عليه و اله) مسدد من الله و أنه ينظر بعين متطلّعه الى مستقبل الرساله الإسلاميه و مصالحها العليا. و ردّ النبي (صلى الله عليه و اله) على المعترضين بقوله: «أنا عبد الله و رسوله لن أخالف أمره و لن يضيّعي».

و أقرّ النبي ما كرهه بعض المسلمين، و جاءت قضيه تسليم أبي جندل لقريش (٥) إثاره جديده في ظرف توتر فيه الوضع النفسى عند بعضهم.

و لكن هذا الصلح كان في الواقع فتحا مينا و كبيرا للمسلمين على خلاف ما كان يبدو للبعض من ظاهر بنود الصلح؛ إذ انقلبت شروط المعاهده لصالح المسلمين بعد قليل.

و في طريق الرجوع الى المدينه نزلت آيات القرآن الكريم (٦) لتؤكد البعد

ص: ١٦٥

١- (١) السيره الحلبيه: ٢١/٣.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٣٥٢/٢٠.

٣- (٣) مجمع البيان: ١١٧/٩.

٤- (٤) بحار الأنوار: ٣٥٢/٢٠.

٥- (٥) السيره الحلبيه: ٢١/٣، السيره النبويه: ٢١٨/٢، بحار الأنوار: ٢٥٢/٢٠.

٦- (٦) راجع سوره الفتح (٤٨): ١-٧ و ١٨-٢٨.

الحقيقى للصلح مع زعيمه الوثنيه، و تبشّر المسلمين بدخول مكه قريبا.

نتائج صلح الحديبيه:

- ١- اعترفت قريش بكيان المسلمين كقوه عسكريه و سياسيه منظمه، و كدوله حقيقيه جديده.
- ٢- دخلت المهابه فى قلوب المشركين و المنافقين و تصاعر دورهم، و ظهر ضعفهم عند مواجهه.
- ٣- أعطت الهدنه فرصه لنشر الاسلام و دخلت قبائل كثيره فى الاسلام. و قد كان رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يتوقّع منذ بدء حركته الرساليه الإسلاميه أن تترك قريش له فرصه يعبر فيها بحرّيه عن موقفه، و يشرح الإسلام للناس بأمان.
- ٤- أمن المسلمون جانب قريش فحوّلوا ثقلهم و جهودهم لمواجهه اليهود و سائر المناوئين.
- ٥- جعلت مفاوضات الصلح حلفاء قريش يفقهون موقف المسلمين و يميلون إليهم.
- ٦- مكّن الصلح النبى (صلّى الله عليه و اله) من أن يرأس الملوك و رؤساء الدول خارج الجزيره لدعوتهم إلى الاسلام، و أن يستعدّ لغزوه مؤتة، كخطوه لنقل الإسلام خارج منطقه الجزيره العربيه.
- ٧- مهّد الصلح لفتح مكه-التي كانت أهم قلاع الوثنيه حين ذاك- فى مراحل لاحقه.

٢- انطلاقه الرساله الاسلاميه الى خارج المدينه:

لقد كانت محاولات قريش للقضاء على الاسلام فيما مضى عاملا لانشغال النبى (صلّى الله عليه و اله) و المسلمين فى معارك الدفاع و التحصين و تثبيت أركان الدوله

ص: ١٦٦

و المجتمع الإسلامى عده سنين فلم يستطع خلالها أن يبلغ بحريه تامه رسالته السماويه العالميه و الخاتمه لكل الأديان. و لكن بتوقيع معاهده صلح الحديبيه أمن الرسول جانب قريش و أتاحت هذه العمليه فرصه مناسبه لأن يبعث الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) سفراء الى زعماء القوى الكبرى المحيطه بالجزيره العربيه و الى كل رؤساء المجاميع فى الجزيره و خارجها يدعوهم الى الاسلام بعد بيان التعاليم الإلهيه لهم.

فقد روى أنه (صلّى الله عليه و اله) قال فى أصحابه: «أيها الناس إن الله قد بعثنى رحمته و كافه فلا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم».

فقال أصحابه: و كيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال (صلّى الله عليه و اله): «دعاهم الى الذى دعوتكم إليه فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى و سلّم و أما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه و تناقل» (١).

و انطلقت رسل الدعوه و الهدايه تنقل أمر رسول الله (صلّى الله عليه و اله) الى نقاط العالم المختلفه (٢).

٣- غزوه خيبر :

(٣)

بجهود صادق و بحنكه كبرى و شجاعه فائقه و تسديد إلهى ارتقى النبى (صلّى الله عليه و اله) بالمسلمين سلّم الوعى الرسالى و الثبات و الخير و زرع فيهم روح الصبر و التواصل.. و انطلق (صلّى الله عليه و اله) برسالته السماويه إلى العالم الإنسانى خارج الجزيره العربيه من خلال كتبه و رسله الى زعماء القوى المجاوره.

ص: ١٦٧

١- (١) السيره النبويه: ٦٠٦/٢، و الطبقات الكبرى: ٢٦٤/١.

٢- (٢) قد عدّ علماء الاسلام ما يقارب من (١٨٥) كتابا و رساله بعثها رسول الله (صلّى الله عليه و اله) إلى كل القوى يدعوها إلى الإسلام. راجع: مكاتيب الرسول لعلى بن حسين على الأحمدي.

٣- (٣) وقعت هذه الغزوه فى شهر جمادى الآخره من السنه السابعه للهجره، راجع الطبقات الكبرى: ٧٧/٢.

و توقع النبي (صلى الله عليه و اله) أن تكون ردود الفعل مختلفه فقد يكون بعضها هجوما عسكريا يقصد المدينه مستعينا بما فيها من بقيه جيوب المنافقين و اليهود و هم الذين حفل تاريخهم بالغدر و الخيانه.

و كانت خبير تمثّل حصنا قويا و مركزا كبيرا لليهود و لهذا قرر النبي (صلى الله عليه و اله) أن يقضى على هذه القوه المتبقيّه، فلم يلبث بعد عودته من الحديبيه إلّا أياما قلائل حتى جهّز جيشا بلغ تعداده ألفا و ستمائه من المسلمين مؤكدا لهم أن لا يخرجوا فى ابتغاء الغنيمه و قال (صلى الله عليه و اله): «لا يخرجنّ معنا إلّا راغب فى الجهاد» (١).

و اتّبع النبي (صلى الله عليه و اله) اسلوبا يوهّم حلفاء اليهود و يمنعهم عن المبادره لنصرتهم؛ تجنباً لمزيد من القتال.

فباغتت قوات المسلمين حصون اليهود يتقدمها على بن أبى طالب (عليه السلام) حاملا رايه رسول الله (صلى الله عليه و اله).

و امتنعت اليهود فى حصونهم المنيعه بخطه محكمه كانوا قد اتّبعوها، ثم دارت مناوشات متعدده تمكّن المسلمون خلالها من احتلال عدّه مواقع مهمه.

على أن القتال اشتدّ و طالت مدّه الحصار و عانى المسلمون من قسوه الجوع حتى أنهم أكلوا طعاما غير مستساغ.

و أعطى رسول الله (صلى الله عليه و اله) رايته الى عدد من الصحابه ليتم الفتح على أيديهم فلم يأتوا إلّا بالفرار و الفشل. و لمّا بلغ الجهد بالمسلمين قال النبي (صلى الله عليه و اله): «لأعطين الرايه غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله كزار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه» (٢).

ص: ١٦٨

١- ((١)) الطبقات الكبرى: ١٠٦/٢.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٣٣٧/٢. صحيح مسلم ١٧٦/١٥-١٧٧ و فضائل الصحابه: ٦٠٣/٢ و مسند الإمام أحمد: ٣٨٤/٣ و المواهب اللدنيه: ٢٨٤/١، و الاستيعاب: ٢٠٣/٣، كنز العمال: ١٢٣/١٣.

و دعا فى اليوم التالى عليا و أعطاه الرايه فتمّ الفتح على يديه و سرّ المسلمون و النبى (صلى الله عليه و اله) جميعا، و صالح رسول الله (صلى الله عليه و اله) البقيه الباقيه من اليهود بعد استسلامهم على نصف ثمار مزارعهم التى أصبحت ملكا للمسلمين، و لم يعاملهم كما عامل بنى النضير و بنى القينقاع و بنى قريظه؛ إذ لم تعد قوه اليهود الباقيه ذات أثر مهم فى المدينه.

٤-محاولة اغتيال النبى (صلى الله عليه و اله):

لقد قررت جماعه فى الخفاء قتل النبى (صلى الله عليه و اله) غيله شفاء لحقدهم الدفين و إرضاء لنزعاتهم العدوانيه و لهذا أهدت زينب بنت الحارث-زوجه سلام بن مشكم اليهودى-الى النبى (صلى الله عليه و اله) شاه مشويه و دسّت السمّ فيها و أكثرت منه فى ذراعها إذ كانت تعلم أن النبى (صلى الله عليه و اله) يحب الذراع من الشاه.

فلما وضعتها بين يديه أخذ (صلى الله عليه و اله) الذراع فلاك منها مضغه فلم يسغها و لفظها، بينما مات بشر بن البراء بن معرور بعد أن ابتلع مضغه اخرى منها.

و عفا النبى (صلى الله عليه و اله) عنها بعدما اعترفت له بذلك زاعمه أنها كانت تريد اختبار نبوته، و لم يلاحق النبى (صلى الله عليه و اله) الذين تواطوا معها (١).

٥-استسلام أهالى فدك:

و تهاوت أو كار الخيانه أمام صولات الحق و العدل، فما أن تم نصر الله فى خيبر حتى قذف الله الرعب فى قلوب أهل فدك فبعثوا إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) يصالحونه على نصف محاصيل فدك و أن يعيشوا تحت رايه الحكم الإسلامى، مطيعين مسالمين فوافق رسول الله (صلى الله عليه و اله) على ذلك.

ص: ١٦٩

و بهذا أصبحت فدك ملكا لرسول الله (صلى الله عليه و اله) خاصة بحكم القرآن لأنها مما لم يوجف عليه بخيل و لا سلاح إذ أعلنت استسلامها للنبي (صلى الله عليه و اله) من دون تهديد أو قتال. و قد وهب رسول الله (صلى الله عليه و اله) فدكا لابنته فاطمه الزهراء (عليها السلام) (١).

و بهذا تمّ تطهير أرض الجزيره العربيه من جيوب الخيانه و تخلّصت من فتن اليهود الذين جرّدوا من أسلحتهم و وضعوا تحت حمايه القانون و الدوله الاسلاميه.

و فى يوم فتح خيبر أقبل جعفر بن أبى طالب من الحبشه، فاستقبله رسول الله و قبل ما بين عينيه و قال: بأيهما أسرّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر (٢).

٦- عمره القضاء:

انقضت أيام الهدنه و النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمون فى عمل دؤوب متواصل لتركيز دعائم الحكم الإسلامى، و لم تحدث تحركات عسكريه مهمه بعد فتح خيبر سوى خروج سرايا تبليغيه أو تأديبيه لبعض العناصر التى كانت تظهر الشغب.

و مضى عام على صلح الحديبيه إلتزم خلاله الطرفان بنود الاتفاق و حلّ الوقت الذى أصبح النبي و المسلمون فى حلّ من عهدهم لزياره بيت الله الحرام، فنادى منادى الرسول (صلى الله عليه و اله) أن يتجهز المسلمون لأداء عمره القضاء. و خرج مع النبي (صلى الله عليه و اله) ألفان من المسلمين لا- يحملون سلاحا إلا- السيوف فى القرب، و كان من حيطه النبي و حذره من احتمال الغدر أن جهّز مجموعه مسلحه عند (مرّ الظهران) ليكونوا القوّه المستعده للدفاع عند الطوارئ.

و لما وصل النبي (صلى الله عليه و اله) إذا الحليفه أحرم هو و أصحابه و ساق معه ستين بدنه،

ص: ١٧٠

١- (١) مجمع البيان: ٤١١/٣، شرح ابن أبى الحديد: ٢٦٨/١٦، الدر المنثور: ١٧٧/٤.

٢- (٢) الطبقات الكبرى: ١٠٨/٢، و السنن الكبرى للبيهقى: ١٠١/٧، و السيره النبويه لابن كثير: ٣٩٨/٣.

وقدّم الخيل أمامه، وكانت نحواً من مائه بقياده محمد بن مسلمة. وخرج زعماء مكة و من تبعهم الى رؤوس الجبال و التلال المجاوره المطله على مكة زاعمين أنهم لا يريدون النظر الى وجه النبي (صلى الله عليه و اله) و لا إلى اصحابه، و لكن جلاله الرسول (صلى الله عليه و اله) و هييه منظر المسلمين الذين كانوا قد احتفوا بالرسول و هم يرددون التليه بهرت عيونهم و تركتهم مذهولين ينظرون إلى النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمين و هم يؤدون مناسكهم.

و طاف النبي (صلى الله عليه و اله) حول البيت على راحته التي كان يقودها عبد الله بن رواحه و أمر أن ينادى المسلمون بصوت عال: «لا إله إلا الله و وحده، صدق وعده، و نصر عبده، و أعزّ جنده و هزم الأحزاب و حده».

فدوى النداء فى مكة و شعابها فانصدعت قلوب المشركين رعبا و تملكهم الغيظ و الحقد من مظاهر النصر الإلهى للنبي (صلى الله عليه و اله) الذى خرج منهم طريدا قبل سبع سنين.

و أتم النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمون مناسك العمرة، و أيقنت قريش بقوه الإسلام و المسلمين و أيقنت بكذب من أخبرها أن النبي (صلى الله عليه و اله) و من معه فى جهد و تعب و ضيق و حرج بسبب الهجره إلى المدينه.

و صعد بلال على ظهر الكعبه و أعلن نداء التوحيد مؤذنا لصلاه الظهر بمظهر روحانى بهيج أغاظ رؤوس الكفر من قريش... و قد كانت مكة كلها تحت تصرف المسلمين.

و تفرق المهاجرون فيها و هم يصحبون إختهم الأنصار يزورون دورهم التى غادروها فى سبيل الله و يلتقون بأهليهم و ذويهم بعد فراق طويل.

و أمضى المسلمون ثلاثه أيام فى مكة ثم غادروها بموجب الاتفاق الذى كان بينهم و بين قريش بعد أن رفضت طلب النبي (صلى الله عليه و اله) و اله) بأن يتم مراسم زواجه من

«ميمونه» خائفين من ازدياد قوه النبي (صلى الله عليه و اله) و اختراق الإسلام لمجتمع مكه من خلال طول مكث النبي (صلى الله عليه و اله) فيها.

و خلف النبي (صلى الله عليه و اله) أبا رافع ليحمل إليه زوجته «ميمونه» حين يمسي، إذ خرج المسلمون قبل صلاة الظهر من مكّه (١).

ص: ١٧٢

١- (١) السيره النبويه: ٣٧٢/٢.

عزم النبي (صلى الله عليه و اله) على بسط الأمن في شمال الجزيره العربيه، و دعوه أهلها إلى الإسلام و الانطلاق نحو الشام. من هنا بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني فاعترضه شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله.

و في الفتره نفسها بعث الرسول (صلى الله عليه و اله) مجموعه من المسلمين يدعون الى الإسلام فعدا عليهم أهل منطقه «ذات أطلاق» من الشام و قتلوهم و بلغ خير مقتلهم الرسول فتألم لذلك كثيرا و انتدب (صلى الله عليه و اله) المسلمين للخروج، فأعد جيشا من ثلاثه آلاف مقاتل و أمر عليه زيد بن حارثه ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبد الله بن رواحه. و خطب فيهم قائلا: «اغزوا بسم الله... أدعوهم إلى الدخول في الإسلام... فإن فعلوا فاقبل منهم و اكفف عنهم... و إلا- فقاتلوا عدو الله و عدوكم بالشام و ستجدون فيها رجالا- في الصوامع معتزلين الناس، فلا- تعرضوا لهم، و ستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف، و لا تقتلن امرأه و لا صغيرا مرضعا و لا كبيرا فانيا، لا تغرقن نخلا و لا تقطعن شجرا و لا تهدموا بيتا» (٢).

١- (*) وقعت معركة مؤتة في جمادى الاولى من السنه الثامنه للهجره.

٢- (١) المغازى: ٧٥٨/٢، راجع السيره النبويه: ٣٧٤/٢.

و خرج رسول الله (صلى الله عليه و اله) معهم مودعا حتى بلغ ثنيه الوداع.

و لما بلغ جيش المسلمين منطقه «مشارق» فوجئ بالعدو و العدد الضخم لجيش الروم إذ بلغ عددهم مائتى ألف مقاتل فانحاز المسلمون الى مؤته و عزموا على مقاومه العدو. و لأسباب عديده بان الانكسار فى جيش المسلمين فقتل القاده الثلاثه جميعا. و كان من عوامل الانكسار أنهم كانوا يقاتلون فى منطقه غريبه عليهم و بعيده عن مركز الإمدادات كما أنهم كانوا يقاتلون مهاجمين و الروم بالعدد الضخم يقاتلون مدافعين، هذا مضافا إلى التفاوت فى خبره القتاليه فجيش الروم قوه منظمه مارست حروبا سجالا أما جيش المسلمين فكان قليل العدد و الخبره، فتيا فى تكوينه (١).

و لقد تألم رسول الله (صلى الله عليه و اله) لمقتل جعفر بن أبى طالب و بكاه بشده، و ذهب (صلى الله عليه و اله) الى بيت جعفر يعزى أهله و يواسى أبناءه، كما حزن كثيرا على زيد ابن حارثه (٢).

٢- فتح مكه :

إشاره

(٣)

لقد اختلفت ردود فعل القوى فى المنطقه بعد معركه مؤته، فالروم فرحوا من انسحاب المسلمين و عدم تمكنهم من دخول الشام.

أما قريش فقد سادهم الفرح و انبعثت فيهم الجراه على المسلمين و أخذوا يسعون لتنقض صلح الحديبيه عبر الإخلال بالأمن فحرّضوا قبيله بنى بكر على بنى

ص: ١٧٤

١- (١) السيره النبويه: ٣٨١/٢.

٢- (٢) بحار الأنوار: ٥٤/٢١، المغازى: ٧٦٦/٢، السيره الحلييه: ٦٨/٣.

٣- (٣) تم فتح مكه فى شهر رمضان من السنه الثامنه للهجره.

خزاعه(بعد أن دخلت قبيله بنى بكر فى حلف قريش و خزاعه فى حلف النبى(صلى الله عليه و اله)اثر صلح الحديبيه)و أمدوها بالسلاح فعدت بكر على خزاعه غيله و قتلوا عددا من أفرادها و هم فى ديارهم آمنين،و كان بعضهم فى حال العباده ففزعوا إلى رسول الله(صلى الله عليه و اله)طالبين النصره،و وقف عمرو بن سالم بين يدى رسول الله(صلى الله عليه و اله)-و هو جالس فى المسجد-ينشد أبياتا يعرض فيها نقض العهد.

فتأثر الرسول(صلى الله عليه و اله)و قال:نصرت يا عمرو بن سالم.

أما قريش فقد انتهت و أدركت سوء فعلتها و قد تملكها الخوف و الهلع من المسلمين فاجتمع رأيهم على إيفاد أبى سفيان الى المدينة ليجدد الصلح و يطلب تمديد المده من النبى(صلى الله عليه و اله).

و لكن النبى(صلى الله عليه و اله)لم يصغ لطلب أبى سفيان و سأله قائلاً:هل كان من حدث؟قال أبو سفيان:معاذ الله، فأجابه النبى(صلى الله عليه و اله):نحن على مَدَّتنا و صلحنا.

لكن أبى سفيان لم يهدأ له بال و لم يقنع بل أراد أن يستوثق و يأخذ عهداً و أماناً من رسول الله(صلى الله عليه و اله)فسعى لتوسيط من يؤثر على النبى(صلى الله عليه و اله)فقابله الجميع بالرفض و اللامبالاه.

فلم يجد إلا أن يقفل راجعاً بالخيبه الى مكه و قد ضاقت الأمور على قوى الشرك حيث تبدلت الظروف،فالنبى(صلى الله عليه و اله)يطلب مكه فاتحاً،بعده تترديد و إيمان يترسخ،و قريش تطلب الأمان و السلامه فى دمائها و أموالها،و قد سنحت الفرصه بنقض الصلح.و تكاد تكون مكه آخر خطوه لتتم سيطره الاسلام على الجزيره العربيه برمتها.

و أعلن النبى(صلى الله عليه و اله)النفير العام،و توافدت عليه جموع المسلمين ملييه نداءه،فجهَّز جيشاً قارب عدده عشره آلاف رجل.و اجتهد النبى(صلى الله عليه و اله)أن يكتم قصده و هدفه إلا على الخاصه و كان(صلى الله عليه و اله)يدعو الله قائلاً:«اللهم خذ العيون و الأخبار

من قريش حتى نباغتها في بلادها» (١).

و يبدو أن النبي (صلى الله عليه و اله) كان يود أن يتحقق النصر المؤزر سريعا دون إراقه قطره دم، متخذًا اسلوب المباغته. و لكن الخبر تسرب الى رجل كان قد ضعف أمام عواطفه فكتب الى قريش كتابا بذلك و بعثه مع امرأه توصله. و نزل الوحي يخبر النبي (صلى الله عليه و اله) بذلك فأمر عليا و الزبير بأن يلحقا المرأه و يسترجعا الكتاب، و انتزع علي بن أبي طالب بقوه إيمانه برسول الله (صلى الله عليه و اله) الكتاب من المرأه (٢).

و لَمَّا استلم الرسول (صلى الله عليه و اله) الكتاب جمع المسلمين في المسجد ليثير همهم و يحذر من مسأله الخيانه من جانب و يبين من جانب آخر أهميه كتب؟؟؟ العواطف مرضاه لله. و قام المسلمون يدفعون حاطب بن أبي بلتعنه صاحب الكتاب الذي حلف بالله أنه لم يقصد الخيانه و انفعل عمر بن الخطاب و طلب من النبي أن يقتله فقال له: «و ما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر و قال لهم إعملوا ما شئتم فلقد غفرت لكم» (٣).

تحرك الجيش الإسلامي نحو مكه:

و تحرك جيش المسلمين في العاشر من شهر رمضان باتجاه مكه المكرمه، و لما بلغ مكانا يدعى «الكديد» طلب النبي (صلى الله عليه و اله) ماء فأفطر به أمام المسلمين و أمرهم أن يفطروا لكن بعضا منهم عصوا الرسول القائد و لم يفطروا فغضب من عصيانهم و قال: «أولئك العصاه» و أمرهم أن يفطروا (٤).

ص: ١٧٦

١- ((١)) السيره النبويه: ٣/٣٩٧، المغازي: ٢/٧٩٦.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٢/٣٩٨.

٣- ((٣)) امتاع الاسماع: ١/٣٦٣، المغازي: ٢/٧٩٨. و يرى بعض المحققين أن هذا الحديث من الموضوعات. راجع سيره المصطفى: ٥٩٢.

٤- ((٤)) وسائل الشيعه: ٧/١٢٤، السيره الحلبيه: ٣/٢٩٠، المغازي: ٢/٨٠٢، و صحيح مسلم ٣/١٤١-١٤٢، كتاب الصيام باب جواز الصوم و الفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصيه، ط دار الفكر، بيروت.

و لما وصل النبي (صلى الله عليه و اله) إلى مَرَّ الظهران أمر المسلمين أن ينتشروا في الصحراء و يوقد كل منهم نارا. و هكذا أضاء الليل البهيم و ظهر المسلمون كجيش عظيم تضيق أمامه كل قوى قريش مما أقلق العباس بن عبد المطلب- و هو آخر المهاجرين إذ التحق بركب رسول الله في منطقته الجحفه- فتحرك يبحث عن وسيلة يبلغ بها قريشا أن تأتي مسلمه قبل دخول الجيش عليها.

و فجأه سمع صوت أبي سفيان يحدث بديل بن ورقاء مستغربا وجود هذه القوه الكبيره على مشارف مكه. و ارتعد أبو سفيان خوفا حين أخبره العباس بزحف النبي (صلى الله عليه و اله) بجيشه لفتح مكه، و لم يجد أبو سفيان بدّا من اصطحاب العباس لأخذ الأمان من رسول الله (صلى الله عليه و اله).

و لم يكن بوسع ينبوع العفو و الاخلاق الساميه أن يبخل بإجازه جوار عمّه لأبي سفيان فقال (صلى الله عليه و اله): «إذهب فقد أمناه حتى تغدو به عليّ».

استسلام أبي سفيان:

و لما مثل أبو سفيان بين يدي النبي (صلى الله عليه و اله) قال له: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا- إله إلا- الله؟» فقال أبو سفيان: بأبي أنت و أمي ما أحلمك، و أكرمك و أوصلك! و الله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد.

فقال (صلى الله عليه و اله): ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت و أمي ما أحلمك و أكرمك و أوصلك أما و الله فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئا (1).

و تدارك العباس الموقف ليضغط على أبي سفيان ليسلم و قال له: ويحك أسلم و اشهد أن لا- إله إلا الله و أن محمدا رسول الله قبل أن تقتل. فشهد أبو سفيان الشهادتين خوفا من القتل، و دخل في عداد المسلمين.

ص: ١٧٧

و استسلم من بقى من زعماء المشركين بعد استسلام أبى سفيان، و لكن النبى (صلى الله عليه و اله) استتماما للضغط النفسى على قريش كى تستسلم دون إراقه دماء قال للعباس: «يا عباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمرّ به جنود الله فيراها».

و لإشاعه الاطمئنان و الثقه برحمه الإسلام و رحمه الرسول القائد و إرضاء لغرور أبى سفيان كى لا يكابر قال (صلى الله عليه و اله): «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن، و من طرح السلاح فهو آمن».

و مرّت جنود الله تعبر المضيق و العباس يعرّف الكتائب التى تمرّ و أبو سفيان قد أخذته الدهشه حتى قال: و الله يا أبا الفضل، لقد أصبح ملكك ابن أخيك عظيما فأجابه العباس: يا أبا سفيان إنها النبوه. و تردد أبو سفيان فى الجواب فقال:

فنعنم إذن. ثم انطلق أبو سفيان إلى مكة ليحدّر أهلها و يعلن أمان رسول الله (صلى الله عليه و اله) (١).

دخول مكة:

أصدر رسول الله (صلى الله عليه و اله) أوامره الحكيمه بتوزيع مداخل القوات إلى مكة مؤكدا عدم اللجوء إلى القتال إلا ردا عليه. و أهدر (صلى الله عليه و اله) دماء عدد من المشركين - فى كلّ الحالات - حتى لو وجدوهم متعلقين بأستار الكعبه، لعظيم جنايتهم و معاداتهم للإسلام و للنبي (صلى الله عليه و اله).

و ما إن لاحت بيوت مكة حتى إغرورقت عيننا النبى (صلى الله عليه و اله) بالدموع، و دخلت قوّات الإسلام الظافره مكة من جهاتها الأربع و مظاهر العز و النصر تجلّلها و دخل الرسول الأكرم (صلى الله عليه و اله) مكة مطأطئا رأسه تعظيما لله و شكرا له على ما منحه من الفضل و النعمه حيث دانت لرسالته و دولته أم القرى، بعد طول جهد و عناء

ص: ١٧٨

تحمله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ.

و رفض النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنْ يَدْخُلَ دَارَ أَحَدٍ مِنْ أَهَالِي مَكَّةَ رَغْمَ كَثْرَةِ عَرُوضِهِمْ لَهُ، وَ اغْتَسَلَ بَعْدَ اسْتِرَاحِهِ قَصِيرَهُ وَ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَ كَبَّرَ فَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ فَدَوَى الصَّوْتُ فِي الْجِبَالِ وَ الْوَهَادِ-الَّتِي فَرَّ إِلَيْهَا بَعْضُ رُؤُوسِ الشَّرْكَ خَوْفًا مِنَ الْإِسْلَامِ وَ نَصْرَهُ- وَ جَعَلَ يَشِيرُ وَ هُوَ يَطُوفُ فِي الْبَيْتِ إِلَى كُلِّ صَنَمٍ مَوْجُودٍ حَوْلَهُ وَ يَقُولُ:

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا، فَيَسْقُطُ الصَّنَمُ لَوَجْهِهِ.

ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنْ يَجْلِسَ لِيَصْعِدَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَلَى كَتِفِهِ وَ لَكِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ عَلَى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنْ يَحْمِلَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَلَى كَتِفِهِ لِكَسْرِ الْأَصْنَامِ فَوْقَ الْكَعْبَةِ، مِنْ هُنَا صَعَدَ عَلَيَّ عَلَى كَتِفِ ابْنِ عَمَّةٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَ كَسَرَ الْأَصْنَامَ. ثُمَّ طَلَبَ النَّبِيُّ مِفَاتِيحَ الْكَعْبَةِ وَ فَتَحَ بَابَهَا وَ دَخَلَهَا وَ مَسَحَ مَا فِيهَا مِنْ صُورٍ. ثُمَّ وَقَفَ عَلَى بَابِهَا يَخْطُبُ الْجُمُوعَ الْمَتَكَثِرَةَ خَطْبَهُ الْفَتْحِ الْعَظِيمِ فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ، وَ نَصَرَ عَبْدُهُ، وَ هَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، أَلَا كُلُّ مَأْثَرَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يَدْعَى فَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي هَاتَيْنِ، إِلَّا سِدَانَهُ الْبَيْتِ وَ سَقَايَهُ الْحَاجِّ...» ثُمَّ قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنْ اللَّهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَ تَعْظَمَهَا بِالْآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ...» (١) ثُمَّ تَلَا- قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٢) يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرُونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟.

قَالُوا: أَخُ كَرِيمٍ وَ ابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «إِذْهَبُوا فَانْتَمِ الْطَّلَاءُ» (٣).

ثُمَّ ارْتَقَى بِلَالٌ سَطْحَ الْكَعْبَةِ لِيُؤَدِّنَ لِمُصَلِّيِ الْغُضْرِ فَصَلَّى الْمُسْلِمُونَ بِإِمَامَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَوَّلَ صَلَاةٍ بَعْدَ هَذَا الْفَتْحِ.

ص: ١٧٩

١- (١) مسند أحمد: ١/١٥١، فرائد السمطين: ١/٢٤٩، كنز العمال: ١٣/١٧١، السيرة الحلبيه: ٣/٨٦.

٢- (٢) الحجرات (٤٩): ١٣.

٣- (٣) بحار الأنوار: ١٠٦/٢١، و السيرة النبويه: ٢/٤١٢.

ووقف المشركون و الحيره تملكهم و تلوهم الدهشه مشوبه بالخوف و الحذر. و خشيت الأنصار أن لا يرجع معها الرسول الكريم حين رأوا تفاعل النبي (صلى الله عليه و اله) مع أهل مكة و وقفوا و الأستله تدور فى مخيلتهم و النبي (صلى الله عليه و اله) واقف يدعو الله و قد علم ما يدور بينهم فالتفت إليهم قائلاً: معاذ الله المحيا محياكم و الممات مماتكم، معلنا بذلك أن المدينه ستبقى عاصمه الاسلام.

ثم أقبل الناس يبايعونه فبايعه الرجال- و تشفع عدد من المسلمين لدى النبي (صلى الله عليه و اله) ليعفو عنم أهدر دمه فعفا و صفح.

و جاءت النساء لتبايع- فكانت المرأه تدخل يدها فى قدح فيه ماء قد وضع الرسول (صلى الله عليه و اله) يده فيه- عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَ لَا يَسْرِقَنَّ وَ لَا يَزْنِيَنَّ وَ لَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَ لَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ (١).

و غضب النبي (صلى الله عليه و اله) حين عدت خزاعه- حليفه الرسول (صلى الله عليه و اله)- على رجل من المشركين فقتلته و قام (صلى الله عليه و اله) خطيباً فقال: «يا أيها الناس إن الله حرّم مكة يوم خلق السماوات و الأرض فهى حرام الى يوم القيامه، لا يحل لامرئ يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يسفك دماً أو يعضد فيها شجراً..» (٢).

ثم قال (صلى الله عليه و اله): «فمن قال لكم إن رسول الله قد قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله و لم يحللها لكم يا معشر خزاعه». و أكبرت قريش جميع مواقف النبي (صلى الله عليه و اله) من مكة و أهلها من عطف و رحمه و سماحه و عفو و احترام و تقديس فمالت قلوبهم إليه و أقبلوا على الإسلام آمنين مطمئنين.

و أرسل رسول الله (صلى الله عليه و اله) سراياه الى اطراف مكة و ما حولها لهدم ما تبقي من الأصنام و أماكن عباده المشركين فأخطأ خالد بن الوليد إذ قتل عدداً من قبيله

ص: ١٨٠

١- (١) بحار الأنوار: ١١٣/٢١، و سوره الممتحنه: الآيه ١٢.

٢- (٢) سنن ابن ماجه، الحديث ٣١٠٩، كنز العمال، الحديث ٣٤٦٨٢، الدر المنثور: ١/١٢٢، ط دار الفكر.

بنى جذيمه بعد استسلامهم ثارا لعَمّه (١) و غضب النبي (صلى الله عليه و اله) حين علم بذلك و أمر عليا أن يأخذ أموالا و يدفع ديه المقتولين ثم قام (صلى الله عليه و اله) و استقبل القبله رافعا يديه و هو يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»، و بذلك هدأت نفوس بنى جذيمه» (٢).

٣- غزوه حنين و حصار الطائف :

إشاره

(٣)

أمضى النبي (صلى الله عليه و اله) خمسَه عشر يوما فى مكه فاتحا فيها عهدا جديدا من التوحيد بعد طول فتره من الشرك، و الغبطه و السرور يعَميان المسلمين، و الأمان يلفّ أم القرى، و ترامت إلى أسمع النبي (صلى الله عليه و اله) أن قبيلتى هوازن و ثقيف قد أعدتا العده لمحاربه الإسلام ظنبا منهما أنّهما يحققان ما عجزت عنه سائر قوى الشرك و النفاق من تدمير الإسلام، و عزم النبي (صلى الله عليه و اله) على الخروج لملاقاتهم و لكنه و طد دعائم الإدارة فى مكه قبل خروجه كما هى سيرته عند كل فتح، فعين معاذ بن جبل ليعلم الناس القرآن و أحكام الاسلام كما عين عتاب بن أسيد للصلاه بالناس و إداره الأمور.

و خرج النبي (صلى الله عليه و اله) باثنى عشر ألفا من المقاتلين، و هى قوه لم يشهد المسلمون مثلها ممّا أدى بهم الى الغرور و الغفله حتى أن أبا بكر قال: لو لقينا بنى شيبان لن نغلب اليوم من قله (٤).

أما (هوازن) و (ثقيف) فقد تحالفتا و خرجتا بكامل عدّتهم مع نساءهم و أطفالهم و كمنوا لإرباك جيش المسلمين، و حين وصلت طلائع جيش المسلمين

ص: ١٨١

١- (١) السيره النبويه: ٢/٤٢٠، الخصال: ٥٦٢، أمالى الطوسى: ٣١٨.

٢- (٢) الطبقات الكبرى: ١٤٨/٢.

٣- (٣) وقعت معركة حنين فى شوال من السنه الثامنه للهجره.

٤- (٤) الطبقات الكبرى: ١٥٠/٢، المغازى: ٨٨٩/٢.

أطراف الكمين أرغموها على الفرار حتّى فرّت باقى قوّات المسلمين فرعا من أسلحه العدو، ولم يثبت مع رسول الله إلا تسعه أشخاص من بنى هاشم عاشرهم أيمن (ابن أم أيمن). و فرح المنافقون و سرّوا سرورا عظيما فخرج أبو سفيان يقول شامتا: لا- تنتهى هزيمتهم دون البحر، و قال آخر: ألا بطل السحر اليوم.

و عزم آخر على قتل النبي (صلى الله عليه و اله) فى ذلك الوضع المضطرب (١).

و أمر النبي (صلى الله عليه و اله) عمه العباس أن يصعد على صخره و ينادى فلول المهاجرين و الأنصار المدبره قائلًا: يا أصحاب سوره البقره، يا أهل بيعة الشجره، إلى. أين تفرّون؟ هذا رسول الله!

و كأن وعيا قد عاد بعد غفله و حماسا دبّ بعد فتور فعادوا يوفون بوعود النصره و الدفاع عن الاسلام و النبي (صلى الله عليه و اله)... و لما رأى النبي (صلى الله عليه و اله) حماسهم قال:

الآن حمى الوطيس، أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب. فأنزل الله السكينه على المسلمين و أيدهم بالنصر فولّت جموع الكفر منهزمه تاركه وراءها سته الآف أسير و غنائم كبيره جدا (٢)، و أمر النبي (صلى الله عليه و اله) أن تحفظ الغنائم و تراعى أحوال الأسرى حتى تتم ملاحقه العدو الغارّ الى منطقه أوطاس و نخله و الطائف.

و كان من سمو أخلاق النبي (صلى الله عليه و اله) و عظيم عفوه و سعه رحمته أن قال لأُم سليم: «يا أم سليم قد كفى الله، عافيه الله أوسع» حين طلبت منه قتل الذين فرّوا عنه و خذلوه.

و فى موقف آخر، غضب النبي (صلى الله عليه و اله) حين علم أن بعض المسلمين يقتل ذريه المشركين غيظا منهم فقال (صلى الله عليه و اله): «ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذريه،

ص: ١٨٢

١- ((١) السيره النبويه: ٤٤٣/٢، المغازى: ٩٩/٣.

٢- ((٢) نزلت آيات من سوره التوبه و هى توضح تأييد الله و نصره، و تلوم من اعتمد العده و العدد و اعتبارهما سببا للنصر.

ألا لا نقتل الذرية»، فقال أسيد بن حضير: يا رسول الله أليس هم أولاد المشركين.

فقال (صلى الله عليه و اله): أو ليس خياركم أولاد المشركين، كل نسمة تولد على الفطره حتى يعرب عنها لسانها، و أبواها يهودانها أو ينصيرانها (١).

و واصلت قوات المسلمين ملاحقتها للعدو حتى الطائف فحاصروهم بضعا و عشرين يوما يترامون بالنبل من خلف الجدران و البساتين، ثم عدل النبي (صلى الله عليه و اله) عن الطائف لاعتبارات كثيرة.

و عند وصوله الى الجعرانه (محل تجميع الأسرى و الغنائم) قام إليه وفد هوازن يلتمسون العفو عنده فقالوا: يا رسول الله إنما فى هذه الأسرى عماتك و خالاتك اللاتي كن يكفلنك- حيث كان النبي (صلى الله عليه و اله) قد رضع فى بنى سعد و هم من هوازن- لو أنا مالحن الحارث بن أبى شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به رجونا عطفه و عائدته علينا و أنت خير المكفولين. فخيرهم الرسول بين الأسرى و المال فاختروا الأسرى، ثم قال (صلى الله عليه و اله): «أما ما كان لى و لبنى عبد المطلب فهو لكم». و أسرع المسلمون جميعا يقتدون بالرسول القائد (صلى الله عليه و اله) و يهبون له ما لهم من نصيب (٢).

و بحكمه بالغه و درايه عميقه بنفوس الناس و سعيها لهدايه الجميع و إطفاء نار الحرب من الرسول (صلى الله عليه و اله) بعفوه حتى على «مالك بن عوف» مثير هذه الحرب إن جاءه مسلما فقال (صلى الله عليه و اله): «أخبروا مالكا إنه إن أتانى مسلما رددت عليه أهله و ماله و أعطيته مائه من الابل». و سرعان ما أسلم مالك (٣).

ص: ١٨٣

١- (١) امتاع الاسماع: ٤٠٩/١.

٢- (٢) سيد المرسلين: ٥٣/٢، المغازى: ٩٤٩/٣-٩٥٣.

٣- (٣) المغازى: ٩٥٤/٣-٩٥٥.

توزيع الغنائم:

تدافع المسلمون على رسول الله (صلى الله عليه و اله) يلحون عليه أن يقسم الغنائم حتى ألجأوه إلى شجره و أخذوا رداءه؛ فقال: «ردوا على ردائي فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم، ثم ما ألفتيموني بخيلا و لا جبانا و لا كذابا».

ثم قام و أخذ وبره من سنام بعيره فجعلها بين أصبعيه ثم رفعها و قال: «أيها الناس و الله مالي في فيئكم و لا هذه البره إلا الخمس، و الخمس مردود عليكم» ثم أمر أن يرد كل ما غنم حتى تكون القسمة عدلا.

و بدأ الرسول (صلى الله عليه و اله) بإعطاء المؤلفه قلوبهم كأبي سفيان و ابنه معاوية و حكيم بن حزام. و الحارث بن الحارث، و سهيل بن عمرو، و حويطب بن عبد العزى، و صفوان بن اميه و غيرهم ممن كان يعاديه و يحاربه بالأمس القريب من رؤوس الكفر و الشرك ثم قسم عليهم حقه من الخمس. على أن هذا الموقف قد أثار الحفيظه فى نفوس بعض المسلمين جهلا منهم بمصالح الإسلام و أهداف النبي (صلى الله عليه و اله) حتى قال أحدهم للنبي (صلى الله عليه و اله): لم أرك عدلت. فقال: ويحك إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون؟ فأراد عمر بن الخطاب أن يقتله، فلم يأذن له النبي (صلى الله عليه و اله) و قال: «دعه فإنه سيكون له شيعه يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من رميته» (١).

اعتراض الأنصار:

و رأى سعد بن عباده أن يخبر النبي (صلى الله عليه و اله) بما يدور بين الأنصار من قولهم:

لقى رسول الله قومه و نسى أصحابه. فجمع سعد الأنصار و أقبل الرسول

ص: ١٨٤

١- ((١)) السيره النبويه: ٢/٤٩٦، و راجع المغازى: ٣/٩٤٨.

الكريم (صلى الله عليه و اله) يحدّثهم فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

«يا معشر الأنصار ما مقالہ بلغتني عنكم و جدتموها في أنفسكم؟! ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله و عالہ فاغناكم الله و أعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى الله و رسوله آمن و أفضل، ثم قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا: و ما ذا نجيبك يا رسول الله؟ قال (صلى الله عليه و اله): أما الله لو شئتم قلتم فصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدّقناك و مخذولاً فنصرناك و طريداً فأوينناك و عائلاً فأسينناك. و جدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في شيء من الدنيا تألفت به قوما ليسلموا و وكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاه و البعير و ترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ و الذى نفس محمد بيده لو لا الهجره لكنت امراء من الأنصار، و لو سلك الناس شعباً و سلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار».

فأثارت هذه الكلمات في قلوب الأنصار العاطفه و الشعور بالخطأ في تصورهم عن الرسول (صلى الله عليه و اله) فضجوا بالبكاء و قالوا: رضينا يا رسول الله حظاً و قسماً.

و خرج النبي (صلى الله عليه و اله) بمن معه من الجعرانه متّجهاً إلى مكه في شهر ذى القعدة فأتم عمرته و حلّ من إحرامه و استخلف على مكه عتاب بن أسيد و معه معاذ بن جبل و خرج متّجهاً إلى المدينه بمن معه من المهاجرين و الأنصار (١).

٤- غزوه تبوك :

اشاره

(٢)

أصبحت الدوله الإسلاميه كيانا يهاب جانبه، و كان على المسلمين الحفاظ على حدوده و أراضيه حتى تبلغ الرساله الإسلاميه أرجاء الأرض.

ص: ١٨٥

١- ((١)) السيره النبويه: ٢/٤٩٨، المغازي: ٣/٩٥٧.

٢- ((*)) كانت غزوه تبوك في رجب سنه (٩) من الهجره.

و استنفر النبي (صلى الله عليه و اله) المسلمين من جميع نقاط الدوله الاسلاميه استعدادا لحرب الروم إذ وردت أخبار تؤكد استعدادهم لغزو الجزيره و اسقاط الدوله و محق الدين الاسلامى و صادف أن كان ذلك العام عام جدب و قلّه ثمار و كان الوقت صيفا حارا مما زاد من صعوبه الخروج لملاقاه عدو قوى متمرس كبير العدد و العده. فتعاس ذوو النفوس الضعيفه و المعنويات المتدنيه و برز النفاق ثانيه علانيه ليثبط العزائم و يخذل الإسلام.

و تخلف بعض عن الالتحاق بالجيش لشده تعلقهم بالدنيا، و بعض آخر احتج بشده الحر و آخرون لم يستطيعوا لشده ضعفهم و قلّه إمكانيات النبي (صلى الله عليه و اله) لحملهم معه رغم بذل المؤمنين الصادقين أموالهم للجهاد فى سبيل الله.

و بلغ النبي (صلى الله عليه و اله) أن المنافقين يجتمعون فى بيت أحد اليهود يتبطنون الناس و يخوفونهم من اللقاء، فتعامل معهم بحزم و شده فأرسل إليهم من يحرق عليهم دارهم ليكونوا عبره لغيرهم.

و قد أنزل الله آيات تفضح خطط المنافقين و تؤنب المتقاعسين و تعذر الضعفاء؛ و بلغ عدد جيش المسلمين ثلاثين ألف مقاتل -على أقل تقدير- و استخلف النبي (صلى الله عليه و اله) على بن أبى طالب فى المدينه لما يعلم منه من حنكه و حسن تدبير و قوه يقين؛ إذ خشى الرسول (صلى الله عليه و اله) من قيام المنافقين بعمل تخريبي فى المدينه، فقال (صلى الله عليه و اله): «يا على إن المدينه لا تصلح إلا بى أوبك» (١).

الإعلان عن مكانه على (عليه السلام) لدى النبي (صلى الله عليه و اله):

و أشاع المنافقون و الذين فى قلوبهم مرض حول بقاء على بن أبى طالب فى المدينه امورا إذ قالوا: إنما تركه رسول الله استتقالا له و تخففا منه، سعيًا منهم

ص: ١٨٦

١- ((١)) الإرشاد للمفيد ١/١١٥، أنساب الأشراف: ١/٩٤-٩٥، كنز العمال ج ١١/باب فضائل على (عليه السلام).

للإثارة رجاء أن يخلو جو المدينة لهم فأسرع عليّ (عليه السلام) لئلا تتحاق برسول الله (صلى الله عليه و اله) فلقق به على مقربة من المدينة و قال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلّفتني أنك استقلّنتني و تخفّفت مني.

فقال (صلى الله عليه و اله): «كذبوا و لكنني خلّفتك لما تركت ورائي فاخلفني في أهلي و أهلّك، أفلا ترضى يا على أن تكون منّي بمنزله هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدى» (١).

جيش العسره:

و انطلق جيش المسلمين في طريق و عر طويل و قد أوضح لهم الرسول هدف المسيره خلافا لما كان في الغزوات الماضيه. و كان يتخلف عنه في الطريق جماعه ممن خرجوا معه من المدينة فكان يقول (صلى الله عليه و اله) لأصحابه: دعوه فإن يكن به خير فسيلحقه الله بكم و إن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه.

و أسرع النبي (صلى الله عليه و اله) السير حين مرّ على أطلال قوم صالح و قال لأصحابه و هو يعظهم: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلاّ و أنتم باكون خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم»، و نهاهم عن استعمال الماء من هذه المنطقه و حدّتهم من خطوره الظروف الجويه فيها (٢)، و للصعوبات التي أحاطت هذه الغزوه من حيث الماء و الغذاء و النفقه و الظهر (الخيّل و الإبل) فقد سمّى هذا الجيش بـ «جيش العسره».

و لم يجد المسلمون جيش الروم؛ إذ قد تفرّق جمعهم، و هنا استشار الرسول القائد أصحابه في ملاحقه العدو أو العوده إلى المدينة فقالوا: إن كنت امرت بالسير فسر. فقال (صلى الله عليه و اله): «لو امرت به ما استشرتكم فيه» (٣). و هنا قرّر النبي (صلى الله عليه و اله)

ص: ١٨٧

١- ((١)) امتاع الأسماع: ٤٤٩/١، صحيح البخارى: ١٣٥٩/٣، الحديث ٣٥٠٣، صحيح مسلم: ٢٣/٥، الحديث ٢٤٠٤، سنن ابن ماجه: ٤٢/١، الحديث ١١٥، مسند أحمد: ٢٨٤/١، الحديث ١٥٠٨.

٢- ((٢)) السيره النبويه: ٥٢١/٢، السيره الحلبيه: ١٣٤/٣.

٣- ((٣)) المغازى: ١٠١٩/٣.

العودة إلى المدينة.

و اتصل الرسول (صلى الله عليه و اله) بزعماء المنطقة الشماليه للجزيره و عقد معهم معاهده عدم تعرض و اعتداء بين الجانبين و بعث رسول الله (صلى الله عليه و اله) خالد بن الوليد إلى دومه الجندل خوفاً من تعاون زعيمها مع الروم فى هجوم آخر و تمكن المسلمون من أسر زعيمهم و حمل الغنائم الكثيره (١).

محاولة اغتيال النبي (صلى الله عليه و اله):

أقفل النبي (صلى الله عليه و اله) و المسلمون راجعين إلى المدينة بعد أن أمضوا بضع عشره يوماً فى تبوك، و تحرك الشيطان فى نفوس جمع ممن لم يؤمن بالله و رسوله فعزموا على اغتيال الرسول (صلى الله عليه و اله) و ذلك بتنفيذ نأقته عند مرورها عليهم ليطرحوه فى واد كان هناك.

و حين وصل الجيش الى العقبة (بين المدينة و الشام) قال (صلى الله عليه و اله): «من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادى فإنه أوسع لكم» فأخذ الناس بطن الوادى و سلك هو طريق العقبة و كان يقود نأقته عمار بن ياسر و يسوقها حذيفه بن اليمان، فرأى النبي (صلى الله عليه و اله) فى ضوء القمر فرساناً قد تلتّموا و لحقوا به من ورائه فى حركة مريبه فغضب (صلى الله عليه و اله) و صاح بهم و أمر حذيفه أن يضرب وجوه رواحلهم؛ فتمالكهم الرعب و عرفوا بأن النبي (صلى الله عليه و اله) قد علم بما أضمرته نفوسهم و مؤامرتهم فأسرعوا تاركين العقبة ليخالطوا الناس و لا تنكشف هويتهم.

و طلب حذيفه من الرسول (صلى الله عليه و اله) أن يبعث اليهم من يقتلهم بعد ما عرفهم من رواحلهم و لكن رسول الرحمة عفا عنهم و أوكل أمرهم إلى الله تعالى (٢).

ص: ١٨٨

١- ((الطبقات الكبرى: ١٦٦/٢، بحار الأنوار: ٢٤٦/٢١.

٢- ((المغازى: ١٠٤٢/٣، مجمع البيان: ٤٦/٣، بحار الأنوار: ٢٤٧/٢١.

١- لقد برز المسلمون كقوة كبيرة منظمه، تملك العقيدة القويه فتهاجم الدول المجاوره و الديانات الأخرى و كان هذا إنذارا حقيقيا لكل القوى فى خارج البلاد الاسلاميه و داخلها بعدم التعرض للإسلام و المسلمين.

٢- ضمن المسلمون عن طريق المعاهدات مع زعماء المناطق الحدوديه (من جهه الشمال) أمن هذه المنطقه.

٣- استفاد المسلمون من قدرتهم على تعبئه جيش كبير فى العده و العدد و ازدادت خبرتهم فى التنظيم و الإعداد، و كانت الرحله الى تبوك بمثابة استطلاع ميدانى استفاد منه المسلمون فى المراحل اللاحقه.

٤- كانت غزوه تبوك اختبارا لمعنويات المسلمين و تمييزا للمنافقين و فرزهم عن سائر المسلمين.

٥- مسجد ضرار:

لقد جاء النبى (صلى الله عليه و اله) بالشريعه السمحاء و دين التوحيد و عمل جاهدا أن يبنى الانسان الصالح و المجتمع السليم وفق التعاليم الربانيه، و لقد خاض كل المحن و الابتلاءات و المعارك من أجل تطهير الانسان من دنس الشرك و وساوس الشيطان و الأمراض النفسيه.

و تحركت نوازع الحسد و البغض لدى مجموعه من المنافقين فعمدوا الى بناء مسجد فى مقابل مسجد (قباء) زاعمين أنه لذوى العله و الحاجه و الليله المطيره، و أسرعوا الى النبى (صلى الله عليه و اله) يطلبون منه أن يصلى فيه ليضفى الشرعيه على عملهم فأخر الاستجابه لأنه كان على استعداد للخروج الى تبوك، فلما رجع من

تبوك نزل الأمر الإلهي بالنهاى عن الصلاه فى هذا المسجد لأنه كان عاملاً لتفريق كلمه المسلمين و الإضرار بالامه، و شتان بين بنيان أسس على التقوى و آخر للإضرار بالمسلمين و من هنا أمر النبى (صلّى الله عليه و اله) بهدمه و إحراقه (١).

٦-عام الوفود:

إشاره

بدت سيطره الإسلام على الجزيره واضحه. و لم يكن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) ليلجأ إلى القوه و القتال إلا بعد إعدار و إنذار، بل و فى أكثر الوقائع كان قتال المسلمين دفاعاً، على أن بعض قوى الشرك لا تعى الحق و لا تهتدى سبيلاً إلا بعد عنف و قوه و تهديد و وعيد.

و حين عاد المسلمون إلى عاصمه دولتهم-المدينه المنوره-سير النبى (صلّى الله عليه و اله) عدّه سرايا لتطهير البلاد من أماكن الوثنيه و أصنام الشرك.

و لقوه المسلمين و الانتصارات المتلاحقه بدأت كل قبائل الجزيره و زعمائها يسمعون بآذان صاغيه نداء الإسلام و وضوح أهدافه و هدايته، فأخذت الوفود تقدم إلى المدينه لتعلن إسلامها بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه و اله)-لذلك سمي هذا العام بعام الوفود (٢)-و كان النبى يستقبلهم و يحسن إليهم و يرسل لهم من يعلمهم فرائض القرآن و شرائع الاسلام.

إسلام قبيله ثقيف:

أملت ظروف النصر الإلهي على كل عاقل أن يتدبر أمره و يحكم عقله تجاه الإسلام. و كانت حكمه الرسول بالغه إذ أجل فتح الطائف يوم امتنعت ثقيف فيها و ها هى اليوم ترسل و فدها لتعلن إسلامها بعد أن عاندت و كابرته و قتلت سيدا من

ص: ١٩٠

١- ((١)) السيره النبويه: ٥٣٠/٢٠، بحار الأنوار: ٢٥٣/٢٠.

٢- ((٢)) السيره النبويه لابن هشام: ذكر سنه تسع و تسميتها سنه الوفود.

ساداتها(عروه بن مسعود الثقفي)يوم جاءها مسلما يدعوها إلى الدين الجديد.

و رحب النبي(صلى الله عليه و اله)بمقدم الوفد الثقفي و ضربت لهم قبه في ناحيه المسجد النبوي و كلف(صلى الله عليه و اله)خالد بن سعيد ليقوم بمهام التشريفات ثم بدأ الوفد يفاوض النبي(صلى الله عليه و اله)على الاسلام بشروط هي:أنه يترك صنم القبيله مده من الزمن و أبى النبي(صلى الله عليه و اله)إلا التوحيد الناصع الخالص لله و تنازل القوم شيئا فشيئا حتى قبلوا الإسلام بشرط أن يعفيهم النبي(صلى الله عليه و اله)عن كسر أصنامهم بأنفسهم كما شرطوا عليه أن يعفيهم من الصلاه فقال النبي(صلى الله عليه و اله):«لا خير في دين لا صلاه فيه»،فقبلوا الاسلام و بقى الوفد مع النبي(صلى الله عليه و اله)مده من الزمن يتعلمون أحكام الدين.ثم كلف رسول الله(صلى الله عليه و اله)أبا سفيان بن حرب و المغيره بن شعبه أن يذهبا إلى الطائف لهدم الأصنام فيها (١).

٧-وفاه إبراهيم ابن النبي(صلى الله عليه و اله):

في غمره أفرح النبي(صلى الله عليه و اله)بنتجاح الإسلام و انتشار رساله حيث كان الناس يدخلون في دين الله أفواجا،وعكك إبراهيم بعد أن دخل في عامه الثاني و جعلت أمه(ماريا)تمرضه و لم ينفع معه شيء فأبلغ النبي(صلى الله عليه و اله)باحتضار ولده فأقبل و إبراهيم يوجد بنفسه في حضن امه فأخذه النبي(صلى الله عليه و اله)و قال:«يا إبراهيم إنا لن نغني عنك من الله شيئا إنا بك لمحزونون تبكى العين و يحزن القلب و لا نقول ما يسخط الرب و لو لا أنه وعد صادق و موعود جامع فإن الآخر منا يتبع الأول لوجدنا عليك يا إبراهيم جدا شديدا ما وجدناه» (٢).

و بدت علامات الحزن و اضحه على قسماط وجه النبي(صلى الله عليه و اله)و قيل له:يا

ص:١٩١

١- (١) السيره النبويه:٥٣٧/٢،السيره الحلبيه:٢١٦/٣.

٢- (٢) السيره الحلبيه:٣١١/٣،بحار الأنوار:١٥٧/٢٢.

رسول الله أو لست قد نهيتنا عن هذا؟ فقال (صلى الله عليه و اله): «ما عن الحزن نهيت و لكنى نهيت عن خمس الوجوه و شق الجيوب و رثه الشيطان (١)».

و روى أنه قال: «إنما هذا رحمه و من لا يرحم لا يرحم» (٢).

و لعظيم منزله النبي (صلى الله عليه و اله) عند الله سبحانه و ما أظهر من معجزات للعالمين حتى آمنوا به ظن بعض المسلمين أن كسوف الشمس فى يوم وفاه إبراهيم إنما كان من آيات الله لموته.

و سرعان ما ردّ النبي (صلى الله عليه و اله) على هذا الزعم خشيه أن تتحول الخرافه إلى سنّه و معتقد يتخذها الجاهلون. فقال (صلى الله عليه و اله): «أيها الناس إن الشمس و القمر آيتان من آيات الله لا يكسفن لموت أحد و لا لحياته» (٣).

ص: ١٩٢

١- (١) السيره الحلبيه: ٣/٣١١.

٢- (٢) بحار الانوار: ٢٢/١٥١.

٣- (٣) تاريخ يعقوبى: ٢/٨٧.

تصفيه الوجود الوثنى داخل الجزيره

١- إعلان البراءه من المشركين:

لم يبق فى الجزيره العربيه من بقى على الشرك و الوثنيه سوى أفراد قلائل بعد أن انتشرت العقيدته الإسلاميه و الشريعه السمحاء فى أرجائها و اعتنقها كثير من الناس. و هنا كان لا بد من إعلان صريح حازم يلغى كل مظاهر الشرك و الوثنيه فى مناسك أكبر تجمع عبادى سياسى.

و حان الوقت المناسب لتعلن الدوله الإسلاميه شعاراتها فى كل مكان و تنهى مرحله المداراه و تأليف القلوب التى تطلبته المرحله السابقه.

و اختار النبى (صلى الله عليه و اله) يوم النحر زمانا و منطقه منى (١) مكانا لهذا الإعلان و اختار أبا بكر ليقراً مطلع سورته التوبه (٢) التى نزلت لذلك و تضمنت إعلان البراءه من المشركين جميعا بصراحه و تمثلت بنود البراءه فى ما يلى:

١- لا يدخل الجنه كافر.

٢- لا يطوف فى البيت الحرام عريان؛ إذ كانت تقاليد الجاهليه تسمح بذلك.

٣- لا يحج بعد هذا العام مشرك.

٤- من كان بينه و بين رسول الله (صلى الله عليه و اله) عهد فأجله إلى مدته، و من لم يكن له

ص: ١٩٣

١- (١) العاشر من ذى الحجه عام (٩ هـ).

٢- (٢) التوبه (٩): ١-١٣.

عهد فإلى أربعة أشهر ثم يقتل من وجد في دار الإسلام مشركا.

و نزل الوحي الإلهي ليبلغ النبي (صلى الله عليه و اله) مبدأ مهمما نصه: «أنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك»، فاستدعى النبي (صلى الله عليه و اله) عليا و أمره أن يركب ناقته العضباء و يلحق بأبي بكر و يأخذ منه البلاغ و يؤديه للناس (١).

و وقف على بن أبي طالب بين جموع الحجيج و هو يتلو البيان الإلهي بقوه و جرأه تتوأم مع حزم القرار و وضوحه. و وقف الناس ينصتون إليه بحذر و دقه.

و كان أثر الإعلان على المشركين أن قدموا مسلمين على رسول الله (صلى الله عليه و اله).

٢- مباهله نصارى نجران:

اجتمع زعماء نصارى نجران و حكماؤهم يتدارسون أمر كتاب النبي (صلى الله عليه و اله) الذي يدعوهم فيه إلى الاسلام. و لم يتوصلوا إلى رأى قاطع إذ كانت في أيديهم تعاليم تؤكد وجود نبي بعد عيسى (عليه السلام)، و ما ظهر من محمد فهو يشير إلى نبوته.

من هنا قرروا أن يرسلوا وفدا يقابل شخص النبي (صلى الله عليه و اله) و يحاوره.

و استقبال النبي (صلى الله عليه و اله) الوفد الكبير و قد بدى عليه عدم الرضا لمظهرهم الذي كان يحمل طابع الوثنية، فقد كانوا يرتدون الديباج و الحرير و يلبسون الذهب و يحملون الصلبان في أعناقهم. ثم غدوا عليه ثانية و قد بدلوا مظهرهم فرحب بهم و احترامهم و فسح لهم المجال ليمارسوا طقوسهم (٢).

ثم عرض عليهم الإسلام و تلا عليهم آيات من القرآن فامتنعوا و كثر الحجاج معهم، فخلصوا إلى أن يباهلهم النبي (صلى الله عليه و اله) و كان ذلك بأمر من الله عزّ و جلّ و اتفقوا على اليوم اللاحق موعدا.

ص: ١٩٤

١- ((١)) الكافي: ٣٢٦/١، الارشاد: ٣٧، الواقدي: ١٠٧٧/٣، خصائص النسائي: ٢٠، صحيح الترمذي: ١٨٣/٢، مسند أحمد: ٢٨٣/٣، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٣٤٣/٢.

٢- ((٢)) السيره الحلبيه: ٢١١/٣، السيره النبويه: ٥٧٤/١.

و خرج إليهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) و هو يحمل الحسين و بيده الحسن و خلفه ابنته فاطمه و ابن عمه على بن أبي طالب امتثالاً لأمر الله تعالى الذى نصّ عليه الذكر الحكيم قائلاً: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (١) و لم يصحب سواهم أحداً من المسلمين ليثبت للجميع صدق نبوته و رسالته و هنا قال أسقف نجران: يا معشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا و لا يبقى على وجه الأرض نصرانى.

و حين أبوا أن يباهلوا النبى و أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين قال لهم الرسول: أما إذا أبيتم المباهله فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين و عليكم ما على المسلمين، فأبوا، فقال: إنى أناجزكم القتال. فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقه، و لكن نصالحك على أن لا تغزونا و لا تردنا عن ديننا على أن نؤدى إليك فى كل عام ألفى حلّه، ألفا فى صفر، و ألفا فى رجب، و ثلاثين درعا عاديه من حديد، فصالحهم على ذلك، و قال: و الذى نفسى بيده إن الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، و لو لا عنوا لمسخوا قرده و خنازير و لاضطرم عليهم الوادى ناراً، و لا ستأصل نجران و أهله حتى الطير على رؤوس الشجر، و لما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا. فرجعوا إلى بلادهم دون أن يسلموا (٢).

و روى أن السيد و العاقب من زعمائهم لم يلبثا إلا يسيراً حتى عادا إلى النبى (صلى الله عليه و اله) ليعلنا إسلامهما (٣).

ص: ١٩٥

١- (١) آل عمران (٣): ٦١.

٢- (٢) التفسير الكبير (للرازى): ٨٥/٨.

٣- (٣) الطبقات الكبرى: ٣٥٧/١.

اشاره

كان الرسول الأكرم القدوة الحسنه للإنسانيه جمعاء، يبلغ آيات الله ويفسرها ويفصل أحكامها بيان جلي، و جماهير المسلمين حريصه على الاقتداء به في القول والعمل. وبحلول شهر ذي القعدة من العام العاشر للهجرة عزم النبي (صلى الله عليه و اله) على أداء فريضة الحج -و لم يكن قد حج من قبل و ذلك ليطلع الامه على أحكام الله في فريضة الحج فتقاطرت ألوف المسلمين على المدينة و تجهزوا للخروج مع النبي (صلى الله عليه و اله) حتى بلغ عددهم ما يقارب مائه ألف مسلم من مختلف الحواضر و البوادي و القبائل، تجمعهم الموده الصادقه و الاخوه الإسلاميه و الاستجابه لنداء الرسول القائد (صلى الله عليه و اله) بعد أن كانوا بالأمس القريب أعداءا متنافرين، جهّالا كافرين. و اصطحب النبي (صلى الله عليه و اله) معه كل نساءه و ابنته الصديقه فاطمه الزهراء، و تخلف زوجها على بن أبي طالب في مهمه بعثه بها رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و استعمل على المدينة أبا دجانة الأنصاري.

و في منطقه ذي الحليفه أكرم النبي (صلى الله عليه و اله) فلبس قطعتين من قماش أبيض و لبى عند الإحرام قائلا: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد و النعمه لك و الملك، لبيك لا شريك لك لبيك».

و في الرابع من شهر ذي الحجه الحرام شارف النبي (صلى الله عليه و اله) مكة و قطع التليه، ثم دخل المسجد الحرام و هو يكثر الثناء على الله و يحمده و يشكره فأستلم الحجر و طاف سبعا و صلى ركعتين عند مقام إبراهيم ثم سعى بين الصفا و المروه و التفت الى الحجيج قائلا: «من لم يسق منكم هديا فليحلّ و ليجعلها عمره، و من ساق منكم هديا فليقم على إحرامه».

و لم يستجب بعض المسلمين لأمر الرسول هذا ظنا منهم أنّ عليهم أن يفعلوا

كما يفعل الرسول القائد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من عدم التحلّل من الإحرام، فغضب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لموقفهم و قال: «لو كنت استقبلت من أمرى ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم» (١).

و أقفل على بن أبى طالب (عليه السّلام) راجعا من اليمن الى مكة ليلتحق برسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) و قد ساق معه (٣٤) هديا. و على مقربه من مكة تعجل لدخولها و استخلف أحد افراد سرّيته عليها. و سرّ النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بقاء على و ما حقّقه من نجاح باهر فى اليمن و قال له: انطلق فطف بالبيت و حلّ كما حلّ أصحابك. فقال (عليه السّلام): يا رسول الله انى أهلت كما أهلت، ثم قال (عليه السّلام): انى قلت حين أحرمت: اللهم انى أهّل بما اهل به عبدك و نبيك و رسولك محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ). ثم أمره (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يعود إلى سرّيته و يصحبها إلى مكة، و لما قدموا على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) اشتكوا عليا (عليه السّلام) لأنه كان قد رفض تصرفا خاطئا فعلوه فى غيابه، فأجابهم النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قائلا: «أبها الناس لا تشكوا عليا، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله من أن يشكى» (٢).

و فى اليوم التاسع من ذى الحجه توجه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مع جموع المسلمين نحو عرفات.

و مكث رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى عرفات حتى غروب اليوم التاسع، و مع الظلام ركب ناقته و أفاض إلى المزدلفة و أمضى فيها شطرا من الليل و لم يزل واقفا من الفجر الى طلوع الشمس فى المشعر الحرام. ثم توجه فى اليوم العاشر إلى «منى» و أذى مناسكها من رمى الجمرات و النحر و الحلق ثم توجه نحو مكة لأداء بقيه مناسك الحج.

و قد سمّيت هذه الحجه بـ «حجه الوداع» لأن الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ودّع المسلمين فى هذه الحجه التى اشار فيها الى دنوّ وفاته كما سمّيت بـ «حجه البلاغ»

ص: ١٩٧

١- (١) بحار الأنوار: ٣١٩/٢١.

٢- (٢) السيره النبويه: ٦٠٣/٢، بحار الأنوار: ٣٨٥/٢١.

لأنه (صلى الله عليه و اله) قد بلغ فيها ما انزل إليه من ربه في شأن الخلافة من بعده، و منهم من سماها ب«حجة الإسلام» لأنها الحجة الاولى للنبي (صلى الله عليه و اله) و التي بين فيها أحكام الإسلام الثابتة في مناسك الحج.

خطبه النبي (صلى الله عليه و اله) في حجة الوداع:

و روى أن النبي (صلى الله عليه و اله) خطب خطابا جامعاً فقال بعد أن حمد الله و أثنى عليه:

«أيها الناس اسمعوا مني ابين لكم فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيها الناس إن دماءكم و أموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فمن كانت عنده أمانه فليؤدّها إلى الذي ائتمنه عليها و إنّ ربا الجاهلية موضوع، و إن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب. و إنّ دماء الجاهلية موضوعة، و إنّ أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب و إنّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة و السقايه، و العمد قود و شبه العمد ما قتل بالعصا و الحجر ففيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس إنّ الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه و لكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحتقرون من أعمالكم.

أيها الناس إنما النسىء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاما و يحرمونه عاما ليواطئوا عدّه ما حرّم الله. و إن الزمان استدار كهيته يوم خلق الله السموات و الأرض و إن عدّه الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات و الأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات و واحد فرد: ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم و رجب الذي بين جمادى و شعبان. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس إن لنساءكم عليكم حقا و إن لكم عليهن حقا. لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم و لا يدخلن أحدا تکرهونه بيوتكم إلا بإذنكم و لا يأتين بفاحشه، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن و تهجروهن في المضاجع و تضربوهن ضربا غير مبرح،

فإن انتهين و أطعنكم فعليكم رزقهن و كسوتهنّ بالمعروف، و إنما النساء عندكم عوار لا يملكن لأنفسهن شيئاً، أخذتموهن بأمانه الله و استحلتتم فزوجهن بكلمه الله فاتقوا الله فى النساء و استوصوا بهنّ خيراً.

أيها الناس إنما المؤمنون إخوه فلا يحلّ لامرئٍ مال أخيه إلاّ عن طيب نفس. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض؛ فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله و عترتى أهل بيتى ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس إن ربكم واحد، و إنّ أباكم واحد، كلكم لآدم، و آدم من تراب، أكرمكم عند الله اتقاكم، ليس لعربى على عجمى فضل إلاّ بالتقوى، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم.

قال (صلى الله عليه و اله): فليبلغ الشاهد منكم الغائب (١).

أيها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث و لا يجوز لوارث و صيه فى أكثر من الثلث، و الولد للفراش و للعاهر الحجر، من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنه الله و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً و لا عدلاً... و السلام عليكم و رحمه الله» (٢).

٤- تعيين الوصى :

(٣)

أتم المسلمون حجّهم الأكبر و هم يحتفون بالنبي (صلى الله عليه و اله) و قد أخذوا مناسكهم عنه، و قرّر الرسول (صلى الله عليه و اله) أن يعود إلى المدينة، و لما بلغ موكب الحجيج العظيم إلى منطقه «رابغ» قرب «غدير خم» و قبل أن يتفرّق الحجيج و يرجعوا إلى بلدانهم من هذه المنطقه نزل الوحي الإلهى بآيه التبليغ الأمره و المحذره: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ

ص: ١٩٩

١- (١) بحار الأنوار: ٢١/٤٠٥.

٢- (٢) العقد الفريد: ٤/٥٧، الطبقات الكبرى: ٢/١٨٤، الخصال: ص ٤٨٧، بحار الأنوار: ٢١/٤٠٥، و قد ورد النص فى مصادر السيره و التأريخ مع اختلاف بالزياده و النقصان.

٣- (٣) للمزيد من التفصيل راجع موسوعه الغدير للعلامة الأمينى الجزء الأول.

لقد حمل هذا الخطاب الإلهي أمرا مهما جدًّا فأى تبليغ مهم هذا قد طلب من الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إنجازَه و لم يكن قد أنجزه إلى ذلك الحين؟ وقد أمضى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ما يقارب ثلاثة وعشرين عاما يبلِّغ آيات الله وأحكامه ويدعو الناس إلى دين الله! وقد نال ما نال من عظيم المحن والبلاء والجهد، كى يقال له: «فما بلغت رسالتك».

وهنا أصدر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أوامره بأن تقف القوافل حتى يلحق آخرها بأولها في يوم قانظ يضطر المرء فيه أن يلف رأسه وقدميه من شدة حرّ الرمضاء ليتلو عليهم أمر السماء ويتم تبليغ الرسالة الخاتمة. إنها الحكمة الإلهية أن يتم التبليغ في هذا المكان وفي هذا الظرف كى يبقى عالقا في وجدان الامه، حيا في ذاكرتها على مرّ الزمن حفاظا على الرسالة والامه الاسلاميه.

وجمعت الرحال و صنع منها منبر صعد عليه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بعد أن صَلَّى في جموع المسلمين فحمد الله و اثني عليه و قال بصوت رفيع يسمعه كل من حضر:

«أيها الناس يوشك أن ادعى فأجيب و إني مسؤول و أنتم مسؤولون فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بَلَّغْتَ و نصحت و جاهدت فجزاك الله خيرا. قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): أ لستم تشهدون أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله و أن جنته حق و أن الساعة آتية لا ريب فيها و أن الله يبعث من فى القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): اللهم أشهد. ثم قال: (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فإني فرطكم على الحوض و أنتم واردون على الحوض و إنَّ عرضه ما بين صنعاء و بصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضه فانظروا كيف تخلفوني فى الثقلين.

فنادى مناد و ما الثقلان يا رسول الله؟ قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز و جل و طرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا. و الآخر الأصغر عترتى. و إن اللطيف الخبير نبأنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فسألت ذلك لهما ربى فلا تقدّموهما فتهلكوا

ولا تقصروا عنهما فتهلكوا.

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب حتى رأى بياض أبطيهما و عرفه الناس أجمعون. فقال (صلى الله عليه و اله): «أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله و رسوله أعلم قال (صلى الله عليه و اله): إن الله مولاي و أنا مولى المؤمنين و أنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلى مولاه- يقولها ثلاث مرات-.

ثم قال (صلى الله عليه و اله): اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و أحب من أحبه و أبغض من أبغضه و انصر من نصره و اخذل من خذله و أدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب».

ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين و حى الله بقوله تعالى: أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا (١) فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة و رضى الرب برسالتى و الولاية لعلى بعدى».

ثم أمر (صلى الله عليه و اله) أن تنصب خيمه لعلى (عليه السلام) و أن يدخل عليه المسلمون فوجا فوجا ليسلموا عليه بإمره المؤمنين ففعل الناس كلهم ذلك و أمر أزواجه و سائر نساء المؤمنين ممن معه أن يفعلن ذلك.

و كان فى مقدمه المهنيين أبو بكر و عمر بن الخطاب، كل يقول: بخ لك يا ابن أبى طالب أصبحت و أمسيت مولاي و مولى كل مؤمن و مؤمنة (٢).

٥- ظهور المتنبئين:

تفرقت جموع الحجيج من منطقته غدیر خم متجهه نحو العراق و الشام و اليمن، و اتجه النبى (صلى الله عليه و اله) نحو المدينة. و حمل الجميع وصيه الرسول (صلى الله عليه و اله) بالخلافه و القيادة من بعده لربييه على بن أبى طالب (عليه السلام) لتستمر حركه الرساله

ص: ٢٠١

١- ((١)) المائده (٥): ٣.

٢- ((٢)) راجع تأريخ اليعقوبى: ١١٢/٣، و مسند أحمد: ٢٨١/٤، البدايه و النهايه: ٢١٣/٥، و موسوعه الغدير: ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٧٩، ٣٩٢، ٤٠٢، ٤٣١/١، ١٦٥، ١٩٦، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٨، و الجزء: ١١/١٣١.

الإسلاميه بنهج نبويّ و تجتاز العقبات بعد رحيل القائد الأوّل و ذلك بعد أن عزّف بعليّ (عليه السّلام) في ذلك اليوم التاريخي الخالد بل منذ يوم الدار حيث أنّه وصفه بالوزير الناصح و الأخ المؤازر و العضد المدافع و الخليفه الذي يجب على الناس من بعده أن يطيعوه و يتبعوه و يتخذوه لأنفسهم قائدا و زعيما.

و بعد أن انبسط سلطان الدين و قويت مركزيه القرار في المدينه لم يعد بأمر خطير نفور جماعه عن الدين أو ارتداد أفراد عن التسليم لما جاء به النبي (صلى الله عليه و اله) أو وجود أفراد في الأطراف البعيده عن المدينه يرون في عنصر الدين وسيله لتحقيق بعض آمالهم و رغباتهم المريضه. من هنا أخذ مسيلمه يدّعي النبوه كذبا و كتب إلى النبي (صلى الله عليه و اله) كتابا ذكر فيه أنّه بعث أيضا و يطلب فيه من النبي (صلى الله عليه و اله) أن يشاركه في سلطان الأرض. و لما وقف النبي (صلى الله عليه و اله) على مضمون الرساله التفت إلى من حملها اليه و قال:

«لو لا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما لأنكما أسلمتما من قبل و قبلتما برسالتى فلم أتبعتما هذا الأحق و تركتما دينكما؟».

ثم ردّ على مسيلمه الكذّاب برساله كتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى مسيلمه الكذّاب. السلام على من اتّبع الهدى، أما بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبه للمتقين» (١).

و قد أفلح المسلمون في القضاء على حركات الارتداد التي قام بها بعض الدجالين مثل الأسود العنسى و مسيلمه و طلحه.

ص: ٢٠٢

أبدى النبي (صلى الله عليه و اله) اهتماما كبيرا للحدود الشماليه للدوله الإسلاميه حيث تتواجد دوله الروم المنظمه و صاحبه الجيش القوى. و لم تكن دوله فارس ذات أثر مقلق على الدوله الإسلاميه لأنّ علامات الانهيار كانت قد بدت عليها، كما أنها لم تكن تملك عقيدته روحيه تدافع عنها كالمسيحيه لدى الروم، فهى التى كانت تشكّل خطرا على الكيان الإسلامى الفتى، خاصة و أن بعض عناصر الشغب و النفاق قد أجليت عن الدوله الإسلاميه فذهبت إلى الشام و لحق بها آخرون، و كان وجود نصارى نجران عاملا سياسيا يدفع الروم لنصرتهم.

و مع ذلك فإنّ كل هذه الامور لم تكن عوامل آتية تستدعى الاهتمام الكبير الذى ظهر واضحا من إعداد النبي (صلى الله عليه و اله) لجيش كبير ضمّ وجوه كبار الصحابه ما خلا عليا و بعض المخلصين معه فقد أراد النبي (صلى الله عليه و اله) أن يخلو الجو السياسى من امور قد تعيق عمليته انتقال السلطه إلى على بن أبى طالب (عليه السلام) للقيام بمهام الخلافه من بعده، بعد أن لمس النبيّ تحسّسا و انزعاجا من بعض الأطراف بعد تأكيده المستمر على مرجعيته على (عليه السلام) و صلاحيته لإتمام مسيره النبي (صلى الله عليه و اله) و خصوصا بعد بيعه الغدير، فأراد النبي (صلى الله عليه و اله) أن يخلو الظرف من التوتر السياسى فى المدينه ليتم استلام على (عليه السلام) لزام الدوله من بعده دون صدام و شجار؛ و لهذا عقد النبي (صلى الله عليه و اله) لواء و سلّمه الى اسامه بن زيد-القائد الشاب الذى نصبه الرسول (صلى الله عليه و اله) فى اشارته بليغه إلى أهميه الكفاءه فى القياده-و جعل تحت إمرته شيوخ الأنصار و المهاجرين، و قال له: «سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل ابني».

ص: ٢٠٣

و لكنّ روح التمرد و الطمع فى السلطان و قلّه الانضباط دفعت بعض العناصر إلى عدم التسليم التام لأمر النبى (صلّى الله عليه و اله) و لعلّها كانت عارفه بالأهداف التى قصدها النبى (صلّى الله عليه و اله) و من هنا حاولت أن تؤخّر حركة الجيش المجتمع فى معسكر «الجرف». و بلغ النبى (صلّى الله عليه و اله) ذلك فغضب و خرج -و هو ملتحف قطيفه، و قد عصّب جبهته بعصابه من ألم الحمى التى أصابته- إلى المسجد فصعد المنبر ثم حمد الله و أثنى عليه و قال: أما بعد أيها الناس فما مقاله بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى اسامه، و لئن طعنتم فى إمارتى أباه من قبله و أيم الله إن كان للإماره لخليقا و إن ابنه من بعده لخليق للإماره، و إن كان لمن أحب الناس إلّى و إنهما لمخيلان لكل خير (1)، و استوصوا به خيرا فإنه من خياركم» (2).

و اشتدت الحمى برسول الله (صلّى الله عليه و اله) و لم يغفله ثقل المرض عن الاهتمام الكبير لخروج الجيش فكان يقول: «أنفذوا جيش اسامه» (3) لكل من كان يعود من أصحابه و يزيد إصرارا بقوله: «جهّزوا جيش اسامه لعن الله من تخلف عنه» (4). و أوصل بعض المسلمين أبناء تدهور صحه النبى (صلّى الله عليه و اله) الى معسكر المسلمين فى الجرف فرجع اسامه ليعود النبى (صلّى الله عليه و اله) فحثّه النبى على المضى نحو هدفه الذى رسمه له و قال له: «اغد على بركة الله».

فعاد اسامه مسرعا إلى جيشه يحثه على الرحيل و التوجه للقيام بالمهمه المخوّله إليه و لكن المتقاعسين و ذوى الأطماع فى الخلافه تمكّنوا من عرقله مسيره الجيش زاعمين أنّ النبى (صلّى الله عليه و اله) يحتضر، بالرغم من تأكيد الرسول (صلّى الله عليه و اله) بالتعجيل فى المسير و عدم التردّد فى المهمه التى جعلها على عاتق جيش اسامه.

ص: ٢٠٤

١- (١) بمعنى أنهما ممن يتفرّس فيهما كل خير. و الخولى: هو الراعى الحسن القيام على المال.

٢- (٢) الطبقات الكبرى: ١٩٠/٢، ط دار الفكر.

٣- (٣) المصدر السابق.

٤- (٤) الملل و النحل: ٢٣/١.

أيام الرسول (صلى الله عليه و اله) الأخيره

١- الحيلولة دون كتابه الوصيه:

و رغم ثقل الحمى و ألم المرض خرج النبي (صلى الله عليه و اله) مستندا على على (عليه السلام) و الفضل بن العباس ليصلى بالناس و ليقطع بذلك الطريق على الوصوليين الذين خططوا لمصادره الخلافه و الزعامه التي طمحوها لها من قبل حيث تمردوا على أوامر الرسول (صلى الله عليه و اله) بالخروج مع جيش اسامه بكل بساطه و التفت النبي -بعد الصلاه- إلى الناس فقال: «أيها الناس سعرت النار و أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، و إنى و الله ما تمسكون علىّ بشيء، إني لم أحلّ إلا- ما أحلّ الله، و لم احرم إلا ما حرم الله» (١) فأطلق بقوله هذا تحذيرا آخر أن لا يعصوه و إن لاحت فى الأفق النوايا السيئه التى ستجلب الويلات للامه حين يتزعّمها جهالها.

و اشتد مرض النبي (صلى الله عليه و اله) و اجتمع الصحابه فى داره و لحق بهم من تخلف عن جيش اسامه فلامهم النبي (صلى الله عليه و اله) على تخلفهم و اعتذروا بأعذار واهيه. و حاول النبي (صلى الله عليه و اله) بطريقه أخرى أن يصون الأمه من التردى و السقوط فقال لهم: ايتونى بدواه و صحيفه أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده، فقال عمر ابن الخطاب: إنّ رسول الله قد غلبه الوجد و عندكم القرآن حسبنا كتاب الله (٢)،

ص: ٢٠٥

١- ((١)) السيره النبويه: ٩٥٤/٢، الطبقات الكبرى: ٢/٢١٥.

٢- ((٢)) صحيح البخارى كتاب العلم باب كتابه العلم و كتاب الجهاد باب جوائز الوفد.

وهكذا وقع التنازع والاختلاف وقالت النسوة من وراء الحجاب: إئتوا رسول الله (صلى الله عليه و اله) بحاجته. فقال عمر: اسكتن فإنكن صويحبات يوسف إذا مرض عصرتن أعينكن وإذا صح أخذتن بعنقه، فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): هن خير منكم (١).

ثم قال (صلى الله عليه و اله): قوموا عنى لا ينبغى عندى التنازع.

و كم كانت الامه بحاجه ماسه الى كتاب الرسول (صلى الله عليه و اله) هذا، حتى أن ابن عباس كان يأسف كلما يذكر ذلك ويقول: الرزیه كل الرزیه ما حال بيننا و بين كتاب رسول الله (٢).

و لم يصّر نبى الرحمه على كتابه الكتاب بعد اختلافهم عنده خوفا من تماديهم فى الإساءه و إنكارهم لما هو أكبر، فقد علم (صلى الله عليه و اله) بما فى نفوسهم، و حين راجعوه ثانيه بشأن الكتاب قال (صلى الله عليه و اله): «أبعد الذى قلت (٣)؟!» و أوصاهم ثلاث وصايا، لكن كتب التأريخ لم تذكر سوى اثنتين منها و هما: اخراج المشركين من جزيره العرب و اجازة الوفد كما كان يجيزهم.

و علّق السيد محسن الأمين العاملى على ذلك قائلا: و المتأمل لا يكاد يشكّ فى أن الثالثه سكت عنها المحدّثون عمدا لا نسيانا و أنّ السياسه قد اضطرتهم الى السكوت عنها و تناسيها و أنّها هى طلب الدواه و الكنف ليكتبها لهم (٤).

٢- الزهراء (عليها السلام) تزور أباهما (صلى الله عليه و اله):

أقبلت الزهراء (عليها السلام) و هى تجر أذيال الحزن و تتطلع إلى أبيها و هو على

ص: ٢٠٦

١- (١) الطبقات الكبرى: ٢/٢٤٤، كنز العمال: ٣/١٣٨.

٢- (٢) صحيح البخارى كتاب العلم: ١/٢٢ و ١٤/٢، الملل و النحل: ١/٢٢، الطبقات الكبرى: ٢/٢٤٤.

٣- (٣) بحار الانوار: ٢٢/٤٦٩.

٤- (٤) أعيان الشيعة: ١/٢٩٤. راجع صحيح البخارى: باب مرض النبى (صلى الله عليه و اله).

و شك الالتحاق برّبّه فجلست عنده منكسره القلب دامعه العين و هي تردد:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للأرامل

و فى هذه اللحظات فتح النبى (صلى الله عليه و اله) عينيه و قال بصوت خافت: يا بنى هذا قول عمك أبى طالب لا تقوله و لكن قولى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُورَ اللَّهُ شَيْئًا وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١).

و كأنّ النبى (صلى الله عليه و اله) كان يريد بذلك أن يهتّىء ابنته فاطمه (عليها السلام) لما سيجرى من أحداث مؤسفه فإن ذلك كان هو الأنسب لتلك من قول أبى طالب رضى الله تعالى عنه و أرضاه.

ثم إنّ النبى (صلى الله عليه و اله) أوماً إلى حبيته الزهراء (عليها السلام) أن تدنو منه ليحدثها فانحنت عليه فسارها بشىء فبكت ثم سارها ثانية فضحكت. و قد أثارت هذه الظاهره فضول بعض الحاضرين فسألوها عن سرّ ذلك فقالت (عليها السلام): ما كنت لأفشى سرّ رسول الله (صلى الله عليه و اله).

و لكنّها سئلت بعد وفاه أبيها (صلى الله عليه و اله) عن ذلك فقالت: أخبرنى رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنه قد حضر أجله و أنه يقبض فى وجعه هذا، فبكيت ثم أخبرنى أنى أول أهله لحوقاً به فضحكت (٢).

٣- اللحظات الأخيرة من عمر النبى (صلى الله عليه و اله):

و كان على (عليه السلام) ملازماً للرسول (صلى الله عليه و اله) ملازمه ذى الظل لظّله حتى آخر لحظات حياته الشريفة و هو يوصيه و يعلّمه و يضع سرّه عنده. و فى الساعه

ص: ٢٠٧

١- ((١)) آل عمران (٣): ١٤٤.

٢- ((٢)) الطبقات الكبرى: ٢/٢٤٧، الكامل فى التاريخ: ٢/٢١٩.

الأخيره قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): ادعوا لى أخى-و كان (صلى الله عليه و اله) قد بعثه فى حاجه فجاءه بعض المسلمين فلم يعبا بهم الرسول (صلى الله عليه و اله) حتى جاء على (عليه السلام) فقال (صلى الله عليه و اله) له:

ادن منى. فدنا على (عليه السلام) فاستند إليه فلم يزل مستندا إليه يكلمه حتى بدت عليه (صلى الله عليه و اله) علامات الاحتضار (١)، و توفى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و هو فى حجر على (عليه السلام). كما قد صرح بذلك على (عليه السلام) نفسه فى إحدى خطبه (٢) الشهيره.

٤- وفاه النبى (صلى الله عليه و اله) و مراسم دفنه:

و لم يكن حول النبى (صلى الله عليه و اله) فى اللحظات الأخيره إلا على بن أبى طالب و بنو هاشم و نساؤه. و قد علم الناس بوفاته (صلى الله عليه و اله) من الضجيج و الصراخ الذى علا من بيت الرسول (صلى الله عليه و اله) حزنا على فراق الحبيب، و خفقت القلوب هلعه لرحيل أشرف خلق الله. و انتشر خبر الوفاه فى المدينه انتشار النار فى الهشيم و دخل الناس فى حزن و ذهول رغم أنه (صلى الله عليه و اله) كان قد مهّد لذلك و نعى نفسه الشريفه عدّه مرات و أوصى الامه بما يلزمها من طاعه و ليثها و خليفته من بعده على ابن أبى طالب. لقد كانت وفاته صدمه عنيفه هزّت وجدان المسلمين، فهاجت المدينه بسكانها و ازدادت حيره المجتمعين حول دار الرسول (صلى الله عليه و اله) أمام كلمه عمر بن الخطاب التى قالها و هو يهدد بالسيف: إنّ رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قد مات، إنه و الله ما مات و لكنّه قد ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران (٣).

و رغم أنه لا تشابه بين غياب موسى (عليه السلام) و وفاه النبى محمد (صلى الله عليه و اله)،

ص: ٢٠٨

١- (١) الطبقات الكبرى: ٢/٢٦٣.

٢- (٢) نهج البلاغه: خطبه ١٩٧.

٣- (٣) الكامل فى التاريخ: ٢/٣٢٣، الطبقات الكبرى: ٢/٢٦٦، السيره النبويه لزينى دحلان: ٢/٣٠٦.

لكن مواقف عمر التاليه لعلها تكشف النقاب عن إصراره على هذه المقارنه.

نعم لم يهدأ عمر حتى قدم أبو بكر من السنح و دخل إلى بيت رسول الله (صلى الله عليه و اله) فكشف عن وجه النبي (صلى الله عليه و اله) و خرج مسرعا و قال: أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت و تلا قوله تعالى: **وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ** و هنا هدأت فوره عمر و زعم أنه لم يلتفت الى وجود مثل هذه الآيه في القرآن الكريم (١).

و أسرع أبو بكر و عمر بن الخطاب مع بعض أصحابهما إلى سقيفه بنى ساعده بعد أن عرفا أنّ اجتماعا طارئا قد حصل في السقيفه فيما يخصّ الخلافه بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه و اله). متناسين نصب عليّ بن أبي طالب و كذا بيعتهم إياه بالخلافه و غير مدركين أنّ تصرفهم هذا يعدّ استخفافا بحرمه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و جسده المسجى.

و أما عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) و أهل بيته فقد انشغلوا بتجهيز الرسول (صلى الله عليه و اله) و دفنه فقد غسله عليّ من دون أن ينزع قميصه و أعانه على ذلك العباس بن عبد المطلب ابنه و الفضل و كان يقول: بأبي أنت و أمي ما أطيبك حيا و ميتا (٢).

ثم وضعوا جسد الرسول (صلى الله عليه و اله) على سرير و قال علي (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) إمامنا حيا و ميتا فليدخل عليه فوج بعد فوج فيصلون عليه بغير إمام و ينصرفون.

و أول من صلى على النبي (صلى الله عليه و اله) علي (عليه السلام) و بنو هاشم ثم صلت الانصار من بعدهم (٣).

ص: ٢٠٩

١- ((١)) الطبقات الكبرى: ٢/ القسم الثاني: ٥٣-٥٦.

٢- ((٢)) السيره النبويه لابن كثير: ٤/ ٥١٨.

٣- ((٣)) الارشاد: ١٨٧/١ و اعيان الشيعة: ٢٩٥/١.

ووقف على (عليه السّلام) بحيال رسول الله (صلى الله عليه و اله) و هو يقول: سلام عليك أيها النبي و رحمه الله و بركاته اللهم إنا نشهد أن قد بلغ ما انزل اليه و نصح لامته و جاهد في سبيل الله حتى أعزّ الله دينه و تّمت كلمته، اللهم فاجعلنا ممن يتّبع ما أنزل الله إليه و ثبتنا بعده و اجمع بيننا و بينه، فيقول الناس: آمين، حتى صلى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان (١).

و حفر قبر للنبي (صلى الله عليه و اله) في الحجره التي توفي فيها. و حين أراد على (عليه السّلام) أن ينزله في القبر نادى الأنصار من خلف الجدار: يا على نذكرك الله و حقنا اليوم من رسول الله أن يذهب، أدخل منا رجلا- يكون لنا به حظّ من مواراه رسول الله. فقال (عليه السّلام) ليدخل أوس بن خولى، و كان بدريا فاضلا من بنى عوف.

و نزل على (عليه السّلام) الى القبر فكشف عن وجه رسول الله و وضع خده على التراب، ثم أهال عليه التراب.

و لم يحضر دفن النبي (صلى الله عليه و اله) و الصلاة عليه أحد من الصحابه الذين ذهبوا الى السقيفه.

فسلام عليك يا رسول الله يوم ولدت و يوم مت و يوم تبعث حيا.

ص: ٢١٠

من معالم الرساله الاسلاميه الخاتمه

بما ذا بعث النبي محمد(صلى الله عليه و اله) ؟

(١)

بعث الله تعالى نبيّه محمّدا(صلى الله عليه و اله) على حين فتره من الرسل خاتما للنبيين و ناسخا لشرائع من كان قبله من المرسلين إلى الناس كافة أسودهم و أبيضهم عربيههم و عجميههم و قد ملئت الأرض من مشرقها إلى مغربها بالخرافات و السخافات و البدع و القبائح و عباده الأوثان.

فقام(صلى الله عليه و اله)فى وجه العالم كافة و دعا إلى الايمان بإله واحد خالق رازق مالك لكل أمر،بيده النفع و الضر،لم يكن له شريك فى الملك و لم يكن له ولى من الذل و لم يتخذ صاحبه،لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد.

بعثه أمرا بعبادته وحده لا شريك له مبطلا عباده الاصنام و الاوثان التى لا تضر و لا تنفع و لا تعقل و لا تسمع و لا تدفع عن أنفسها و لا عن غيرها ضرا و لا ضيما،متمما لمكارم الاخلاق حاثا على محاسن الصفات أمرا بكل حسن ناهيا عن كل قبيح.

ص: ٢١١

١- ((١)) تجد هذا البحث فى سيره النبي(صلى الله عليه و اله)للسيد محسن الأمين العاملى فى كتابه أعيان الشيعة.

و اكتفى من الناس بأن يقولوا لا- إله إلا الله محمد رسول الله و يقيموا الصلاه و يؤتوا الزكاه و يصوموا شهر رمضان و يحجوا البيت و يلتزموا بأحكام الاسلام. و كان قول هاتين الكلمتين (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) يكفي لأن يكون لقائله ما للمسلمين و عليه ما عليهم.

سمو التعاليم الاسلاميه

و بعث بالمساواه فى الحقوق بين جميع الخلق، و أنّ أحدا ليس خيرا من أحد إلا- بالتقوى. و بالاخوّه بين جميع المؤمنين و بالكفاءه بينهم: تتكافأ دماؤهم و يسعى بدمتهم أديانهم، و بالعفو العام عن دخل فى الاسلام.

و سنّ شريعه باهره و قانونا عادلا- تلقاه عن الله تعالى فكان هذا القانون جامعا لأحكام عباداتهم و معاملاتهم و ما يحتاجونه فى معاشهم و معادهم و كان عباديا اجتماعيا سياسيا أخلاقيا لا يشدّ عنه شىء مما يمكن وقوعه فى حياه البشر مستقبلا و يحتاج اليه بنو آدم، فما من واقعه تقع و لا حادثه تحدث إلا و لها فى الشريعه الاسلاميه أصل مسلم عند المسلمين ترجع اليه.

على أن العبادات فى الدين الاسلامى لا تتمحض لمجرد العباده ففيها منافع بدنيه و اجتماعيه و سياسيه فالطهاره تفيد النظافه، و فى الصلاه رياضه روحيه و بدنيه، و فى صلاه الجماعه و الحج فوائد اجتماعيه و سياسيه ظاهره، و فى الصوم فوائد صحيه لا تنكر، و الاحاطه بفوائد الاحكام الاسلاميه الظاهره فضلا عن الخفيه أمر متعذر أو عسير.

و لما فى هذا الدين من محاسن و موافقه أحكامه للعقول و سهولتها

و سماحتها و رفع الحرج فيه و الاكتفاء بإظهار الشهادتين و لما فى تعاليمه من السمو و الحزم و الجد دخل الناس فيه افواجا و ساد أهله على أعظم ممالك الأرض و اخترق نوره شرق الارض و غربها و دخل جميع أقاليمها و أقطارها تحت لوائه و دانت به الأمم على اختلاف عناصرها و لغاتها.

و لم يمض زمن قليل حتى أصبح ذلك الرجل الذى خرج من مكة مستخفيا و أصحابه يعدّون و يستدلون و يفتنون عن دينهم، يعتصمون تاره بالخروج إلى الحبشه مستخفين و اخرى بالخروج الى المدينة متسللين، يدخل مكة بأصحابه هؤلاء فى عمره القضاء ظاهرا لا يستطيعون دفعه و لا منعه و لم تمض إلاّ- مده قليله حتى دخل مكة فاتحا لها و سيطر على أهلها من دون أن تراق محجمه دم بل و لا قطره دم فدخلوا فى الاسلام طوعا و كرها و توافدت عليه رؤساء العرب ملقيه إليه عنان طاعتها و كان من قبل هذا الفتح بلغ من القوه أن بعث برسله و سفرائه إلى ملوك الأرض مثل كسرى و قيصر و من دونهما و دعاهم إلى الاسلام و غزا بلاد قيصر مع بعد الشقه و ظهر دينه على الدين كله كما وعده ربه حسبما صرّح تعالى بذلك فى سوره النصر، و الفتح و غيرهما و كما تخبرنا بذلك كتب التاريخ.

و لم يقم هذا الدين بالسيف و القهر كما يصوّره من يريد الوقيعه فيه بل كما أمر الله تعالى: **أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ** **جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (١)**. و لم يحارب أهل مكة و سائر العرب حتى حاربوه و أرادوا قتله و اخرجوه، و أقر أهل الاديان التى نزلت بها الكتب السماويه على أديانهم و لم يجبرهم على الدخول فى الاسلام.

ص: ٢١٣

وانزل الله تعالى على نبيه حين بعثه بالنبوة قرآنا عربيا مبيّنا لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، وقد أعجز النبي (صلى الله عليه و اله) به البلغاء و أخرج الفصحاء و تحدّاهم فيه فلم يستطيعوا معارضته و هم أفصح العرب بل و اليهم تنتهى الفصاحة و البلاغه، و قد حوى هذا الكتاب العزيز المنزل من لدن حكيم عليم من أحكام الدين و أخبار الماضين و تهذيب الاخلاق و الأمر بالعدل و النهى عن الظلم و تبيان كل شىء ما جعله يختلف عن كل الكتب حتّى المنزل منها و هو ما يزال يتلى على كر الدهور و مر الأيام و هو غض طرى يحير ببيانه العقول و لا تمّله الطباع مهما تكررت تلاوته و تقادم عهده.

و قد كان القرآن الكريم معجزه فيما أبدع من ثوره علميه و ثقافيه فى ظلمات الجاهليه الجهلاء و قد أرسى قواعد نهضته على منهج علمى قويم، فحثّ على العلم و جعله العامل الأوّل لتسامى الانسان نحو الكمال اللاتق به و حثّ على التفكير و التعقّل و التجربه و البحث عن ظواهر الطبيعه و التعمق فيها لا كتشاف قوانينها و سننها و أوجب تعلّم كل علم تتوقف عليه الحياه الاجتماعيه للانسان و اهتم بالعلوم النظرية من كلام و فلسفه و تاريخ و فقه و أخلاق، و نهى عن التقليد و اتباع الظن و أرسى قواعد التمسك بالبرهان.

و حثّ القرآن على السعى و الجد و التسابق فى الخيرات و نهى عن البطاله و الكسل و دعا الى الوحده و نبذ الفرقة. و شجب العنصريه و التعصبات القبليه الجاهليه.

و أقرّ الاسلام العدل كأساس فى الخلق و التكوين و التشريع و المسؤليه و فى الجزاء و المكافاه، و هو أوّل من نادى بحق المساواه بين أبناء الانسان أمام

قانون الله و شريعته و أدان الطبقية و التمييز العنصرى و جعل ملائك التفاضل عند الله أمرا معنويًا هو التقوى و الاستباق الى الخيرات، من دون أن يجعل هذا التفاضل سببا للتمايز الطبقي بين أبناء المجتمع البشرى.

و بالغ الاسلام فى حفظ الأمن و المحافظه على الأموال و الدماء و الأعراض و فرض العقوبات الشديده على سلب الأمن بعد أن شيد الارضيه اللازمه لاستقرار الأمن و العدل و جعل العقوبه آخر دواء لعلاج هذه الأمراض الاجتماعيه بنحو ينسجم مع الحره التى شرّعها للانسان. و من هنا كان القضاء فى الشريعه الاسلاميه مرتكزا على إقرار العدل و الأمن و إحقاق الحقوق المشروعه مع كل الضمانات اللازمه لذلك.

و اعتنى الاسلام بحفظ الصحه و السلامه البدنيه و النفسيه غايه الاعتناء و جعل تشريعاته كلها منسجمه مع هذا الأصل المهم فى الحياه.

الواجبات و المحرمات فى الشريعه الاسلاميه:

و تركز الواجبات و المحرمات فى الشريعه الاسلاميه على اسس فطريه واقعيه و امور تستلزمها طبيعه الأهداف الساميه للشريعه التى جاءت لإخراج هذا الانسان من ظلمات الجاهليه و هدايته الى نور الحق و الكمال، و لا تحتاج الانسانيه الى شىء يرتكز عليه الكمال البشرى إلا و أوجبته الشريعه الاسلاميه على الانسان و هيأت له سبل الوصول إليه، و حرّمت كل شىء يعيق الانسان عن السعاده الحقيقيه المنشوده له و سدّت كل منافذ السقوط الى هوّه الشقاء.

و أباحت الطبيات و لذائذ الحياه الدنيا و زيتنها ممّا لا يخلّ باصول الشريعه و مدارج الكمال البشرى و حدّدت قنواتها حين حدّدت الأهداف

الساميه و حرمت ما يضّرّ و أوجبت ما ينبغى للانسان امثاله.

و مع ذلك كله فقد اعتبرت الشريعه مكارم الاخلاق أهدافا أساسيه ينبغى للانسان الذكى اللبيب أن يحصل عليها فى هذه الحياه الدنيا ليسعد بها فى الدنيا و يحيا بها فى الآخره ذات الحياه الأبدية الدائم.

و اعتنى الاسلام بالمرأه اعتناء بالغا و جعلها ركن العائله و أساس السعاده فى الحياه الزوجيه و شرع لها من الحقوق و الواجبات ما يضمن لها عزّتها و كرامتها و تحقيق سعادتها و سعاده أبنائها و مجتمعا الإنسانى.

و صفوه القول أنّ الإسلام لم يغفل عن تشريع كل ما يحتاجه المجتمع البشرى فى تكامله و ارتقائه.

ص: ٢١٦

تراث خاتم المرسلين (صلى الله عليه و اله)

قال تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١).

لقد تجلت لنا-من خلال دراسته التاريخ الاسلامى-الثمار العظيمة لهذه البعثة الإلهيه لخاتم النبيين محمد(صلى الله عليه و اله)حيث أسفرت نبوته عن:

١-رساله إلهيه شامله قام بتبليغها الى البشريه عامه.

٢-امه مسلمه تحمل مشعل الرساله و عبير النبوه الى سائر الامم.

٣-و دوله اسلاميه ذات كيان سياسى مستقل و نظام إلهى فريد.

٤-و قياده معصومه تخلف الرسول القائد و تمثله خير تمثيل.

و اذا قصرنا النظر على التراث المسموع أو المكتوب و المدون و كان تعريفنا لتراث الرسول الخاتم(صلى الله عليه و اله)بأنه:كل ما قدمه الى البشريه و الامه الاسلاميه من عطاء مقروء أو مسموع،فينبغى لنا أن نصنف ما قدمه إليهم الى:

١-القرآن الكريم.

٢-السنة الشريفة.

ص: ٢١٧

و يشترك العطاء ان بأنهما من فيض السماء على الانسان بتوسط هذا الرسول الكريم. فهما وحى الله على قلب محمد (صلى الله عليه و اله) الذى لم ينطق عن الهوى.

و يتميز القرآن الحكيم أولا بأن شكله و محتواه (نصّه و مضمونه) معا من الله تعالى، فالصياغة إلهيه معجزه كما أنّ مضمونه كذلك. على أن جمعه و تدوينه - كما هو الصحيح و الثابت تاريخيا - قد تمّ فى عصر الرسول نفسه و قد تواتر إلينا نصّه بشكل كامل غير محرّف.

و الوثائق التاريخيه الدالّه على تدوين النصّ القرآنى فى عصر الرسول (صلى الله عليه و اله) غير قليله، نكتفى بنص قرآنى و آخر غير قرآنى على ذلك.

فالأول: قوله تعالى: **وَقَالُوا أَتُحَدِّثُ بِالْأَحَادِيثِ الْأُولَىٰ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ أَصْبَلْنَا (١)**.

و الثانى: ما روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) حيث قال:

«... ما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه و اله) آيه من القرآن إلا أقرأنيها و أملاها على فكتبتها بخطى و علّمني تأويلها و تفسيرها و ناسخها و منسوخها و محكمها و متشابهها و خاصّها و عامّها، و دعا الله أن يعطينى فهمها و حفظها، فما نسيت من كتاب الله و لا علما أملاه على و كتبه منذ دعا لى بما دعا» (٢).

و المسلمون جميعا متفقون على أن النبى (صلى الله عليه و اله) بلغ القرآن كاملا، و أن القرآن المتداول اليوم بين المسلمين هو الذى كان متداولاً فى عهد النبى (صلى الله عليه و اله) لم يزد فيه شىء و لم ينقص منه شىء.

و أمّا السنه الشريفه و الحديث النبوى، فهو بشرى الصياغه إلهي

ص: ٢١٨

١- ((الفرقان (٢٥): ٥.

٢- ((الكافى: ١/٦٢-٦٣ كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث.

المضمون، و يتميز بالفصاحه الكامله و تتجلى فيه عظمه الرسول و كماله و عصمته و التسديد الإلهي له.

و من هنا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع و ينبوع الاساسى للمعرفه التى تحتاجها البشريه على مدى الحياه. قال تعالى: قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (١).

و اعتبر القرآن الكريم السنّه الشريفه ثانى مصدر للتشريع الربانى حيث اعتبرت سنّه النبى الكريم مصدرا تشريعا تاليا للقرآن باعتبار النبى (صلّى الله عليه و اله) مفسرا للذكر الحكيم و اسوه حسنه يقتدى بها، و على الناس أن يأخذوا بأوامره و يتتبعوا عن نواهيه (٢).

و لكن السنّه النبويه-و للأسف-لقيت بعد عصر الرسول (صلّى الله عليه و اله) و بالذات عصر الخلفاء الأوائل وضعاسيئا حيث أقدم أبو بكر و عمر على منع تدوين حديث الرسول (صلّى الله عليه و اله)، و قاما بحرق ما دونه بعض الصحابه بحجه أن ذلك النهى جاء منهما-و من عمر بالذات- حرصا منهما على القرآن الكريم لأن تدوين السنّه و الاهتمام بها يؤدى بالتدريج الى الغفله عن القرآن أو الى ضياع القرآن من حيث التباسه بالحديث.

و لكن أهل البيت و أتباعهم و كثير من المسلمين قد تعاملوا مع سنّه الرسول (صلّى الله عليه و اله) التعامل اللائق بها من الاحترام و التقديس مستلهمين ذلك من القرآن الكريم، و من هنا أخذوا يتداولونها حفظا و تحديثا و تدوينا و تطبيقا بالرغم من الحظر الرسمى للتدوين. الذى كان لسبب آخر-كما يبدو-غير ما

ص: ٢١٩

١- ((١)) البقره (٢): ١٢٠.

٢- ((٢)) النحل (١٦): ٤٤، و الاحزاب (٣٣): ٢١ و الحشر (٥٩): ٧.

ذكر، ببطلان ما ذكر من الأسباب. حيث خالف العلماء والخلفاء فيما بعد ذلك الحظر وراحوا يحثون على التدوين.

و أول من بادر الى تدوين السنه الشريفه و اعتنى بها أشد الاعتناء هو ربيب الرسول (صلى الله عليه و اله) و وصيه الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام). قال: «و قد كنت أدخل على رسول الله (صلى الله عليه و اله) كل يوم دخله و كل ليله دخله فيخلىني فيها، أدور معه حيثما دار.

و قد علم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيرى... و كنت إذا سألته أجنبي و اذا سكتت و فريت مسائلى ابتدأنى، فما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه و اله) آيه من القرآن الا- أقرأنيها و أملاها على فكتبها بخطى و علمنى تأويلها و تفسيرها... و ما ترك شيئاً علمه الله من حلال و لا- حرام و لا أمر و لا نهى كان أو يكون منزلاً على أحد قبله من طاعه أو معصيه الا علمنيه و حفظته فلم أنس حرفاً واحداً...» (١).

و تمثلت مدونات الامام على (عليه السلام) مما أملاه عليه الرسول (صلى الله عليه و اله) فى ما يسمى بكتاب على و ما يسمى بالجامعه أو الصحيفه.

قال ابو العباس النجاشى المتوفى سنه (٤٥٠ هـ): أخبرنا محمد بن جعفر (النحوى التميمى و هو شيخه فى الاجازه) مسندا الى عذافر الصير فى قال:

كنت مع الحكم بن عتيبه عند أبى جعفر (عليه السلام) فجعل يسأله و كان أبو جعفر (عليه السلام) له مكرماً فاختلفا فى شىء، فقال أبو جعفر (عليه السلام): يا بنى قم فاخرج كتاب على (عليه السلام)، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، ففتحه و جعل ينظر حتى أخرج المسأله فقال أبو جعفر (عليه السلام): هذا خط على (عليه السلام) و إملاء رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أقبل على الحكم و قال: يا أبا محمد اذهب أنت و سلمه و أبو المقدام حيث شئتم يمينا و شمالاً فو الله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرائيل (عليه السلام) (٢).

ص: ٢٢٠

١- (١) بصائر الدرجات: ١٩٨ و الكافي: ٦٢/١-٦٣.

٢- (٢) تاريخ التشريع الاسلامى: ٣١.

و عن ابراهيم بن هاشم مسندا الى ابي جعفر (عليه السلام): في كتاب على كل شيء يحتاج اليه حتى أُرش الخدش (١).

و أما صحيفه عليّ (عليه السلام) أو الجامعه فهى مدوّنه اخرى لعليّ (عليه السلام) على جلد طوله سبعون ذراعا فعن ابي بصير (عليه السلام): أنه قال له الامام الصادق (عليه السلام) فيما قال له: و ان عندنا الجامعه، صحيفه طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله (صلى الله عليه و اله) و املائه من فلق فيه و خط عليّ (عليه السلام) بيمينه، فيها كل حلال و حرام و كل شيء يحتاج اليه الناس حتى الارش فى الخدش (٢).

هذا هو موقف أهل البيت (عليهم السلام) من السنّه الشريفه.

و أما الموقف الحكومى الرسمى فى خلافه الشيخين فقد ترك آثارا سلبيه كبيره حيث استمرّ هذا الحظر إلى ما لا يقلّ عن قرن واحد و أدى الى ضياع كثير منها، و فتح الباب أمام تسرّب الإسرائيليات الى مصادر الثقافه عند المسلمين، كما و أنتج انفتاح باب الرأى و الاستحسان على مصراعيه حتى غدا الرأى مصدرا من مصادر التشريع بل قد قدّمه البعض حتى على نصوص السنّه النبويه الشريفه؛ إذ لم يصمد كثير من النصوص أمام النقد العلمى. و هذا قد أدى بدوره الى شحّه النصوص النبويه الصحيحه عند أهل السنّه و عدم وفائها بما تحتاجه الامه فى عصورها المقبله.

و لكن أهل البيت (عليهم السلام) قد وقفوا أمام هذا التيار الجارف بكل حزم و استطاعوا أن يحفظوا السنّه الشريفه من الضياع عند المؤمنين من خلال توجيهاتهم و حسب ما تقتضيه إمامتهم و خلافتهم الشرعيه فإنّ أولى مهامّ الإمام و الخليفه المنصوص هو حفظ الشريعه و نصوصها من الضياع.

ص: ٢٢١

١- ((١)) تاريخ التشريع الإسلامى: ٣٢.

٢- ((٢)) المصدر السابق: ٣٣.

و من هنا لزم على الباحث عن السنّه النبويه الرجوع الى مصادر السنّه عند أهل البيت (عليهم السلام) و أتباعهم فإنهم أدرى بما فى البيت.
و السنّه الشريفه عند أهل البيت (عليهم السلام) تغطّى جميع أبواب العقيدّه و الفقه و الاخلاق و التربيه و كل ما تحتاجه البشريه فى كل مجالات الحياه.

و قد صرّح الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) حفيد الرسول الأعظم بهذه الحقيقه فقال: «ما من شيء إلا و فيه كتاب أو سنّه (1)».

ص: ٢٢٢

١- (١) الكافى: ٤٨/١.

١-العقل و العلم:

١-لقد اهتم الرسول (صلى الله عليه و اله)بالعقل أشدّ الاهتمام، فعرفه و بين وظيفته و دوره فى الحياه:على مستوى التكليف و المسؤوليه، و على مستوى العمل و الجزاء، كما بين عوامل رشده و تكامله، فقال:

«إن العقل عقال من الجهل، و النفس مثل أخبث الدواب، فإن لم يعقل حارت، فالعقل عقال من الجهل، و إن الله خلق العقل، فقال له: أقبل فأقبل، و قال له: أدبر فأدبر، فقال له الله تبارك و تعالى: و عزّتى و جلالى ما خلقت خلقا أعظم منك و لا أطوع منك، بك ابدى و اعيد، لك الثواب و عليك العقاب.

فتشعب من العقل الحلم، و من الحلم العلم، و من العلم الرشده، و من الرشده العفاف، و من العفاف الصيانه، و من الصيانه الحياء، و من الحياء الرزانه، و من الرزانه المداومه على الخير، و كراهيه الشر، و من كراهيه الشر طاعه الناصح.

فهذه عشره أصناف من أنواع الخير، و لكل واحد من هذه العشره الأصناف عشره أنواع...» (١).

٢- و اهتم الرسول الرائد (صلى الله عليه و اله)بالعلم و المعرفه، مبيّنا دور العلم فى الحياه و قيمته اذا ما قيس الى سائر أنواع الكمال، فقال:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم، فاطلبوا العلم من مظانه، و اقتبسوه من أهله، فإنّ

ص: ٢٢٣

١- (١) راجع تمام الحديث فى تحف العقول، باب مواظب النبى و حكمه. و روى أنّ شمعون بن لاوى المسيحى دخل على رسول الله و ناقشه طويلا- ثم اعتنق الإسلام فقال: أخبرنى عن العقل ما هو؟ و كيف هو؟ و ما يتشعب منه و ما لا- يتشعب، و صفه و صف لى طوائفه كلها، فقال الرسول:... إن العقل عقال من الجهل... راجع أيضا كلمه الرسول الأعظم: ٩١.

تعليمه لله حسنه، وطلبه عباده، و المذاكره به تسييح، و العمل به جهاد، و تعليمه من لا يعلمه صدقه، و بذله لأهله قربه إلى الله تعالى؛ لأنه معالم الحلال و الحرام، و منار سبل الجنه، و المؤمنس فى الوحشه، و الصاحب فى الغريه و الوحده، و المحدث فى الخلوه، و الدليل على السراء و الضراء، و السلاح على الأعداء، و الزين عند الأخلاء. يرفع الله به أقواما، فيجعلهم فى الخير قاده، تقتبس آثارهم، و يهتدى بفعالهم، و ينتهى إلى رأيهم، و ترغب الملائكه فى خلّتهم. بأجنتها تمسحهم، و فى صلاتها تبارك عليهم. يستغفر لهم كل رطب و يابس، حتى حيتان البحر و هوائه، و سباع البر و أنعامه. إن العلم حياه القلوب من الجهل، و ضياء الأبصار من الظلمه، و قوه الأبدان من الضعف. يبلغ بالعبد منازل الأخيار، و مجالس الأبرار، و الدرجات العلى فى الدنيا و الآخره. الذكر فيه يعدل بالصيام، و مدارسته بالقيام. به يطاع الرب، و به توصل الأرحام، و به يعرف الحلال و الحرام. العلم إمام العمل و العمل تابعه.

يلهمه السعداء، و يحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لم يحرمه الله منه حظّه.

و صفه العاقل أن يحلم عمّن جهل عليه، و يتجاوز عمّن ظلمه، و يتواضع لمن هو دونه، و يسابق من فوقه فى طلب البر. و إذا أراد أن يتكلم تدبّر، فإن كان خيرا تكلم فغنم، و إن كان شرا سكت فسلم، و إذا عرضت له فتنه استعصم بالله، و أمسك يده و لسانه، و إذا رأى فضيله انتهز بها. لا يفارقه الحياء، و لا يبدو منه الحرص، فتلك عشر خصال يعرف بها العاقل.

و صفه الجاهل أن يظلم من خالطه، و يتعدى على من هو دونه، و يتناول على من هو فوقه. كلامه بغير تدبّر، إن تكلم أثم، و إن سكت سها، و إن عرضت له فتنه سارع إليها فأردته، و إن رأى فضيله أعرض عنها و أبطأ عنها. لا يخاف ذنوبه القديمه، و لا يرتدع فيما بقى من عمره من الذنوب. يتوانى عن البرّ و يبطن عنه، غير مكترث لما فاته من ذلك أو ضييعه، فتلك

عشر خصال من صفه الجاهل الذى حرم العقل (١).

٢- مصادر التشريع:

إشاره

٣- لقد رسم خاتم الرسل (صلى الله عليه و اله) للناس جميعا طريق السعاده الحقيقيه و ضمن لهم الوصول اليها فيما اذا التزموا بالتعليمات التى بينها لهم. و يتلخص طريق السعاده عند الرسول (صلى الله عليه و اله) بالتمسك بأصلين أساسيين لا غنى بأحدهما عن الآخر و هما الثقلان، حيث قال:

«أيها الناس! إنى فرطكم، و انتم واردون على الحوض، ألا و إنى سائلكم عن الثقلين، فانظروا: كيف تخلفونى فيهما؟ فإن اللطيف الخبير نبأنى: أنهما لن يفترقا حتى يلقىانى، و سألت ربه ذلك فأعطانيه، ألا و إنى قد تركتهما فيكم: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، لا تسبقوهم فتفرقوا و لا تقصروا عنهم فتهلكوا، و لا تعلموهم، فإنهم أعلم منكم.

أيها الناس! ألا ألفتكم بعدى كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض، فتلقونى فى كتبه كمجر السيل الجرار.

ألا و إن على بن أبى طالب أخى و وصيى، يقاتل بعدى على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيهه» (٢).

القرآن و دوره المتميز:

٤- أفصح النبى (صلى الله عليه و اله) تبليغ بيانه عن عظمه القرآن الكريم مبينا دوره فى الحياه و قيمه التمسك التام به حيث خاطب عامه البشره قائلا:

«أيها الناس! إنكم فى دار همدنه، و أنتم على ظهر سفر، و السير بكم سريع، فقد رأيتم الليل و النهار، و الشمس و القمر، يبليان كل جديد، و يقربان كل بعيد، و يأتيان بكل وعد

ص: ٢٢٥

١- ((١)) بحار الأنوار: ١/١٧١ طبعه مؤسسه الوفاء، و راجع تحف العقول: ٢٨ طبعه مؤسسه النشر الاسلامى.

٢- ((٢)) أعيان الشيعة: ٢/٢٢٦، تاريخ يعقوبى: ١٠١/٢-١٠٢.

و وعيد، فأعدوا الجهاز لبعده المجاز. إنَّها دار بلاء و ابتلاء، و انقطاع و فناء، فإذا التبتت عليكم الامور كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنَّه شافع مشفّع، و ماحل مصدّق. من جعله أمامه قاده إلى الجنة، و من جعله خلفه ساقه إلى النار، و من جعله الدليل يدلّه على السبيل. و هو كتاب فيه تفصيل، و بيان و تحصيل. هو الفصل ليس بالهزل، و له ظهر و بطن، فظاهره حكم الله، و باطنه علم الله تعالى، فظاهره أُنِيق، و باطنه عميق، له تخوم، و على تخومه تخوم، لا تحصي عجائبه، و لا تبلى غرائب، مصابيح الهدى، و منار الحكمة، و دليل على معرفه لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره، و ليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، و يتخلّص من نشب؛ فإنَّ التفكير حياه قلب البصر، كما يمشى المستنير في الظلمات بالثور، فعليكم بحسن التخلّص، و قله التربص» (١).

أهل البيت (عليهم السلام) أركان الدين

٥- و عزّف الرسول الخاتم (صلّى الله عليه و اله) الثقل الكبير- أى أهل بيت رساله:

على و بنوه الأحد عشر- بأنواع التعريف، و كان مما قاله فى آخر خطبه خطبها:

«يا معشر المهاجرين و الأنصار! و من حضرني فى يومى هذا، و فى ساعتى هذه، من الجنّ و الإنس فليبلغ شاهدكم الغائب: ألا قد خلّفت فيكم كتاب الله. فيه الثور، و الهدى، و البيان، ما فرّط الله فيه من شىء، حجه الله لى عليكم. و خلّفت فيكم العلم الأ- كبر، علم السدين، و نور الهدى، و صيى: على بن أبى طالب، ألا و هو جبل الله، فاعتصموا به جميعا، و لا تفرقوا عنه، و اذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعمداءً فاللف بين قلوبكم فأصبحتنم بنعمته إخواناً» (٢).

أيها الناس! هذا على بن أبى طالب، كنز الله، اليوم و ما بعد اليوم، من أحبّه و تولّاه

ص: ٢٢٦

١- ((١)) تفسير العياشى: ٢/١-٣، كنز العمال: ٢/٢٨٨، الحديث ٤٠٢٧.

٢- ((٢)) آل عمران (٣): ١٠٣.

اليوم و ما بعد اليوم، فقد أوفى بما عاهد عليه، و أدى ما وجب عليه، و من عاداه اليوم و ما بعد اليوم، جاء يوم القيامة أعمى و أصمّ، لا حجّج له عند الله.

أيها الناس! لا تأتونى غداً بالدنيا، ترفونها زفّاً، و يأتى أهل بيتى شعثاء غبراء، مهجورين مظلومين، تسيل دماؤهم أمامكم، و بيعات الضلاله و الشورى للجهااله فى رقابكم.

ألا و إن هذا الأمر له أصحاب و آيات، قد سمّاهم الله فى كتابه، و عرفتمكم، و بلّغتمكم ما أرسلت به إليكم، و لكننى أراكم قوما تجهلون. لا ترجعن بعدى كفّاراً مرتدين، متأولين للكتاب على غير معرفه، و تبتدعون السنّه بالهوى؛ لأنّ كل سنّه و حديث و كلام خالف القرآن فهو ردّ و باطل.

القرآن إمام هدى، و له قائد يهدى إليه، و يدعو إليه بالحكمه و المواعظه الحسنه. و هو وليّ الأمر بعدى، و وارث علمى و حكمتى، و سرّى و علانيتى، و ما ورثه النبيون من قبلى، و أنا وارث و مورث، فلا يكذبتم أنفسكم.

أيها الناس! الله الله فى أهل بيتى؛ فإنهم أركان الدين، و مصايح الظلم، و معدن العلم؛ على أخى، و وارثى، و وزيرى، و أمينى، و القائم بأمرى، و الموفى بعهدى على سببى. أول الناس بى إيماناً، و آخرهم عهداً عند الموت، و أوسطهم لى لقاء يوم القيامة، فليبلغ شاهدكم غائبكم ألا و من أمّ قوما إمامه عمياء، و فى الأمه من هو أعلم، فقد كفر.

أيها الناس! و من كانت له قبلى تبعه فيما أنا، و من كانت له عدّه، فليأت فيها على بن أبى طالب، فإنّه ضامن لذلك كلّّه، حتى لا يبقى لأحد على تباعه» (١).

ص: ٢٢٧

الخالق لا يوصف:

«إنَّ الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطه به؟ جلَّ عمّا يصفه الواصفون، ناء في قربه، وقريب في نأيه، كيف الكيفيه فلا يقال له كيف؟ وأين الأين فلا يقال له أين؟ هو منقطع الكيفويته و الأينويته، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد» (١).

شروط التوحيد:

«إذا قال العبد: «لا إله إلا الله» فينبغي أن يكون معه تصديق و تعظيم، و حلاوه و حرمة، فإذا قال: «لا إله إلا الله» و لم يكن معه تعظيم، فهو مبتدع. و إذا لم يكن معه حلاوه فهو مرء. و إذا لم يكن معه حرمة فهو فاسق» (٢).

رحمه الله:

«إن رجلين كانا في بنى إسرائيل، أحدهما مجتهد في العبادة و الآخر مذنب، فجعل يقول المجتهد: أقصر عمّا أنت فيه، فيقول: خلّني و ربّي، حتى وجده يوما على ذنب استعظمه، فقال: أقصر، قال: خلّني و ربّي، أبعث عليّ رقيبا؟ فقال: و الله لا يغفر الله لك و لا يدخلك الجنة. فبعث الله إليهما ملكا، فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل

ص: ٢٢٨

١- ((١)) بحار الانوار: ٩٤/٢، الكفاية، أبو المفضل الشيباني عن أحمد بن مطوق بن سوار عن المغيرة بن محمد ابن المهلب عن عبد الغفار بن كثير عن ابراهيم بن حميد عن أبي هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال: قدم يهودى على رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، يقال له: نعتل. فقال: يا محمد إننى أسألك عن أشياء تلجلج فى صدرى منذ حين، فإن أنت أحببتنى عنها، أسلمت على يدك. قال: نسل يا أبا عماره! فقال: يا محمد صف لى ربك. فقال: ...

٢- ((٢)) كلمه الرسول الأعظم: ٣٠.

الجنة برحمتي، و قال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدى رحمتي؟ فقال: لا يا رب. قال:

اذهبوا به إلى النار» (١).

لا جبر ولا اختيار:

«إنَّ الله لا يطاع جبراً، ولا يعصى مغلوباً، ولم يهمل العباد من المملكه، ولكنه القادر على ما أقدرهم عليه، والمالك لما ملكهم إياه؛ فإن العباد إن ائتمروا بطاعه الله لم يكن منها مانع، ولا عنها صاد، وإن عملوا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبينها فعل، وليس من شاء أن يحول بينك وبين شيء ولم يفعله، فأتاه الذي فعله كان هو الذي أدخله فيه» (٢).

الخاتمة:

«فصّلت على الأنبياء بسّ: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب من مسيره شهر، وحلت لى الغنائم. وجعلت لى الأرض مسجداً و طهوراً. و أرسلت إلى الخلق كافه.

و ختم بى النبىون» (٣).

إن الله اصطفانى:

«إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، و اصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانه، و اصطفى من بنى كنانه قريشا. و اصطفى من قريش بنى هاشم، و اصطفانى من بنى هاشم، قال الله تبارك و تعالى: لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» (٤).

ص: ٢٢٩

١- (١) كلمه الرسول الأعظم: ٣١.

٢- (٢) بحار الأنوار: ١٤٠/٧٧.

٣- (٣) المصدر السابق: ٣٢٤/١٦.

٤- (٤) كلمه الرسول الأعظم: ٣٥. راجع بحار الأنوار: ٣٢٣/١٦.

«إنّ مثل ما بعثنى به ربّى من الهدى و العلم كمثل غيث أصاب أرضاً، منها طائفه طيبه، فقبلت الماء فأنبت العشب و الكلاً الكبير، و كانت منها أجادب امسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشرّبوا منها و سقوا و زرعوا، و أصاب طائفه منها أخرى، إنّما هى قيعات، لا- تمسك و لا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه فى دين الله، و تفقّه فيما بعثنى الله به، فعلم و علّم، و مثل من لم يرفع بذلك رأساً، و لم يقبل هدى الله الذى أرسلت به» (١).

الإمام بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«يا عمّار! إنّه سيكون بعدى هنات، حتى يختلف السيف فيما بينهم، و حتى يقتل بعضهم بعضاً، و حتى يبرأ بعضهم من بعض، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يمينى:

علّى بن أبى طالب، فإن سلك الناس كلّهم وادياً، و سلك علّى وادياً فاسلك وادى علّى، و خلّ عن الناس.

يا عمّار! إن علّى لا يرّدك عن هدى، و لا يدلّك على ردى.

يا عمّار! طاعه علّى طاعى، و طاعى طاعه الله» (٢).

«من ظلم علّى مقعدى هذا بعد وفاتى، فكأنما جحد نبوتى، و نبوه الأنبياء قبلى» (٣).

ص: ٢٣٠

١- ((١)) بحار الأنوار: ١/١٨٤.

٢- ((٢)) مجمع البيان: ٣/٥٣٤، روى أبو أيوب الأنصارى أن النبى (صلى الله عليه و اله) قال لعمار بن ياسر:...

٣- ((٣)) المصدر السابق: ٣/٥٣٤، عن كتاب شواهد التنزيل للحاكم أبى القاسم الحسكافى عن أبى الحمد مهدى ابن نزار الحسنى حدثنى محمد بن القاسم بن أحمد عن أبى سعيد محمد بن الفضيل بن محمد عن محمد بن صالح العزمى عن عبد الرحمن بن أبى حاتم عن أبى سعيد الأشج عن أبى خلف الأحمر عن إبراهيم بن طهمان عن سعيد بن أبى عروبه عن قتاده عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية «و اتقوا فتنه»: قال النبى (صلى الله عليه و اله):...

نصرهم،مخدول من خذلهم» (١).

النبي (صلى الله عليه و اله) يبشّر بالمهدى (عليه السلام):

روى أحمد عن النبي (صلى الله عليه و اله)، أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلما و عدوانا ثم يخرج من عترتى من يملأها قسطا و عدلا...» (٢).

و جاء عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه قال: دفع النبي (صلى الله عليه و اله) الرايه يوم خيبر الى على ففتح الله على يده ثم فى غد ير خم أعلم الناس أنه مولى كل مؤمن و مؤمنة. و ساق الحديث و ذكر شيئا من فضائل على و فاطمه و الحسن و الحسين الى أن قال: «أخبرنى جبرئيل أنهم يظلمون بعدى و أنّ ذلك الظلم يبقى حتى اذا قام قائمهم و علت كلمتهم و اجتمعت الامه على محبتهم و كان الشانى لهم قليلا و الكاره لهم ذليلا. و كثر المادح لهم و ذلك حين تغير البلاد و ضعف العباد و اليأس من الفرج فعند ذلك يظهر القائم المهدى من ولدى بقوم يظهر الله الحق بهم و يخمد الباطل بأسيا فهم- الى أن قال- «معاشر الناس أبشروا بالفرج فإن وعد الله حق لا يخلف، و قضاءه لا يرد و هو الحكيم الخبير و ان فتح الله قريب» (٣).

و عن ام سلمه أنها قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «المهدى من عترتى من ولد فاطمه» (٤).

ص: ٢٣٢

١- ((١)) كفايه الأثر: ١٩٥-١٩٦، عن الحسين بن على، عن هارون بن موسى عن محمد بن إسماعيل الفزارى، عن عبد الله بن الصالح كاتب الليث، عن رشد بن سعد، عن الحسين بن يوسف الأنصارى، عن سهل بن سعد الأنصارى قال: سئلت فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن الائمة فقالت: كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول لعلى: ... و روى نصين آخرين عن جابر الأنصارى فراجع.

٢- ((٢)) راجع مسند أحمد: ٣/٤٢٥، الحديث ١٠٩٢٠.

٣- ((٣)) ينابيع المودّة: ٤٤٠.

٤- ((٤)) المصدر السابق: ٤٣٠ عن أبى داود فى صحيحه: ٨٧/٤.

و جاء عن حذيفه بن اليمان أنه قال: خطبنا رسول الله (صلى الله عليه و اله) فذكر لنا ما هو كائن الى يوم القيامة ثم قال: لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله عزّ و جلّ ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلا من ولدى اسمه اسمى، فقام سلمان و قال: يا رسول الله إنه من أى ولدك؟ قال: هو من ولدى هذا و ضرب بيده على الحسين (1).

٤- اصول التشريع الاسلامى فى تراث الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله)

اشاره

(٢)

الف- خصائص الاسلام:

- ١- الإسلام يعلو و لا يعلى عليه.
- ٢- الإسلام يجبّ ما قبله.
- ٣- الناس فى سعه ما لم يعلموا.
- ٤- رفع عن امتى الخطأ و النسيان و ما استكروها عليه.
- ٥- رفع القلم عن ثلاثه: الصبى و المجنون و النائم.

ب- العلم و مسؤوليه العلماء:

- ١- من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليته.
- ٢- من قال فى القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار.
- ٣- من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار.
- ٤- من أفتى بما لا يعلم لعنته ملائكه السماء و الأرض.
- ٥- كل مفت ضامن.
- ٦- كل بدعه ضلاله و كل ضلاله سببها الى النار.
- ٧- من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين.

١- (١) البيان فى أخبار صاحب الزمان للحافظ أبى عبد الله محمد بن يوسف بن محمد النوفلى: ١٢٩.

٢- (٢) تراجع هذه النصوص و غيرها فى أعيان الشيعة: ٣٠٣/١-٣٠٦.

٨-تعلموا الفرائض و علموها الناس فإنها نصف العلم.

٩-إذا أتاكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه و ما خالفه فاضربوا به عرض الحائط.

١٠-إذا ظهرت البدعه فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنه الله.

ج-قواعد عامه للسلوك الاسلامى:

١-لا رهبانيه فى الإسلام.

٢-لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق.

٣-لا دين لمن لا تقية له.

٤-لا خير فى النوافل إذا أضرت بالفرائض.

٥-فى كل أمر مشكل القرعه.

٦-إنما الأعمال بالنيات.

٧-تبه المرء أبلغ من عمله.

٨-أفضل الأعمال أحمرها.

٩-من دان بدين قوم لزمه حكمهم.

١٠-من سنَّ سنَّه حسنه كان له أجرها و أجر العامل بها إلى يوم القيامة و من سنَّ سنَّه سيئه كان عليه وزرها و وزر العامل بها إلى يوم القيامة.

د-خطوط عامه فى القضاء و المحاكمات:

١-إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر و إن أصاب فله أجران.

٢-إقرار العقلاء على أنفسهم جائز.

٣-البينه على المدعى و اليمين على من أنكر.

٤-لا يمين إلا بالله.

٥- ادرؤا الحدود بالشبهات.

٦- من قتل دون ماله فهو شهيد.

٧- على اليد ما أخذت حتى تؤدى.

٨- جنايه العجاوات جبار.

٩- لا يؤاخذ الرجل بجريه ابنه، ولا ابن بجريه أبيه.

١٠- الناس مسلطون على أموالهم.

ه- العبادات فى خطوطها العريضة:

١- إن عمود الدين الصلاة.

٢- خذوا عنى مناسككم.

٣- صلوا كما رأيتمنى أصلى.

٤- زكوا أموالكم تقبل صلاتكم.

٥- زكاه الفطره على كل ذكر و انثى.

٦- جعلت لى الأرض مسجدا و ترابها طهورا.

٧- جنبوا مساجدكم بيعكم و شراءكم و خصوصياتكم.

٨- سياحه امتى الصوم.

٩- كل معروف صدقه.

١٠- أفضل الجهاد كلمه حق بين يدى سلطان جائر.

و- من اصول النظام العائلى:

١- النكاح ستنى فمن رغب عن ستنى فليس منى.

٢- تناكحوا تناسلوا فإنى اباهى بكم الامم يوم القيامة.

٣- تزوجوا ولا تطلقوا فإنّ الطلاق يهتّر منه عرش الرحمن.

٤- تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء و أنكحوا إليهم.

٥- الولد للفراش و للعاهر الحجر.

٦- جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها.

٧- ليس على النساء جمعه و لا- جماعه و لا- أذان و لا إقامة و لا عياده مريض و لا هروله بين الصفا و المروه و لا جهاد و لا استلام الحجر و لا تولّى القضاء و لا الحلق.

٨- المتلاعنان لا يجتمعان أبدا.

٩- قذف المحصنه يحبط عمل منه سخينه.

١٠- الرضاع ما أنبت اللحم و شدّ العظم.

١١- علّموا أولادكم السباحه و الرمي.

١٢- من كان عنده صبيّ فليتصابّ له.

ز- نقاط مضيئه من النظام الاقتصادي الاسلامي:

١- العباده سبعة أجزاء أفضلها طلب الحلال.

٢- الفقه ثم المتجر.

٣- ملعون من ألقى كَلّه على الناس.

٤- ابدأ بمن تعول.

٥- اعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه.

٦- على كل ذي كبد حزى أجر.

٧- المسلمون عند شروطهم.

٨- المسلم أحق بماله أينما وجده.

٩- الوقوف على حسب ما يوقفها أهلها.

١٠- لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه منه.

١١- الكفن ثم الدين ثم الوصيه ثم الميراث.

١٢- الصلح جائز بين المسلمين إلا ما أحلّ حراما أو حرّم حلالا.

١٣- مظلّ الموسر المسلم ظلم للمسلم.

١٤- اليبعان بالخيار ما داما في المجلس.

١٥- شرّ المكاسب الرّبا.

١٦- لا ينتفع من الميتة يهاب ولا عصب.

ج- من اصول التعايش الاجتماعى:

١- قتال المؤمن كفر و أكل لحمه معصيه.

٢- حرمة المؤمن ميّتا كحرمته حيا.

٣- كرامه الميت تعجيله فى التجهيز.

٤- المؤمنون إخوه تتكافأ دماؤهم و يسعى بذمتهم أدناهم و هم يد على من سواهم.

٥- الولاء للعتق.

٦- الولاء لحمه كلحمه النسب.

٧- سباب المؤمن فسوق.

٨- كل مسكر حرام.

٩- ما اسكر كثيره فالجرعه منه حرام.

١٠- عذاب القبر من النميمه و الغيبه و الكذب.

١١- لا غيبه لفاسق.

١٢- حرّم لباس الذهب على ذكور امتى و حلّ لإناثهم.

٥- من جوامع الكلم في تراث الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله):

- ١- إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.
- ٢- أنا مدينة العلم و على بابها.
- ٣- أحب الأعمال إلى الله أدومها و إن قلّ.
- ٤- إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن.
- ٥- الإيمان نصفان: نصف في الصبر و نصف في الشكر.
- ٦- استعينوا على أموركم بالكتمان.
- ٧- الأمانة تجلب الرزق و الخيانة تجلب الفقر.
- ٨- الأيدي ثلاثة: سائلة و منفقة و ممسكة، فخير الأيدي المنفقة.
- ٩- إذا ساد القوم فاسقهم و كان زعيم القوم أذلهم و أكرم الرجل الفاسق فلينتظر البلاء.
- ١٠- أعجل الشر عقوبه البغي.
- ١١- ألا إن شرار امتي الذين يكرمون مخافه شرهم. ألا و من أكرمه الناس اتقاء شره فليس مني.
- ١٢- بالبر يستعبد الحرّ.
- ١٣- بشروا و لا تنفروا.
- ١٤- بادر بأربع قبل أربع: شبابك قبل هرمك و صحتك قبل سقمك و غناك قبل فقرك و حياتك قبل موتك.
- ١٥- ثلاث من مكارم الأخلاق في الدنيا و الآخرة: أن تعفو عمّن ظلمك و تصل من قطعك و تحلم على من جهل عليك.
- ١٦- ثلاث تخرق الحجب و تنتهي الى ما بين يدي الله: صرير أقلام العلماء و وطئ المجاهدين و صوت مغازل المحصنات.

- ١٧- ثلاث تقسى القلب: استماع اللهو، و طلب الصيد و اتيان باب السلطان.
- ١٨- جبلت القلوب على: حب من أحسن إليها، و بغض من أساء إليها.
- ١٩- حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.
- ٢٠- حب الدنيا رأس كل خطيئه.
- ٢١- الحكمة ضاله المؤمن. رأس الحكمة مخافة الله.
- ٢٢- حفت الجنة بالمكاره و حقت النار بالشهوات.
- ٢٣- حسنوا أخلاقكم و الطفوا بجيرانكم و اكرموا نساءكم تدخلوا الجنة بغير حساب، داووا أمراضكم بالصدقه.
- ٢٤- رأس العقل بعد الايمان بالله مداراه الناس في غير ترك حق.
- ٢٥- ساده الناس في الدنيا الأسخياء، ساده الناس في الآخرة الأتقياء. السعيد من وعظ بغيره.
- ٢٦- شر الناس من باع آخرته بدنياه، و شر من ذلك من باع آخرته بدنياه غيره.
- ٢٧- طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.
- ٢٨- عليك بالجماعه فإن الذئب يأخذ القاصيه.
- ٢٩- عليكم بالاعتصام فما افتقر قوم اقتصدوا.
- ٣٠- عجبت لمن يحتمى من الطعام مخافه الداء، كيف لا يحتمى من الذنوب مخافه النار.
- ٣١- عز المؤمن استغناؤه عن الناس.
- ٣٢- عد من لا يعودك، و اهد لمن لم يهد إليك.
- ٣٣- الغنى غنى النفس.
- ٣٤- كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا، و لا تكن الخامس فتهلك.
- ٣٥- لا مال أعود من العقل.

٣٦- لا فقر أشد من الجهل.

٣٧- لا عقل كالتدبير.

٣٨- ليس منّا من غشّ مسلماً أو ضرّه أو ماكره.

٣٩- من المروءة إصلاح المال.

٤٠- من أحبّ عمل قوم أشرك معهم فى عملهم.

٤١- من أحبّ قوما حشر معهم.

٤٢- من عمل بما علم ورثه الله ما لم يعلم.

٤٣- من أعان ظالماً على ظلمه سلّطه الله عليه.

٤٤- من يصلح ما بينه وبين الله يصلح الله ما بينه وبين الناس.

٤٥- من لا يرحم لا يرحم.

٤٦- من غشّ غشّ.

٤٧- من تساوى يوماه فهو مغبون.

٤٨- ما عال من اقتصد.

٤٩- المؤمن من أمن الناس من يده ولسانه.

٥٠- المسلم من سلم الناس من أذاه.

٥١- المجالس بالأمانه.

٥٢- المسلم مرآه لأخيه المسلم.

٥٣- المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه.

٥٤- المستشار مؤتمن.

٥٥- ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه.

٥٦- من تفاقر افتقر.

٥٧- من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

٥٨- من أذاع فاحشه كان كمبذها.

٥٩- من عير مؤمنا بشيء لم يمت حتى يركبه.

٦٠- من عدّ غدا من أجله فقد أساء صحبه الموت.

٦١- من أرضى سلطانا بما يسخط الله خرج من دين الله.

٦٢- مداراه الناس نصف الايمان و الرفق بهم نصف العيش.

٦٣- يسروا و لا تعسروا.

٦٤- يطبع المؤمن على كل خصله و لا يطبع على الكذب و لا على الخيانه.

٦- نماذج من ادعيته الشريفه (صلى الله عليه و اله)

اشاره

ألف- من دعائه فى شهر رمضان بعد المكتوبه: «اللهم أدخل على أهل القبور السرور، اللهم أغن كل فقير، اللهم أشبع كل جائع، اللهم اكس كل عريان، اللهم اقض دين كل مدين، اللهم فرج عن كل مكروب، اللهم رد كل غريب، اللهم فكك كل أسير، اللهم أصلح كل فاسد من امور المسلمين، اللهم اشف كل مريض، اللهم سد فقرنا بغناك، اللهم غير سوء حالنا بحسن حالك، اللهم اقض عنا الدين و أغنا من الفقر إنك على كل شيء قدير».

ب- دعاؤه (صلى الله عليه و اله) يوم بدر: «اللهم أنت ثقتى فى كل كرب، و أنت رجائى فى كل شدة، و أنت لى فى كل أمر نزل بى ثقه و عدّه، كم من كرب يضعف عنه الفؤاد و تقلّ فيه الحيله، و يخذل فيه القريب، و يشمت به العدو، و تعينى فيه الأمور، أنزلته بك و شكوته اليك راغبا فيه اليك عمن سواك ففرّجته و كشفته عنى و كفيته، فأنت ولى كل نعمه، و صاحب كل حاجه، و منتهى كل رغبه، فللك الحمد كثيرا و لك المنّ فاضلا».

ج- دعاؤه (صلى الله عليه و اله) يوم الأحزاب: «يا صريخ المكروبين و يا مجيب دعوه المضطرين اكشف عنى همى و غمى و كرى فإنك تعلم حالى و حال أصحابى فاكفنى حول عدوى فإنه

لا يكشف ذلك غيرك».

د-دعاء علمه (صلى الله عليه و اله) لبعض أصحابه يتقى به شر العدو:

ذكر ابن طاوس في مهج الدعوات هذا الدعاء كما يلي:

«يا سامع كل صوت، يا محيي النفوس بعد الموت، يا من لا- يعجل لأنه لا يخاف الفوت، يا دائم الثبات، يا مخرج النبات يا محيي العظام الريميم
الدارسات. بسم الله، اعتصمت بالله و توكلت على الحي الذي لا يموت، و رميت كل من يؤذيني بلا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ه-دعاؤه (صلى الله عليه و اله) لقضاء الدين علمه على بن أبي طالب (عليه السلام):

«اللهم اغننى بحلالك عن حرامك و بفضلك عن سواك».

و-دعاؤه (صلى الله عليه و اله) إذا وضعت المائدة بين يديه:

كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) إذا وضعت المائدة بين يديه قال:

«سبحانك اللهم ما أحسن ما تبتلينا، سبحانك اللهم ما أكثر ما تعطينا، سبحانك اللهم ما أكثر ما تعافينا، اللهم أوسع علينا و على فقراء المؤمنين و
المسلمين» (١).

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ص: ٢٤٢

الفهرس التفصلى

فهرس اجمالى ٥

مقدمه المجمع ٧

الباب الأول

المدخل: المنهج القرآنى فى عرض و دراسه التاريخ و السيره ١٧

الفصل الأول: النبى الخاتم (صلّى الله عليه و اله) فى سطور ٢٥

الفصل الثانى: سنّه البشاره على مدى العصور ٣١

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيه خاتم النبیین (صلّى الله عليه و اله) ٣٩

الباب الثانى

الفصل الأول: دور الولاده و النشأه ٥١

١- ملامح انهيار المجتمع الوثنى ٥١

٢- إيمان آباء النبى (صلّى الله عليه و اله) ٥٢

٣- مولد الرسول (صلّى الله عليه و اله) ٥٣

٤- رضاعه الميمون ٥٥

٥- الاستسقاء بالنبى (صلّى الله عليه و اله) ٥٧

٦- مع امّه آمنه ٥٨

٧- مع جدّه (صلّى الله عليه و اله) عبد المطلب ٥٩

الفصل الثانى: دور الفتوّه و الشباب ٦١

١- كفاله أبى طالب للنبى (صلّى الله عليه و اله) ٦١

٢- السفره الاولى الى الشام ٦٢

ص: ٢٤٣

٣-رعى الغنم ٦٢

٤-حروب الفجار ٦٣

٥-حلف الفضول ٦٤

٦-التجاره بأموال خديجه ٦٥

الفصل الثالث:من الزواج الى البعته ٦٧

١-الزواج المبارك ٦٧

٢-إعاده وضع الحجر الاسود ٧٠

٣-ولاده على (عليه السلام) و تربيه النبي (صلى الله عليه و اله) له ٧١

٤-ملاح من شخصيه خاتم الأنبياء (صلى الله عليه و اله) قبل البعته ٧٣

الباب الثالث

الفصل الأول:البعته النبويه المباركه و ارهاصاتها ٧٧

الفصل الثانى:مراحل حركه الرساله فى العصر المكى ٨٧

١-بناء الخليه الإيمانيه الاولى ٨٧

٢-أدوار العصر المكى ٨٨

٣-دور إعداد القاعده الاولى ٨٨

٤-دور مواجهه الاولى و إنذار الأقربين ٩٠

٥-دور مواجهه الشامله ٩١

الفصل الثالث:موقف بنى هاشم من النبي (صلى الله عليه و اله) ٩٣

١-دفاع أبى طالب (عليه السلام) عن الرساله و الرسول (صلى الله عليه و اله) ٩٣

٢-موقف قريش من الرساله و الرسول (صلى الله عليه و اله) ٩٥

٣-الكفر يابى الانصياع لصوت العقل ٩٦

٤-الانتهاج بالسحر ٩٧

٥-التعذيب وسيله لقمع المؤمنين ٩٨

٦-الهجره الى الحبشه لايجاد قاعده آمنه ١٠٠

٧-الحصار الظالم و موقف بنى هاشم ١٠٢

٨-عام الحزن ١٠٣

٩-الاسراء و المعراج ١٠٤

الفصل الرابع:سنوات الانفراج حتى الهجره ١٠٧

١-الطائف ترفض الرساله الإسلاميه ١٠٧

٢-الانفتاح على الرساله و معوّقاتها فى مكه ١٠٩

٣-بيعه العقبه الاولى ١١٠

٤-بيعه العقبه الثانيه ١١٢

٥-الاستعداد للهجره الى يثرب ١١٤

٦-المؤاخاه قبل الهجره ١١٦

الباب الرابع

الفصل الأول:تأسيس الدوله الإسلاميه الاولى ١١٩

١-الهجره الى يثرب ١١٩

٢-بناء المسجد النبوى ١٢٢

٣-المؤاخاه بين المهاجرين و الأنصار ١٢٣

٤-معاهده المدينه ١٢٥

٥-النفاق و بدايات الاستقرار فى المدينه ١٢٧

٦-تحويل القبله الى الكعبه ١٢٨

٧-بدايات الصراع العسكرى ١٢٨

ص:٢٤٥

الفصل الثاني: الدفاع عن كيان الدوله الفتيه ١٣١

١- غزوه بدر الكبرى ١٣١

٢- اهتمام النبي (صلى الله عليه و اله) بزواج الزهراء (عليها السلام) ١٣٦

٣- الصدام المباشر مع اليهود و إجلاء بنى قينقاع ١٣٨

٤- ردود فعل قريش بعد انتصارات المسلمين ١٣٩

٥- غزوه احد ١٤٠

٦- محاولات الغدر بالمسلمين ١٤٥

٧- غزوه بنى النضير ١٤٦

٨- مناوشات عسكريه بعد احد ١٤٧

٩- غزوه بنى المصطلق و دور النفاق ١٤٨

١٠- إبطال أعراف جاهليه ١٥٠

الفصل الثالث: تظاهر قوى الشرك و الرد الإلهي الحاسم ١٥٣

١- تحالف قوى الشرك و غزوه الخندق ١٥٣

٢- الضغط على المسلمين ١٥٥

٣- هزيمه العدو ١٥٥

٤- غزوه بنى قريظه و تصفيه يهود المدينه ١٥٦

الباب الخامس

الفصل الأول: مرحله الفتح ١٦١

١- صلح الحديبيه ١٦١

٢- انطلاقه الرساله الاسلاميه الى خارج المدينه ١٦٦

٣- غزوه خيبر ١٦٧

٤- محاوله اغتيال النبي (صلى الله عليه و اله) ١٦٩

٥-استسلام أهالى فدك ١٦٩

٦-عمره القضاء ١٧٠

الفصل الثانى:الاسلام خارج الجزيره ١٧٣

١-معركه مؤته ١٧٣

٢-فتح مكه ١٧٤

٣-غزوه حنين و حصار الطائف ١٨١

٤-غزوه تبوك ١٨٥

٥-مسجد ضرار ١٨٩

٦-عام الوفود ١٩٠

٧-وفاه إبراهيم ١٩١

الفصل الثالث:تصفيه الوجود الوثنى داخل الجزيره ١٩٣

١-إعلان البراءه من المشركين ١٩٣

٢-مباھله نصارى نجران ١٩٤

٣-حجه الوداع ١٩٦

٤-تعيين الوصى ١٩٩

٥-ظهور المتبئين ٢٠١

٦-التعبئه العامه لغزو الروم ٢٠٣

الفصل الرابع:أيام الرسول(صلّى الله عليه و اله)الأخيره ٢٠٥

١-الحيلوله دون كتابه الوصيه ٢٠٥

٢-الزهراء(عليها السلام)تزرور أباها(صلّى الله عليه و اله)٢٠٦

٣-اللحظات الأخيره من عمر النبى(صلّى الله عليه و اله)٢٠٧

٤-وفاه النبى(صلّى الله عليه و اله)و مراسم دفنه ٢٠٨

الفصل الخامس: من معالم الرسالة الاسلاميه الخاتمه ٢١١

١- بما ذا بعث النبي محمّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؟ ٢١١

٢- سهوله الشريعه الاسلاميه ٢١٢

٣- سموّ التعاليم الاسلاميه ٢١٢

٤- القرآن الكريم ٢١٤

٥- الواجبات و المحرّمات في الشريعه الاسلاميه ٢١٥

الفصل السادس: تراث خاتم المرسلين (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ٢١٧

نماذج من تراث سيّد المرسلين (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ٢٢٣

١- العقل و العلم ٢٢٣

٢- مصادر التشريع ٢٢٥

٣- اصول العقيدته الاسلاميه ٢٢٨

٤- اصول التشريع الاسلامي ٢٣٣

٥- من جوامع كلم الرسول الأعظم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ٢٣٨

٦- من أدعيته الشريفه ٢٤١

الفهرس التفصيلي ٢٤٣

ص: ٢٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحرير المنشورات والكتاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ۰۲۱-۸۸۳۱۸۷۲۲

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

